

956.01
V871rA
c.1

السِّيَادَةُ الْعَرَبِيَّةُ

وَالشَّيْخَةُ الْأَسْرَائِيلِيَّةُ

فِي عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةٍ

(تَأليف فان فلوتن)

La Domination Arabe, le Chibitisme et les Croyances Messianiques sous le Khalifat des Omayyades, Par G. Van Vloten.

ترجمه عن الفرنسية ونقده وعلق عليه

محمد زكي إبراهيم

الدكتور إبراهيم حسن

الحائز لشهادة العالمية ،
واجازة التاريخ والاخلاق من
كلية اللغة العربية بالجامعة الازهرية
والمترجم بمصلحة المساحة .

دكتور في الفلسفة (Ph.D.) ،
ودكتور في الآداب (D.Lit.) في التاريخ
الاسلامي من جامعة لندن ، وعضو الجمعية
الاسيوية الملكية بانجلترا (M.R.A.S)
والاستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة العربية

الطبعة الاولى سنة ١٩٣٤

58674

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمترجمين ﴾

مطبعة السعادة بجوار محافظة تبصر

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

Replacement: East. May 1943



مكتبة لسان العرب

أعضاء الكين شوقاي

www.lisanarb.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

طلما كان يشير الأستاذ المرحوم السير توماس أرنولد في محاضراته بجامعة لندن إلى كتاب « فان فلوتن » حين كنت طالباً بقسم التاريخ الاسلامي بهذه الجامعة . ولما انصرفت للبحث وإعداد رسالتي لامتحان الدكتوراه ، كان هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدت عليها ولاسيما فيما كتبتة عن الشيعة . ولما ذهبت إلى مدينة ليدن بهولندة للبحث والاطلاع على بعض المخطوطات أردت اقتناء نسخة من هذا الكتاب لنفسى . فلم أستطع تحقيق هذه الأمنية ، على حين أنه لم يمض على طبعه إلا ثلاث وثلاثون سنة . ولم أجد منه سوى نسخة واحدة بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن . فلما أتممت دراستى وعدت إلى مصر في أوائل سنة ١٩٢٨ ندمت لتدريس التاريخ الاسلامي بقسم التخصص بالجامعة الأزهرية حيث يفرض على طلبة السنة النهائية تقديم بحث في الموضوع الذي يتخصصون فيه . وقد اختار شريكى الشيخ محمد زكى ابراهيم « الدولة الأموية بين عوامل الانحلال والفناء » موضوعاً لرسالته ، فأشرت عليه بالرجوع إلى كتاب « فان فلوتن » والاعتماد عليه في بحثه . وهكذا استفاد كل من الأستاذ والتلميذ من هذا

(ب)

الكتاب في رسالته . لذلك اتفقت رغبتنا على نقله إلى اللغة العربية ليستفيد منه الناطقون بالضاد .

* * *

وقد عالج المؤلف في كتابه ناحية من نواحي التاريخ الاسلامي قلما سبقه اليها أحد من المستشرقين . ولاغرو فقد أمدنا بطائفة قيعة من المواضيع الجديرة بالبحث في تاريخ الدولة الأموية ؛ من ذلك ما كتبه عن الخراج ، وحالة الموالى السياسية والاجتماعية ، وسياسة عمر بن عبد العزيز نحوهم وأثرها ، ثم عن الثورات التي أذكى نارها الخوارج . كما أفرد باباً مطولاً عن الشيعة ، وعقائدها ، وطوائفها المختلفة ، وعن غيرها من الفرق الدينية كالخرمية والراوندية ، ويبيِّن إلى أي حد استفاد العباسيون من قيام هذه الطوائف المختلفة في نشر دعوتهم في العراق ثم في خراسان . وقد فطن المؤلف إلى ما لم يفطن اليه غيره من المؤرخين من أسباب سقوط الأمويين ، فأفرد باباً طويلاً تكلم فيه عن العقائد غير الاسلامية التي أخذها المسلمون عن المسيحية واليهودية وغيرها من العقائد الفارسية القديمة - وهو ما يسميه علماء المسلمين « الاسرائيليات » - ولا سيما ما يتعلق منها بالتنبؤ بمصير العالم ، ورجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال . كذلك أفاض الكلام عن عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الاموية . وبالاختصار فقد أرجع « فان فلوتن » سر انتصار العباسيين إلى ظهور ثلاثة عناصر هامة : (١) الكراهة المستأصلة التي كان يكتنحها أهل البلاد المغلوبة للفاحين من العرب (٢) الشيعة وهم أنصار أهل البيت (٣) انتظار مخلص أو هاد (Messie)

وقد سلك المؤلف في بحثه هذه الموضوعات طريقة تحليلية دقيقة ، كما ناقش المصادر العربية ومحض ما ورد فيها من الحقائق التاريخية تمحيصاً يدل على دقة البحث وسعة الاطلاع ، كما يتبين لنا ذلك من هذه المصادر العربية والأجنبية الكثيرة التي اعتمد عليها . ومما يمتاز به هذا الكتاب أن

(ج)

مؤلفه لم يقتصر في بحثه على الكتب التاريخية فحسب ، بل استعان على كشف بعض المسائل بالقرآن الكريم وكتب السنة والأدب والمذاهب .

ولم يقتصر عملنا على مجرد نقل الكتاب إلى اللغة العربية ، بل عنينا في الوقت نفسه بنقد بعض ما ذهب اليه المؤلف من الآراء التي لا تتفق والبحث التاريخي النزيه . من ذلك ما ذهب اليه من القول بأن الاسلام قد انتشر عن طريق الارهاب لا عن طريق الأقتناع بالحجة والدليل . كذلك ما ذكره من بغض أهالي البلاد التي فتحها العرب للاسلام ومحاولتهم الارتداد عنه ، وأن المسلمين كانوا يضطهدون أهالي البلاد التي فتحوها ، وهو مالا يتفق مع روح الاسلام وخلق الرسول ثم خلفائه من بعده . يؤيد ذلك قوله تعالى في نبيه (وإنك لعلی خلق عظیم) (فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) ، ثم قوله عليه الصلاة والسلام « ألا كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته . فالإمام الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، ثم ما ذكره ابن عبد الحكم « من أن رجلا من أهل مصر أتى إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ! عائد بك من الظلم . قال : عدت بمعاذ . قال : سأقت ابن عمرو بن العاص فسبقتة ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه ، فقدم . فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . ثم قال للمصري : ضعه على صلعة عمرو . قال : يا أمير المؤمنين ! إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفت منه .

(د)

فقال عمر لعمر و : مُذْكُمْ تَعْبُدْتُمْ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُمْ أُمَّهَاتِهِمْ أَحْرَاراً ؟
قال : يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتني .

كذلك عنينا بشرح بعض ماورد بالكتاب من المسائل مما قد يستعصى
على القارى فهمه . من ذلك شرح مذاهب الإشراقية أو الإلحادية ، والمناوية
والبابية ، والاسرائليات ، ثم شرح بعض الالفاظ العربية وبيان بعض البلدان ،
كما رجعنا الى المصادر العربية التى أخذ عنها المؤلف مما مكننا من تصحيح
ما أخطأ فى نقله . كذلك حرصنا على نقل العبارات المقتبسة بنصها من
المصادر العربية . وقد اقتصر المؤلف على تقسيم كتابه الى ثلاثة أبواب ، كل
منها يشتمل على فصول اكتفى بالإشارة الى كل منها برقم لاتينى . لذلك
عنينا بوضع عناوين لكل فصل من فصول الكتاب ، حتى يسهل على القارى
معرفة الموضوع الذى يتكلم عنه المؤلف ، كما يسهل على الباحث أيضا
الاهتداء الى المسائل التى يريد بحثها . وقد أشرنا الى النقد والتعليقات والشروح
التي أتينا عليها بعلامة × أو × × . ومما يؤخذ على الكتاب خلوه من
فهرس يسهل على القارى استقصاء ما اشتمل عليه من الحوادث التاريخية .
لذلك عنينا عناية خاصة بعمل فهرس للأعلام والمصادر والبلدان وغيرها من
الاسماء التى تدل على حوادث تاريخية هامة . وقد أعنتنا عنتا شديدا فى نقل
الكتاب وضع المؤلف له باللغة الفرنسية ، تلك اللغة التى لا يحسن التعبير
بها كما صرح بذلك فى مقدمته .



وبالرغم من ذلك فالكتاب فى جملته كنز ثمين يدل على ماامتاز به المؤلف
من دقة البحث وسعة الاطلاع وتقصى الحقائق . وهو مما لا يستغنى عنه
المشتغلون بالتاريخ الإسلامى فى مصر والشام وفلسطين ، والهند وبلاد العرب
والعراق ، وبلاد المغرب وغيرها من الأقطار الإسلامية ، كما يستفيد منه
المستشرقون ولا سيما من تلك الردود والتعليقات التى ألفت قبسا من النور

على الكثير من المسائل التي تصدى المؤلف لبحثها . وقد استعنا في ذلك بالكثير من كتب التاريخ والفقه والحديث والمذاهب ، وكذا المصادر الأفرنجية مما يزيد - بلا ريب - في قيمة الكتاب من الوجهة التاريخية . على أننا نترك للعلماء والباحثين في التاريخ الإسلامي استدراك ما عسى أن نكون قد تركناه من الردود . وإنما اقتصرنا في ردنا وتعليقنا على هذا القدر لئلا نخرج عن القصد ولكيلا يفرق الكتاب بين التعليق والرد .



وقد تحرينا جهدنا الأمانة في النقل وتنهم المسائل التاريخية وشرحها في ضوء المصادر الأصلية التي أخذ عنها المؤلف . ونرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق في نقل ما كتبه بعض المستشرقين عن التاريخ الإسلامي ورأيهم في الإسلام والمسلمين ، حتى يكون القارئ على بينة من رأى هؤلاء في المسلمين بوجه عام والشرقيين بوجه خاص . ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب ندرته ، حتى إنه لا يوجد منه الآن سوى نسخة واحدة بدار الكتب الملكية ، وهي النسخة التي نقلنا عنها .

ولعل هذا يثير اهتمام وزارة المعارف والجامعة إلى العناية بدراسة التاريخ الإسلامي في مصر والشرق ، وإحلاله المحل اللائق به بين الدراسات المختلفة . ففي دراسته تعرف تاريخ المدينة الإسلامية التي أشرقت شمسها على العالم في الوقت الذي كانت فيه أم الغرب لاتزال يغمرها الجهل وتعمها الفوضى في كل ناحية من نواحي الحياة . وقد عرفت الأمم الأوربية فضل هذا النوع من الدراسة ، فسبقتنا إلى الاهتمام به ، وأنشأت الكراسي بجامعةاتها . ولم تأل جهداً في تشجيع المشتغلين بالتاريخ الإسلامي بالألقاب والمناصب والمال ، حتى برز فيه الكثيرون من المستشرقين وحتى أصبحنا عالة عليهم نأخذ عنهم تاريخ بلادنا وقوميتنا . كما نرجو أن ينبه ذلك إدارة المعاهد الدينية إلى أهمية ما كتبه المستشرقون عن الإسلام بوجه خاص ، فتعمل على ترجمة

(و)

الكثير من مؤلفاتهم التي كتبت بمختلف اللغات والرد عليها إذا ما مالت
عن الحق أو انحرفت عن الصواب.

ونعتذر للقارئ على وقوع بعض أغلاط مطبعية أشرنا إليها في آخر
الكتاب.

وتقدم جزيل شكرنا لحضرة الأستاذ الدكتور أحمد ضيف لتفضله
بمراجعة جزء من هذا الكتاب.

القاهرة في ٤ شوال سنة ١٣٥٢ هـ - ٢٠ يناير سنة ١٩٣٤ م

حسن ابراهيم حسن - محمد زكي ابراهيم

(ز)

محتويات الكتاب

صفحة

١

مقدمة المترجمين

١

مقدمة المؤلف

الباب الأول

السيادة العربية

٥

١ - كيف انتشر الاسلام؟

٢١

٢ - الفتوحات الاسلامية في نظر بني أمية

٢٦

٣ - الخراج

٣٥

٤ - حالة الموالى السياسية والاجتماعية

٤٤

٥ - الحالة في خراسان

٥٦

٦ - سياسة عمر بن عبد العزيز نحو الموالى وأثرها

٦٠

٧ - ثورة الحارث بن سُرَيْج

الباب الثاني

الشيعة

٦٨

١ - نشأة الفرق الاسلامية

٧٤

٢ - عقائد الشيعة

٧٩

٣ - طوائف الشيعة

٩٠

٤ - الهاشمية

٩٦

٥ - الحرّمية والراوندية

١٠٣

٦ - انتقال الدعوة العباسية من العراق إلى خراسان

4/4

(ح)

الباب الثالث

الإسرائيليات

صفحة	
١٠٧	١ - التنبؤ ببعض الأشخاص أو الحوادث المعينة
١١٤	٢ - التنبؤ بمصير العالم
١١٩	٣ - رجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال
١٢١	٤ - عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الأموية
١٢٧	٥ - قيام الدولة العباسية
١٣١	٦ - خاتمة

تذييل

١٣٥	١ - الشؤون المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار
١٣٧	٢ - الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية
١٣٨	٣ - أسباب ثورة أهل إفريقية
١٤٠	٤ - الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية
١٤٢	٥ - المهديون من غير آل البيت
١٤٦	٦ - سليمان بن كثير والكفّية

فهرس الكتاب

١٤٨	١ - الفهرس العربي
١٦٤	٢ - الفهرس الافرنجى
١٦٧	خطأ وصواب

مقدمة الكتاب

سنعرض في هذه المقدمة لدراسة تاريخ الحزب العباسي ومدى نشاطه ،
عسانا تقدم للقارىء طائفة قيعة من الاسباب السياسية والدينية التي انتهت
بسقوط العرش الأموي ، إذ لا نستطيع قط أن ننكر أن سقوط ذلك العرش
لم يبدأ إلا منذ اللحظة التي قام بها أنصار البيت النبوي من دعاة العباسيين
ليحلوا محل الأمويين ، أو بالأحرى منذ الوقت الذي ثار في خراسان حزب
كان على تمام الاستعداد لمناصرة الدعوة العباسية بكل ما فيه من قوة .

فهمتنا إذاً تنحصر في حل تلك المعضلة ، وهي تعرف الأسباب التي
دفعت الخراسانيين إلى أن يشايعوا البيت النبوي . قد يبدو ذلك سهلاً لأول
وهلة . فقد تكلم مؤرخو العرب الذين نستشير بما نقلوه إلينا في هذه المسألة ،
عن نظام الدعوة العباسية التي هيأت النفوس لحكم بني هاشم (أهل البيت) .
ونظن أننا قد أتممنا واجبنا حين نبين للقارىء كيف قامت تلك الدعاية وكيف
وجدت طريقها إلى النفوس .

وقد حاولت جهدي حل تلك المعضلة في رسالتي التي كتبتها عن « أصل
الحزب العباسي » Die obkomst der Abbasiden in Khorasan. Leyde, 1890
معتماً على ما نقله المؤرخون فيما يتعلق بالدعوة لبني العباس .
وقد تبعت جهد المستطاع هذه الحركة منذ نشأتها في خراسان حتى اعتلاء
الحزب الجديد كرسى الخلافة .

وأما فيما يتعلق بموضوعنا الذي نحن بصدده فلا يسعني إلا أن أصرح
بأنى لا أستطيع أن أحلل أسبابه تحليلاً تاريخياً مرضياً ، إذ أنى مقتنع تمام
الاقتناع أن ما ذكره مؤرخو العرب في ذلك الموضوع ليس سوى تكرار

لحوادث لها نصيب قليل أو كثير من الصحة ، ربما تستر الحقيقة أكثر من أن تكشف القناع عنها ، وذلك لتأثرها بالبلاط في بغداد .

على أن تلك البحوث المتقدمة لم تكن عديمة الجدوى . فقد مكنتني من أن أكون لى رأيا فى القيمة النسبية للمصادر العربية ، كما كشفت اللثام عن شىء هو أهم من هذا ، وهو وجود ثلاثة عناصر لها قيمة كبيرة فى نظر من يريد أن يتعرف سر انتصار العباسيين وهى : (١) الكراهة المتأصلة التى كان يكنها أهل البلاد المغلوبة للفاتحين من العرب الذين يختلفون عنهم فى الجنس والذين كانوا يضطهدونهم ويسومونهم الخسف (٢) الشيعة وهم أنصار أهل البيت (٣) انتظار مخلص أوهاد (Messie) .

وإن موضوعا مثل هذا لى حاجة ماسة إلى بحث أدق وأعمق مما نظن . وكان لزاما علينا ، ولا سيما إذا سلكننا طريقاً غير الطريق الذى سلكه مؤرخو العرب ، أن نعى بوجه خاص بتعرف حال الشعوب المحكومة وعلاقتها بالشعب الحاكم ، وأن نبحت بعد ذلك أثر تلك العلاقات فى انتشار الدعوة الشيعية ، ثم نبين إلى أى حد كان أثر اعتقاد الناس بالاسرائيليات (١) ، وإلى أى حد ساعد ذلك الاعتقاد بانضمامه إلى الأسباب السالفة الذكر على الدعوة لبني العباس .

وإلى القارىء خلاصة تلك البحوث الجديدة ، عليها تعدل الشىء الكثير مما كان يذهب اليه المؤرخون فى الحكم على العصر الأموى ، والتى لا تعرض للنزاع بين القبائل الذى عنى به مؤرخو العرب ثم مؤرخو الفرنجة عناية كبيرة والذى لم يكن له إلا مكان ثانوى بين تلك العوامل الكثيرة التى انتهت بسقوط الأمويين . فان ذلك النزاع وإن ساعد فى اللحظة الأخيرة على نجاح

(١) العقائد غير الاسلامية — وبخاصة اليهودية والمسيحية والمجوسية والباوية — التى تأثر بها المسلمون فى أواخر القرن الأول الهجرى . ولعله يقصد من بين تلك العقائد عقيدة المهدي المنتظر ، وهى يهودية الاصل — المترجمان .

الدعوة العباسية ، فلم يكن له أثر مافى تلك الحالة الجديدة التي ظهرت عقب قيام الدعوة العباسية. ولن تقتصر بحثنا على دراسة الحالة في بلاد خراسان. فان بحث حال تلك البلاد ، وإن كان يفسر لنا ما كان يجري في غيرها من الولايات الأخرى ، فقد كان لبعض الحوادث التي سنعرض لها علاقة وثيقة بالجزء الشرقى من الدولة الإسلامية بوجه عام وبلاد العراق بوجه خاص . وذلك التوسع في البحث ، وإن كان يزيد في الصعوبات التي نواجهها في مهمتنا هذه ، إلا أنه سيزيد بلا ريب ما عسانا نصل اليه في دراسة هذا العصر بقدر ما يتسع لنا مجال هذا البحث . ولن نثقل على القارىء بتفصيل المراجع التي اعتمدنا عليها ، فقد ذكرناها قبل . ومن أهمها الطبرى (طبعة مسيو دى غويه) ثم ما كتبه أشهر مؤرخى القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين) ، كالبلاذرى واليعقوبى ، والمسعودى ، وابن عبد ربه ، وكذا بعض المؤرخين المتأخرين ، كصاحب كتاب العيون وابن الأثير والمقرئى . وأما فيما يتعلق بالمخطوطات فأتى مدين ببعض المعلومات القيمة لكتاب المقفى الكبير للمقرئى ، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد التي كنت أرجع إليها ، وذلك عدا جزء كبير من مجموعة *Legatum Warnerianum* . ويرجع الفضل في ذلك إلى سخاء القائمين بإدارة المكتبة الأهلية بباريس ، وكذا مكتبة *Ducales de Gotha* . وإنى لأدين بالشكر لأستاذى العزيز مسيو دى غويه (*De Gooje*) ، فقد أظهر اهتماماً شديداً بما قمت به من البحوث وسدد خطاى في ميدان التاريخ الإسلامى الفسيح الأرجاء — تلك الخطا التي كانت خطأ مستشرق لا يزال في المهدي ، كما عني بمراجعة هذا الكتاب قبل طبعه وأمدنى بملاحظات القيمة .

لم يبق أمامى بعد ذلك إلا أن أعتذر عن جرأتى على كتابة هذا البحث باللغة الفرنسية التي لا أحسن التعبير بها تماما . وهذا ضعف أعترف به عن طيب نفس . وإنما اضطررت إلى الكتابة بهذه اللغة لأنى لم أرد أن يكون

هذا الكتاب خاصاً بزملائى العلماء فحسب ، بل أردت أن يكون فى متناول
المستشرقين من الذين يعنون بثمار الدراسات التى يقوم بها علماء الغرب .
وأ كبر ظننى أن الوقوف على قيام الحركة العباسية وما كان لها من أثر
ليس خلواً من النفع للشرق الحديث ؛ فطالما لاحظت ثمة توافقاً غريباً بين
ما كان يجرى فى عهد عبد الملك وهشام وبين ما شاهدته اليوم من الحوادث
فى الشرق . ولعل أن يكون فى ذلك « عبر لمن يعتبر » .

ليدن — أغسطس سنة ١٨٩٢



الباب الاول السيادة العربية

كيف انتشر الاسلام؟

هناك فرق عظيم بين انتشار المسيحية وانتشار الاسلام . فقد انتشرت المسيحية انتشاراً وثيداً وسط وابل من الاضطهادات والآلام ، كما يدل على ذلك ما أثر عن عيسى عليه السلام من تلك الكلمات : « إن مملكتي ليست من هذا العالم » . وقد استطاعت المسيحية أن تحتفظ بطابعها رغم انسياها قروناً عدة بين شعوب مختلفة ومدنيات راقية . أما الاسلام فكان على العكس من ذلك . فان محمداً (عليه الصلاة والسلام) لم يلبث أن أصبح له نفوذ روحى وزمنى عظيم بعد سنين قلائل من الجهاد والاضطهاد كما يدل على ذلك غير آية من القرآن ، وذلك بتحول أهل المدينة إلى الاسلام . وقد أصبح الاسلام بفضل ذلك النفوذ الذى كان يتمتع به الرسول ديناً قويا قام بحد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق الانذار والوعيد . ولم يكن اعتناق أهل جزيرة العرب للاسلام ، أو بالأحرى خضوعهم له ، نتيجة دعاية سلمية وإدعة . فقد أرغم ما كان للنبي من قوة ونفوذ بعض القبائل العربية من أهل البدو على الدخول فى الاسلام ، كما لم يكن اخضاعها حين ارتدت عنه بعد وفاة الرسول عن طريق الاقتناع والمحااجة بكتاب الله

بل بقوة السيف . فقد أرغمهم خالد بن الوليد (سيف الله) إلى الرجوع إلى الاسلام (١) .

(١) هذا لا يتفق مع صريح قوله تعالى (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) . أضف إلى ذلك مناقاته لما رواه النقاة من المؤرخين عن بدء انتشار الاسلام . فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة بعض أصحابه ممن كان يثق بهم ، فأسلم أبو بكر وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وتبعهم غيرهم . وظالما كان يعرض الرسول نفسه في موسم الحج على القبائل داعيا من أقبل إلى مكة من سائر العرب إلى الاسلام . وكان من هؤلاء جماعة من الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فأجابوه إلى مادعاهم اليه من اعتناق الاسلام ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا قومهم إلى هذا الدين ، فلم يبق دار من دور أهل المدينة إلا وظهر فيها الاسلام . مضى ذلك في جزيرة العرب دون أن يستل النبي سيفاً أو يقاتل عدواً . كذلك اتبع الرسول الطرق السلمية في نشر الاسلام خارج جزيرة العرب . وإلى القارىء ما كتبه الرسول إلى كسرى يدعو إلى الاسلام ، ذلك الكتاب الذي تسوده روح السلم والمواذعة : « بسم الله الرحمن الرحيم ! من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله وأن لا إلا إله الله ، وأنى رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً . أسلم تسلم ، فإن آيبت فعليك إنم المجوس » . فزق كسرى كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال الرسول : « مزق الله ملكه ! » على أن كسرى لم يقف عند تلك الإهانة ، بل كتب إلى باذان عامله على اليمن : « ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدتين فليأتيا نى به » . فبعث باذان رسولين يحملان كتاباً إلى الرسول يأمره فيه أن ينصرف معهما إليه ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش ، فسألاهم عن الرسول فقالوا هو بالمدينة . واستبشروا بهما وفرحوا ، وقال بعضهم : أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل . فخرج الرجلان حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له : « إن كسرى قد بعثنا إليك لتنتلق

لم يتردد النبي (عليه الصلاة والسلام) في رمي أهل الكتاب بالكذب والتضليل واتهامهم بالتحريف في كتبهم حين رأى أن دينه الذي كان يرمى

معنا . فصر فها الرسول على أن يعودا اليه في الغد . فأتى رسول الله الخبير من السماء « أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله » . فلما قدم الرسولان أخبرهما الرسول هذا الخبر فقالا له : « إنا قد نعمنا عليك ماهو أيسر من هذا ، أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك ؟ » قال « نعم ! أخبراه ذلك عنى وقولا له إن دينى وسلطانى سيبلغ ما يبلغ ملك كسرى وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء » . فعاد الرسولان إلى باذان فقصا عليه ما تنبأ به النبي فقال : « والله ما هذا بكلام ملك ، وإنى لأرى الرجل نبيا كما يقول . ولننظرن ما قد قال ، فلو كان هذا حقا فانه لنبي مرسل . وإن لم يكن فسرى فيه رأينا » . فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد فأتى قد قتلت كسرى . ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما استحل من قتل أشرافهم . فاذا جاءك كتابى هذا فخذلى الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك (يعنى الرسول عليه الصلاة والسلام) ، فلا تهجه حتى يأتىك أمرى فيه » . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال « إن هذا الرجل لرسول » ، فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن (الطبرى ج ٣ ص ٩٠) .

كذلك كتب الرسول الى هرقل امبراطور الدولة البيزنطية (الطبرى ج ٣ ص ٨٧) والى المقوقس عامله على مصر كتابين يدعوها الى الاسلام بالوسائل السلمية دون أن يلجأ الى إذكاء نار الحرب .

وإن ما ذهب اليه المؤلف ليتنافى أيضاً مع ما سار عليه الخلفاء الراشدون مع أهل البلاد التى فتحوها واحترامهم لحريةهم الدينية ومحافظةهم على حقوقهم المدنية . يدل على ذلك أمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأهل إيلياء الذى نقله عن الطبرى (ج ٢ ص ١٥٩) : « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أمانا لا تقسمهم وأموالهم ، ولسكنائهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص

إلى نشره بادي^٥ ذي بدء بين مواطنيه لم يرض اليهود كما لم يرق النصراني .
وهكذا استطاع الاسلام أن يحاج أهل الكتاب بتصريحه أنه أرقى الأديان

منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون
على دينهم ولا يضار أحد منهم . . . »

من هذا يظهر أن الاسلام لم ينتشر في جميع أدواره بمجد السيف
والأرهاب . وإلا فإذا يقول فان فلوتن في انتشار هذا الدين في القرن السابع
الهجري في الوقت الذي ضعفت فيه الدولة الاسلامية بزوال الخلافة العباسية
وسقوط بغداد في أيدي التتار ؟ والى القارىء كيف وجد ذلك الدين السمع
الطريق الى نفوس هؤلاء الفاتحين المتبربرين من المغول . يقول الأستاذ
المرحوم السيرتوماس أنولد The Preaching of Islam, pp. 218 - 219
في كتابه : « لا يعرف الاسلام من بين ما نزل به من الخطوب والويلات
خطبا أشد هولا من غزوات المغول . فلقد انابت جيوش جنكيزخان
انسياب الثلوج من قطن الجبال واكتسحت في طريقها العواصم الاسلامية
وأمت على ما كان لها من مدنية وثقافة . . . على أن الاسلام لم يلبث أن نهض
من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التالدة ، واستطاع بواسطة دعاة
أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويحملهم على اعتناقه . ويرجع الفضل في
ذلك الى حماس الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعوبات أشدها
لمناهضة منافسين عظيمين هما المسيحية والبوذية ، وكانا يحاولان إحراز قصب
السبق في ذلك المضمار . وليس في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب وتلك
المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والاسلام — كل ديانة تنافس
الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين الذين داسوا بأقدامهم تلك الديانات
العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقاليم والأقطار » . ويقول السير
توماس أنولد في مكان آخر (ص ٢٢٦ — ٢٢٧) عند كلامه عن انتشار
الاسلام في بلاد الصين « وبالرغم من هذه المصاعب التي لقيها دعاة المسلمين ،
فقد أذعن المغول لدين هذه الشعوب الاسلامية التي ساموها الخسف وجعلوها

وأنة وحده هو الدين الحق . وكان من أثر اصطدام الرسول باليهود النصارى في بلاد العرب أن طرد اليهود من المدينة وشتت الغارات على المسيحيين في مواطن أقدامهم . ولا بد أن يكون هناك كثير من أنصار النبي قد انتشروا في طول أمبراطورية المغول وعرضها مجاهدين في طي الخفاء لجذب هؤلاء الكفار الى حظيرة الاسلام . ففي عهد أجتاي Ugutay (٦٢٤ — ٦٣٩ هـ و ١٢٠٦ — ١٢٢٧ م) تحول كرجز Kurguz والى بلاد فارس من قبل المغول من البوذية الى الاسلام . كذلك كان آندا Ananda حفيد كوبيلاى (٦٥٥ — ٦٩٣ هـ و ١٢٥٧ — ١٢٩٤ م) ووالى قان صو Kan Su مسلماً متحمساً ، مما حدا به الى حمل الكثيرين من أهل تانجوت Tangut وعدداً كبيراً من جنده الى اعتناق الاسلام .

أضف الى ذلك ما كان لتجار المسلمين الذين نصبوا أنفسهم دعاة للاسلام من اثر في انتشار هذا الدين . فقد كان بركة خان (١٢٥٦ — ١٢٦٧ م) أول من أسلم من أمراء المغول ، وكان رئيساً للقبيلة الذهبية في روسيا . ويقال في سبب إسلامه إنه لقي يوماً غيراً للتجارة آتية من بخارى ، فاختمى بتاجرين منها وسألها عن الاسلام ، فشرحا شرحاً مقنعاً انتهى به الى اعتناق هذا الدين والأخلص له .

كذلك كان تكودار احمد ثالث خانات المغول في بلاد فارس أول من اعتنق الاسلام . وقد شب على المسيحية وتعهد في صباه وتسمى باسم نيقولا ، ثم اعتنق الاسلام عند ما بلغ سن الرشد ، وذلك على أثر اتصاله بالمسلمين الذين كان كائناً بهم ، وسمى نفسه احمد خان . وقد بذل قصارى جهده في تحويل كافة المغول الى الاسلام ، فأسلم على يده كثير منهم . ثم بعث تكودار احمد نبياً اعتناقه الاسلام الى قلاوون (١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) سلطان الممالك في مصر في كتاب طويل يعتبر وثيقة تاريخية تبين منها كيف انتشر الاسلام بين المغول . والى القارىء بعض ماورد في هذا الكتاب نقلاً عن القلقشندى (صبح الأعشى ج ٨ ص ٦٥ — ٦٨) : « أما بعد ؛ فان الله سبحانه وتعالى

بلاد بيزنطة في المحظة التي انتقل فيها الرسول إلى جوار ربه . وقد ترك النبي
خلفائه إتمام مهمته ، وذلك باخضاع الكفار . ولنعرض الآن لبيان أثر

بسابق عنايته ، ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنقوان الصبا وريعان
الحدائث إلى الاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدايته ، والشهادة لمحمد عليه
أفضل الصلاة والسلام ، بصدق نبوته وحسن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من
عباده وبريته (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) . « .

وقد علق الاستاذ السير توماس أرنولد على ما كان للإسلام من أثر في
تهذيب نفوس المغول — ذلك الأثر الذي وضع وضوحا جليا في كتاب
تكودار أحمد إلى سلطان المماليك بهذه العبارة « وإن من يدرس تاريخ المغول
ليرتاح عند ما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفوه من الفظائع وما سفكوه من
الدماء إلى أسمى عواطف الانسانية وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك
الوثيقة التاريخية التي كتبها تكودار أحمد إلى سلطان المماليك في مصر ،
والتي يدهش الانسان لصدورها من مثل ذلك المغولي . »

بقي أن نقول كلمة عن انتشار الاسلام في أوروبا . كان أربك خان (Uzbek)
(Khan) ، الذي كان زعيما للقبيلة الذهبية (١٣١٣ — ١٣٤٠ م) والذي
اشتهر بتحمسه الشديد للدين الاسلامي وحرصه على تحويل الكثيرين من
الأهلين إليه ، أول من جسد في نشر الاسلام في كافة أرجاء بلاد روسيا .
ويذكر لنا التاريخ أنه رغم تحمسه للدين الاسلامي وتقانيه في الاخلاص له
كان كثير التسامح نحو رعاياه من المسيحيين ؛ فقد منحهم الحرية التامة في
إقامة شعائرهم الدينية . وذهب في تسامحه معهم إلى أبعد من هذا ، فقد سمح
لهم بالتبشير لدينهم ونشره في بلاده . ومما يدل على ذلك التسامح تلك الوثيقة
التاريخية التي نقلها المرحوم الاستاذ السير توماس أرنولد Preaching of
Islam, pp. 241—242 عن كرامزين (Karamzin) ، وقد جاء فيها :
« إن كنيسة بطرس مقدسة ، فلا يحل لأحد أن يتعرض لها أو لأحد رجالها
بسوء ، ولا أن يستولى على شيء من عقارها أو متاعها ، ولا أن يتدخل في

الحروب التي شنها المسلمون في نفوس القبائل العربية التي كانت تعتبر الاسلام نيراً ثقيلاً عليهم حتى عصر الفتوحات الاسلامية الأولى . فان الحال لم أمورها . ومن خالف أمرنا هذا بالتعدى عليها فهو مجرم أمام الله وجزاؤه منا القتل » (ج ٤ ص ٣٩١ — ٣٩٤) .

ولم يكن هذا المرسوم كلمات جوفاء أو مجرد « حبر على ورق » . فقد ظهر ذلك التسامح واضحا جلياً في كتاب أرسله البابا يوحنا الثاني والعشرون في سنة ١٣١٨ م إلى أربك يشكر له عطفه على رعاياه من المسيحيين ويثني على تلك المعاملة التي كان يعاملهم بها أربك .

وقد حاول نشر الاسلام في جميع بلاد روسيا البلغار من المسلمين الذين كانوا يقيمون على ضفاف نهر الفلجا حول القرن العاشر الميلادي والذين يدينون باسلامهم للتجار من المسلمين الذين كانوا يترددون على بلادهم بتجارة الفراء وغيرها من السلع . على أنه يظهر لنا أن هؤلاء البلغار قد دخلوا الاسلام قبل ذلك الحين . فقد أرسل اليهم الخليفة العباسي المقتدر (٩٠٨ — ٩٢٢ م) بعثة من العلماء لتعليمهم أصول الاسلام وعقائده . ثم حاول هؤلاء البلغار تحويل فلاديمير (Vladimir) ملك روسيا في ذلك الحين إلى الاسلام ، وكان يدين بالدين الوثني . ولم يقف في سبيل تحويله هو ورعاياه إلى هذا الدين إلا الختان وتحريم الخمر عند المسلمين .

Prof. Sir Thomas Arnold,

Preaching of Islam, PP.242 — 243

هكذا ظلت حركة الدعوة للاسلام في بلاد روسيا بطيئة حتى سنة ١٩٠٥ ، حتى صدر مرسوم حرية التدين في الأمبراطورية الروسية . ومن ثم نشطت حركة الدعوة الى الاسلام في تلك البلاد ، وأخذ الكثير من الروس يدخلون في هذا الدين . ويرجع الفضل في هذا إلى القوة المعنوية التي كان يمتاز بها المسلمون في هذه البلاد .

Ibid, pp ..244 — 245.

وقد أدخل تزار القرم من المسلمين الى الاسلام الكثير من سكان بلاد اليونان وإيطاليا الذين كانوا يقيمون في شبه جزيرة القرم . ويحدثنا أحد

يلبث أن تغير . فقد بدأت تلك القبائل تعتبر ذلك الدين ، الذي كان يلامم مواهبهم الحربية ويثيبهم عليها ثوابا عظيما في الدنيا والآخرة ، غرضهم الرحالين في القرن السابع عشر الميلادي أن تنار القوم هؤلاء كانوا يبذلون جهدهم لتحويل مواليهم الى الاسلام ؛ وكانوا يعدونهم الحرية اذا مادخلوا في دينهم . وقد نشطت الدعاية للاسلام بين تنار القوم أيضا على أثر مرسوم حرية التدين الذي صدر في سنة ١٩٠٥ .

ومن أغرب الحوادث في تاريخ الدعوة الاسلامية تحول القرغيز في بلاد آسيا الوسطى الى الاسلام على أيدي المولوية من التنار الذين نشروا تعاليم هذا الدين بينهم في القرن الثامن عشر الميلادي . ومن ثم أنققت الأموال الضخمة لبناء المساجد . وقام عدد كبير من المولوية بإنشاء المدارس وتعليم الأطفال عقائد الاسلام . وفي مستهل القرن التاسع عشر كان السواد الأعظم من القرغيز الذين كانوا يقيمون في تلك السهول التسيحة الممتدة بين تبلسك وبلاد التركستان لا يزالون على الوثنية . وقد فكرت الحكومة الروسية في ايفاد بعثة من المبشرين لنشر الدين المسيحي بينهم . على أنه قد صرفها عن هذا ما كانت تزعمه من وحشية هؤلاء وعجزهم عن فهم الانجيل . واتهم جماعة من المسلمين هذه الفرصة فخلوا جميع تلك القبائل الى الدين الاسلامي .

وفي القرن الثامن عشر نشطت الحكومة الروسية من جديد في تحويل القبائل الوثنية من المغول الى الدين المسيحي . ففي سنة ١٧٧٨ أمرت كاترين الثانية بأن يوقع كل من هؤلاء الحديثي عهد بالمسيحية على إقرار كتابي يتعهدون فيه بترك الوثنية دينهم القديم والتمسك بالدين المسيحي وعقائده . وعلى الرغم من ذلك فإن الذين تعمدوا من المغول لم يدخلوا المسيحية إلا ظاهراً ولم يكونوا مسيحيين إلا بالاسم فقط . وسرعان ما تخلصوا من الكنيسة الارثوذكسية واعتنقوا الاسلام . ولم يكن هذا الدخول في المسيحية إلا خطوة تمهيدية لدخولهم في الاسلام . وقد نجح المسلمون في تحويل أهل

الوطني الأسمى غداة انتصاراتهم الأولى على الكفار من الشعوب الأخرى .
وبذلك جدوا في نشره بدافع وطني أكثر منه ديني حتى حدود إفريقية

جميع القرى من بلاد الروس . وبخاصة القرى الواقعة في الشمال الشرقي من
هذه البلاد — على الرغم من القوانين الشديدة التي سنتها الحكومة الروسية في
ذلك الحين . نخص بالذكر منها ذلك القانون الذي كان يقضى على كل من يحاول
تحويل أى مسيحي إلى الاسلام بالحبس مدة تتراوح بين ثمانية وعشرة أعوام
وحرمانه من جميع الحقوق المدنية . Preaching of Islam, PP. 246 — 249 .
وقد ظهر ميل الروس إلى الاسلام والدخول فيه على أثر مرسوم حرية
التدين الذي صدر في سنة ١٩٠٥ . ففي سنة ١٩٠٩ اعتنق الاسلام إحدى
وتسعون أسرة في قرية اتومفا (Atomva) ، كما اعتنق هذا الدين ٥٣٠٠٠
نسمة بين سنتي ١٩٠٤ و ١٩١٠ . ويقول الأستاذ السير توماس ارنولد :
« ويرجع الفضل في اعتناق هذا العدد الكبير للدين الاسلامي إلى رقي
المستوى الأخلاقي في البيئات الاسلامية ، وإلى حماس القائمين بنشر الاسلام
في تلك البلاد والدعوة إليه . فقد نصب كل مسلم — حتى الأسمى منهم —
نفسه داعياً لذلك الدين . ومن ثم لم يستطع الوثنيون من تلك القبائل أن يقاوموا
تيار تلك الدعوة الجارف ، ولم يلبثوا أن دخلوا في الاسلام أفواجا . وفي
الشتاء كان يذهب الكثيرون من أهل القرى المسيحية حاكّة إلى البلدان
الاسلامية ، وسرعان ما كانوا يدخلون في الاسلام ثم يعودون إلى قراهم على
أشد ما يكونون تحمساً له وللدعوة إليه بين ذويهم .

وقد وجه المولوية من أهل بخارى وغيرها من بلاد آسيا الوسطى وكذا
التجار من قزان وجوههم نحو سيبيريا لنشر الاسلام فيها . وبذلك انتشر
الاسلام لأول مرة في هذه البلاد بين التتار (الذين كانوا يقيمون في البلاد
الواقعة بين نهري إرتس وأوب) . ومع أن الكثيرين منهم كانوا لا يزالون حتى
مستهل القرن التاسع عشر على الوثنية ، فانهم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام
جميعاً ، ولا يزالون على ذلك إلى اليوم . وأما تاريخ اسلام القبائل الأخرى

الشمالية وفي أكثر بقاع آسيا .
لم تنتشر المسيحية إلا بعد قرون عدة من الشدة والالام . أما الاسلام
فكان على العكس من ذلك ، إذ لم يكدي يمضي على ظهوره اثنا عشر عاما حتى
اعتنقه شعب بأكماله على تمام الاستعداد للتضحية والقيام بأعباء الفتح .
على أن هناك ظاهرة أخرى . ذلك أنه بينما كانت المسيحية تنتشر بين الشعوب
المتحضرة وتوطد سلطانها بين الأمم ذات المدن والراقية كان الشعب العربي
لا يزال على بداوته الأولى رغم اعتناقه الاسلام . نعم ! كان الجيش الاسلامي
لا يخلو من بعض القبائل المتحضرة ، كما كان يضم الكثير ممن لم يكونوا
بعيدين كل البعد عن المدن والأفكار الدينية التي كانت سائدة بين
الشعوب المجاورة لهم . إلا أن روح الصحراء وعوائد البداوة لم تنزل تماما

في بلاد سيبيريا فإنه لا يزال غامضا . على أنه يغلب على الظن أن اعتناق هذه
القبائل للاسلام إنما يرجع الى عهد قريب .

من هذا يتبين لنا أن الاسلام إنما وجد طريقه إلى القلوب وخالطت بشاشته
النفوس عن طريق الحجّة والاقناع . أضف الى ذلك أن النفوس كانت تتطلع
منذ مستهل القرن السابع الميلادي الى مصلح جديد . فقد تطرق الفساد الى
جميع مناحي الحياة ومال ميزان العدل بين الناس ببلاد العرب والفرس والروم .
ومن ثم بادر الناس الى الاسلام لما امتاز به من الديمقراطية الصحيحة والمساواة
الحقة (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .
سورة الروم آية ٣٠) .

وأما ما يزعمه « فان فلوتن » من أن محاربة أبي بكر لمن ارتد من المسلمين
بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كان نشراً للدين بحمد السيف فهو غير
صحيح ، إذ لم تكن تلك الحروب سوى قمع لثورة داخلية أراد بها بعض من
لم يخالط الاسلام قلوبهم القضاء عليه وهو لا يزال في مهده . لذلك لم يكن
بد لأبي بكر من القضاء عليها جهده حتى لا تنصدع أركان الوحدة العربية

— كما لا يخفى — من بين المتحضرين وسكان المدن منهم .
لم تكن المسألة مسألة دين انتشر وبسط نفوذه فحسب على بلاد
سورية وجزء عظيم من مملكة فارس القديمة . فقد كان هناك أمر آخر ،
ذلك أن شعبا غريبا غير مثقف قد استطاع بما له من قوة وبأس أن ينفذ الى
الولايات المسيحية ويوطد سلطانه بين أنصار دين زردشت في بلاد فارس .
وكانت القوانين التي كان يرجع اليها في تنظيم العلاقات بين العرب وأهل
البلاد التي فتحوها غاية في البساطة . وهي مستنبطة من بعض كتب الصلح
التي كان يكتبها الرسول لمن ينتصر عليهم . وكانت تمنح الشعوب التي تفتح
أبوابها للمسلمين حرية التدين وملكية الأرض ، كما كانت لا تطالب إلا
بالجزية (التي كانت تسمى أيضا خراج جزية) ، وهي الضريبة التي كان يدفعها
الشعوب المخالفة للمسلمين نظير حمايتهم لها ، بينما كان للمسلمين الحق في
تخريب البلاد التي كانوا يفتحونها عنوة وقتل رجالها وسبي نساءها . على أن
المسلمين كانوا يفضلون ترك الأرض لأهل تلك البلاد يستغلونها لمصلحة
الفاحين .

لم يكن الغرض من الفتوحات الاسلامية على هذه الصورة هو إدماج
شعب في شعب أو العمل على نشر دعوة دينية معينة ، وإنما هو احتلال
بقوة السيف ^(١) . وتظهر هذه الظاهرة بوضوح في السنة التي سنها عمر بن

وتتفرق كلمة المسلمين — المترجمان .

(١) إن جميع أفعال الرسول لتشهد بأن الغرض الأول من دعوته إنما هو
انتشار الدين . ولن تعوزنا الأمثلة الكثيرة للتدليل على ذلك الرأي . فقد
روى الطبري (ج ٣ ص ١٢٣ — ١٢٤) أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث
خالد بن الوليد بعد فتح مكة داعيا الى الاسلام ، ولم يبعثه مقاتلا . فسار
خالد حتى نزل على جذيمة . فلما رآه القوم أخذوا أسلحتهم واستعدوا للقتال ،
فقال لهم خالد : « ضعوا أسلحتكم فإن الناس قد أسلموا » . فلما وضعوها

الخطاب الخليفة الثاني لتشجيع تلك الفتوح .

وكانت تقضى القواعد التي سنها عمر بأن يكون كل مسلم جندياً من

أمر ببعضهم فقتلوا . فلما بلغ الرسول ذلك رفع يديه الى السماء وقال : « اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثم أرسل على بن أبي طالب بمال ، فودى لهم الدماء (دفع لهم الديات) وما أصيبوا به من أموال . وإن المنتبِع لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ليرى أن غزواته وسراياه إنما كانت للذود عن الاسلام والدفاع عن نفسه وقومه . فقد دبرت قريش قتله حين خافوا خروجه عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، لاسيما وقد رأت أنه قد أصبح له شيعة وأصحاب من غيرهم . فاجتمعوا في دار الندوة حيث تشاوروا في أمره عليه الصلاة والسلام . وانتهى بهم الرأي الى أن يأخذوا من كل قبيلة فتي جلدأ وأن يعطى كل منهم سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب جميعاً (ابن هشام ج ١ ص ٧٣ — ٧٤) .

هذا الى ما أذاقوا النبي وأصحابه من صنوف العذاب وضروب الأذى مدة إقامتهم بين ظهرانهم بمكة . وقد شاء الله أن لاتنجح حيلتهم فيما دبروه للرسول ، فهاجر الى المدينة . إلا أن العرب ما فتئوا يدبرون له المكائد ويتربصون به الدوائر ، ولاسيما اليهود من أهل يثرب (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به — سورة البقرة . آية ٨٩) وقد أجمع المؤرخون على أن السبب في إجلاء يهود بني النضير إنما يرجع الى تأمرهم على قتل الرسول . فقد جاءهم الرسول يستعينهم في دية بعض القتلى ، فوعدوه بذلك . ثم خلا بعضهم الى بعض فقالوا : « إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه » . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً الى جنب جدار من بيوتهم ، فقالوا : « من يعلو على هذا البيت فيلقى صخرة فيقتله بها فيريحنا منه ؟ » فقال عمرو بن جحاش : « أنا لذلك » . فصعد ليلقى بالحجر على الرسول . فأتى الرسول الخبر من السماء بما أراد

جنود الاسلام ، على أهبة الاستعداد لتلبية داعى الجهاد فى كل لحظة دفاعا عن دينه وأن يمنح من بيت مال المسلمين عطاء معيناً مقابل خدماته . وكان

القوم ، فعاد الى المدينة ، ثم خرج الى قتالهم وأجلاهم عن ديارهم .
كذلك كان الحال فى « بئر معونة » . فقد ذكر ابن هشام (ج ٣ ص ٤٤ - ٤٥) أن أبا براء عامر بن مالك قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الرسول الاسلام ودعاه إليه فلم يسلم ، ثم قال للرسول : « يا محمد ! لو بعثت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك » . فقال رسول الله : « إنى أخشى عليهم أهل نجد » ، فقال أبو براء : « أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك » . فبعث الرسول المنذر بن عمرو فى أربعين رجلاً من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة . فبعثوا أحدهم بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلم ينظر فيه وعدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه وقالوا : « لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً » . فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه الى ذلك وخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم وهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم . وكانوا — رضى الله عنهم — من أشهر القراء والحفاظ .

أضف الى ذلك ما كان من « سرية بنى الرَجِيع » (سنة ٤ هـ) . فقد قدم على رسول الله وفد من عضل والقارة فقالوا : « يا رسول الله ! إن فىنا إسلاماً وخيراً ، فابعث معنا قرأً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرءوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام » . فبعث رسول الله ستة من أصحابه . فلما أتوا على الرجيع (وهو ماء لهذيل) غدروا بهم ، فأخذوا سيوفهم ليقاتلوا القوم . وما زالوا يدافعون عن أنفسهم حتى قتل بعضهم وأسرى البعض الآخر فكانت نهايته القتل . فكان ذلك سبب غزوة بنى لحيان (ابن هشام ج ٣ ص ٤٩ - ٦٠ والطبرى ج ٣ ص ٢٩ - ٣٣) .

وأما غزوة الخندق (سنة ٥ هـ) فيرجع سببها الى أن بعض اليهود

المسلمون يوزعون جنودهم فيما كانوا يفتحونه من الولايات — كسورية والعراق
ومصر — على المعقل الهامة . كذلك كان الحال في الأمبراطورية الفارسية

قد تقضوا الخلف الذي كان بينهم وبين الرسول ، ثم خرجوا الى مكة فدعوا
قريشا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدهم أن يكونوا معهم
حتى يقضوا عليه وعلى دعوته . ثم جاءوا غطفان فدعوهم الى مثل مادعوا
أهل مكة . فلما سمع الرسول بما أجمعوا عليه أمرهم ، حفر الخندق حول
المدينة وتحصن وراءه هو وأصحابه للدفاع عن أنفسهم ، ثم حمد عليه الصلاة
والسلام الى الخدعة فأرسل اليهم من أوقع الخلاف بينهم ، فعادوا أدراجهم
راضين من الغنيمة بالأياب (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى
الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) (ابن هشام ج ٣ ص ٦٨ — ٧٠) .
وأما بنو قريظة فأخطب فيهم أشد ، فانهم ساعدوا الاحزاب حتى جعلوا
الرسول في أشد مواقف الحرج .

وأما فتح مكة فيرجع الى تقض قريش ما كان بينها وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلح الحديبية (سنة ٦ هـ) . ففي السنة السادسة للهجرة
خرج النبي عليه الصلاة والسلام للعمرة في ألف وأربعمائة من المسلمين ،
فوقف القرشيون في طريقه على مقربة من مكة . ثم دارت المفاوضات بين
المسلمين والقرشيين الذين خشوا بأس المسلمين . وطلب القرشيون الصلح على
أن تعقد بين الفريقين هدنة أمدها عشر سنين . على أن أهل مكة لم يلبثوا
أن تقضوا هذه الهدنة ، وذلك بمساعدتهم بكرأ على خزاعة المحالفة للرسول .
فاستجارت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فسار الى مكة في عشرة آلاف .
فلما علم أهلها بتدومه خرج قادتهم ليسلموا . ولما تم له فتحها عني عن أهلها
رغم ما أذاقوه هو وأصحابه من صنوف الاضطهاد .

من كل هذا يتبين لنا أن الغرض الأول الذي كان يسعى اليه الرسول
جهده هو نشر الاسلام بكل الوسائل السلمية ، وأن تلك الحروب التي قامت
بينه وبين الكفار داخل جزيرة العرب أو خارجها إنما ابتدأها بها أعداؤه

القديمة وبلاد ميديا وخراسان وغيرها من الولايات التي كانت تمتد إليها الفتوحات الإسلامية .

وكانت حياة العرب تتفق تمام الاتفاق مع تلك النزعة الحربية . فقد كان محرماً عليهم ملكية الأرض . وكانوا يعيشون من العطاء (وهو أجر تدفعه اليهم الحكومة) والمعاون (وهي ضريبة تدفع عينا على البلاد المفتوحة) ثم الغنائم والأسلاب التي كان لا ينضب معينها طالما كانت هناك بلاد تفتح وأقاليم تستغل . ويظهر أن تلك النزعة لم تحب عند العرب في ذلك الوقت ، فقد كانوا لا يزالون منقسمين إلى قبائل . ولا غرو فقد كانت حياة الصحراء — بما فيها من رغن وشحناء وحب للانتقام والتخريب والأخذ بالثأر — لا تزال على حالها الأول بين القبائل في شرق البلاد وغربها ، ولا سيما في تلك الفترات التي كانت تضعف فيها السلطة المركزية عن إقرار الأمن في نصابه . وهكذا يصور لنا الاحتلال العربي بوجه عام شعباً يعيش على حساب شعب آخر . وهذا هو نفس ما لاحظته فون كريمر إذ يقول : « كان أهل الولايات المغلوبة يحرثون ويبذرون والمسلمون يمحصدون ولا عمل لهم سوى الحرب وشن الغارات » . (١) وتبين لنا هذه الكلمات بيانا يكاد يكون قاطعاً حال السيادة الإسلامية في الأقاليم التي فتحها المسلمون . على أن المسلمين طالما كانوا خيراً من غيرهم من الفاتحين . ولا غرو فإن أهل سورية ومصر ، الذين أقتل الرومان كاهلهم بالضرائب الفادحة قبل الفتح العربي ، لم يقاوموا الفاتحين من العرب متاومة تذكر . وكذلك كان الحال في سواد العراق (٢) .

واضطروه إليها اضطراباً — المترجمان .

Culturgeschichte des Orients, I. 171. (١)

وتوجد نفس هذه الفكرة في إحدى خطب عمر بن الخطاب — الطبري

١ : ٢٧٦١ س ٣ وما يليه .

Van Berchem, La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers khalifes, P. 26. (٢)

وقد احتفظ المسلمون بالنظام القديم الذي سنه عمر لجباية الضرائب وأقاموا على جبايتها موظفين من أهالي تلك البلاد . ولم تكن الضرائب التي فرضها عمر فادحة على مآذبه اليه بعض المؤرخين . هذا الى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترع وتوطيد الأمن وما الى ذلك من ضروب الاصلاح .

وينبغي أن لا يفوتنا أن الفتح العربي على حالته هذه ، وإن كان معقولا في بادئ الأمر ، فقد كان لزاما أن يصبح غير محتمل اللهم إلا بقدر ما كان يرحب به من النظم الجديدة التي كان يقتضيه ذلك الفتح نفسه . فغلطة الفاتحين من العرب إذن ، وعلى رأسهم الخلفاء ، هي إهمال تلك الحقيقة . وإذا تصدينا للتدليل على أن السيادة العربية لم تأت بخير مطلقا للشعوب التي أخضعها ، فلكي نبين أن العرب قد أبوا في الوقت الملائم قبول التطورات التي كانت تقتضيها حال تلك الولايات .

« أرض الدولة (الأملاك الأميرية) والضريبة العقارية (الخراج) في عهد الخلفاء الراشدين » .

هذا يخالف ما أجمع عليه المؤرخون من أن الفتح العربي كان خيرا على أهالي البلاد التي فتحها المسلمون . من ذلك عهد عمر لأهل إيلياء ، وكذلك عهد الصلح بين عمرو والمقوقس . وقد جنى عمرو بن العاص ثمار هذه السياسة في مصر ، فألف بين القبط والمسلمين ، وكتب كتاب الأمان الى بنيامين بطريق القبط ورده الى كرسية بعد أن غاب عن البلاد زهاء ثلاث عشرة سنة فراراً من عسف الروم وظلمهم ، ومنحه السلطان المطلق لأدارة شئون الكنيسة . ناهيك بآطلاق عمرو حرية المعتقدات الدينية للمصريين وعدم التعرض لهم في عاداتهم وتأمينهم على أموالهم ونسأهم وأولادهم ، وما قام به من ضروب الاصلاح وتنظيم الأدارة وتنصيب القضاة ورسم الخطة لجباية الخراج ، الى العناية بالرى مما زاد في ثروة البلاد ورفاهيتها . وقد خفف عمرو

الفتوحات الاسلامية في نظر بني أمية

إن ما أثر عن الفاتحين من العرب في صدر الاسلام ، وإن كان يدل على ما كان عندهم من النزاهة والزهد في حطام الدنيا والاطلاق للمصلحة العامة ، فإن الأناية والجشع لم يلبثا أن وجدا طريقهما الى نفوس العرب واستوليا على قلوبهم لما كان يفاض عليهم من كل ناحية من النعيم والثراء — ذلك الثراء الذي لم يكن مألوفاً لهم والذي كان أقرب الى إفساد النفوس منه الى تهذيب الأخلاق .

ففي مدينة الكوفة جمعت الأسرات البارزة منذ أوائل الفتح العربي مبالغ ضخمة مما كانت تدره عليهم الغنائم والأعطيات السنوية ، حتى إن

عن المصريين عبء الضرائب التي أثقلت كاهلهم في عهد الرومان ، وساوى فيها بين الأهلين . وسار على هذه السياسة من جاء بعده من ولاة المسلمين في هذه البلاد .

أضف الى ذلك مناقضة المؤلف نفسه . فقد ذكر في صفحة ٣ « أن أهل سورية ومصر ، الذين أثقل الرومان كاهلهم بالضرائب القادحة قبل الفتح العربي لم يقاوموا الفاتحين من العرب مقاومة تذكر . وكذلك كان الحال في سواد العراق . . . هذا الى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترع وتوطيد الأمن وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح » . وإذا كان بعض هذه الشعوب قد شكت ظلماً من أمراء المسلمين فإنما كان ذلك بعد صدر الاسلام الذي يمثل الاسلام تمثيلاً صحيحاً . وما حدث بعد ذلك العصر من المظالم إنما يرجع الى سيرة الأمراء لا إلى مبادئ الاسلام نفسه — المترجمان .

كوفيا رحل الى الحرب ومعه أكثر من الف رجل لحمل حاشيته ومتاعه. (١)
وكان الصحابة أنفسهم يملكون الضياع والقصور والثروات الكبيرة. أضاف
الى ذلك ما كانوا يمنحونه من المنح العظيمة (٢). وكان من أثر ذلك أن ثار
أبو ذر في بلاد الشام ودعا الأغنياء وذوى اليسار الى النزول عن جزء من
ممتلكاتهم للفقراء (٣).

وطالما كان يفسد الترف وينتشر الفساد تاركا وراءه الكثير من الحاجات
الجديدة والجلم من مطالب الحياة الملحة. وكانت الاستدانة هي الوسيلة الفذة
لاشباع تلك الحاجات (٤)، تلك الوسيلة التي مهدت السبيل لقيام المؤامرات
كما كانت الحال في رومة. ومن ثم كانت الثورة ضرورية لارضاء جشع
الدائنين. ولا غرو فكثيراً ما كانت تتخذ ذريعة للاستيلاء على مافي بيت
المال من الأموال (٥).

على أنه كانت هناك وسيلة أسهل وأشرف من ذلك كثيراً، وهي
الغزوات وشن الغارات على الكفار. وطالما كان الدافع على ذلك هو شره
الولادة والقواد أكثر من الرغبة في نشر الدين، كما يظهر لنا ذلك في
بلاد خراسان خاصة.

(١) الطبرى ٢ : ٨٠٦ (س ٨ وما يليه)

(٢) المسعودى : مروج الذهب (طبعة Barbier de Meynar)

ج ٤ ص ٢٥٣ وما يليها ، Weil, Geschichte der Khalifen, I.

Von Kremer, Gesch. d. herrschendenideen, P. 230, 352, 166

(٣) الطبرى ١ : ٢٨٥٨ ، Weil, I. 170, Von Kremer I. I. p.

339et Ibid. ann. 15

(٤) الطبرى ١ : ٢٧٥٥ (س ١٢ وما يليه) ، ٢٨١١ (س ١٦ وما يليه) ،

٢ : ١٠٢٧ (س ١٢ وما يليه) ، ١١٨٩ (س ٢ وما يليه) ، اليعقوبى (طبعة

Houtsma) ٢ : ٢٨١ ، ٣٠٠ وما يليها .

(٥) الطبرى ٢ : ١٠٢٨ (٨) ، ١٠٢٩ (٤) .

وقد عقد معظم البلاد المتاخمة لتلك الولايات - طبرستان وطخارستان وبلاد ماوراء النهر - المحالفات مع المسلمين منذ الصدر الأول للدولة الأموية. وكانت هذه المحالفات تكفل لهم حرية التدين وتمنحهم الاستمتاع بشئ من الاستقلال كما كانت تفرض عليهم ضريبة مقررة. ومما لا ريب فيه أن هؤلاء الكفار كثيراً ما كانوا يخرجون على تلك المعاهدات مما كان يضطر المسلمين الى شن الغارات عليهم من جديد وتخريب بلادهم وسبي نساءهم. وطالما كانت تغرى الغنائم (بعد استيلاء بيت المال على الخمس) بعض الفاتحين فيشنون الغارات على بعض الولايات قبل أن يعلنوا الحرب عليها. يؤيد ذلك ما كتبه البلاذري (١) عن حرب جرجان وطبرستان. وأما ما يسميه مؤرخو العرب فتوح يزيد فلم تكن في الواقع الا ضرباً من تلك الحملات التي يجردھا قطاع الطرق على البلاد الآمنة المطمئنة، تلك الفتوح التي أسخط ما ارتكبه فيها من القسوة والعسف الشعوب التي لم تكن تنشده غير السلم.

وإن فيما حدث لسمرقند لمثلاً حياً. فقد فتحت تلك المدينة أبوابها لسعد ابن عثمان بعد أن أبرمت بينه وبينها معاهدة ودفعت له سبعمائة ألف درهم كما قدمت اليه مائة ألف من سكانها رهائن (٢). ثم استولى عليها قتيبة بن مسلم، فطردها أهلها واحتلت جنوده مساكنها - كما روى ذلك مؤرخو العرب - على الرغم من أن سكان هذه المدينة لم يخرجوا على تلك المعاهدة التي كانت بينهم وبين سعد بن عثمان (٢). ولما ارتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة شكوا أهل سمرقند اليه تلك الحالة الجائرة، فأمر أحد قضاة بالنظر في هذه المسألة،

(١) فتوح البلدان (طبعة دي غويه De Goeje) ص ٣٣٤ وما يليها ،

الطبري ٢ : ١٣١٧ وما يليها .

(٢) الطبري ٢ : ١٢٤٥ و ١٢٤٦ (س ١٨) .

Cf. Nerhaki, Description de Bokhara, ed. Schefer, p. 46. (٣)

فقضى بينهم بحكم يكاد يخفى ما انطوى عليه من الخبث حتى على أشد الناس
نزاهة، وذلك أن يتقابل الفريقان من العرب ومن أهل سمرقند تحت أسوار
المدينة، وأن يؤخذوا بالقوة أو أن تعقد معهم محالفة جديدة. ومعنى ذلك
أنه إذا انتصر العرب (وهو ما كان راجحاً، فإن سكان سمرقند كانوا
لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم في أسوارهم) عاملوا أهل سمرقند معاملة من
فتحت بلادهم عنوة، اللهم إلا إذا فضلوا قبول ما عسى أن يفرض العرب عليهم
من الشروط. ومن الجلي أن حكم ذلك القاضي لم يغير تلك الحالة في شيء. (١)
وتبين لنا تلك الحوادث الكثيرة (٢) فكرة العرب ورؤسائهم عن مهمتهم
في الشرق. فقد كان كل واحد منهم يجعل نصب عينيه مصلحة الشخصية
قبل كل شيء. أما الاسلام والعمل على نشره فقد ظل أمراً ثانوياً. من ذلك
أن يزيد بن المهلب لم يقنع بولاية بلاد العراق التي كانت لا تفي بحاجاته، وطامع
في ولاية خراسان لما عساها أن تدره عليه من الثروات الضخمة والأموال
الكثيرة. وقد أنشد أحد الشعراء عند وفاة المهلب بن أبي صفرة:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب. (٣)

ولا غرو فقد كان سخاء ذلك اليميني (المهلب) وبذخه عظيمين، حتى إنه
على الرغم من تجريده من جميع ممتلكاته حين اعتزل الأمانة، ظل مدينة
لبيت المال بمليون درهم، دفع منها مائتي الف — ثمن ما باعه من مجوهرات
ومنقولات زوجته — ثم سدد عنه أحد موالى أسرته (وكان عاملاً في بيت

(١) الطبري ٢ : ١٣٦٤ ، البلاذري ص ٤٢٠ و ٤٢٢ .

(٢) أشير أيضاً الى المراجع التالية ليرجع اليها القارىء إذا أراد :

البلاذري ص ٤١٨ (موسى بن خازم وأهالي ترمذ) . الطبري ٢ : ١٧٩

(س ١٦ ، ١٧) ، البلاذري ص ٤٢٠ و ٤٢٢ ، Schefer, Chres —

tomathie Persane, I. p.28

(٣) الطبري ٢ : ١٢٥١

المال) ثلثائة الف دينار . وأما ما بقي فقد أداه عنه عمه والى مدينة إصطخر
إذ ذاك (١). وبلغ ما كان للحجاج قبل يزيد بن المهلب ستة ملايين من الدراهم
لم يستوف الحجاج منها سوى ثلثائة الف (٢).

من تلك المثل نرى أن ما كان يمتاز به الخلفاء الراشدون من البساطة
فى العيش قد تغير تمام التغير فى عهد من أتى بعدهم من خلفاء بنى أمية .
وليس من العدل أن نتهم الأمويين وخدمهم بذلك فى الوقت الذى كان أبناء
هؤلاء الرجال الذين تم على أيديهم فتح القادسية واليرموك متأثرين بنفس
هذه النزعة التى تأثر بها أبائهم الثملون بنشوة هذه الانتصارات التى أحرزوها
بسيوفهم . ولم يكن بد من أن يكون هناك ثمة أثر عكسى لتلك الفتوحات .
وذلك ما حدث فعلا . والى التارىء ما كتبه المسعودى عن النتائج المحتومة
لذلك الفتح ، تلك العبارة التى تعتبر فريدة فى بابها . وقد ظهر أثر ذلك
لأول مرة فى عهد عثمان بن عفان ، مما حدا بذلك المؤرخ العربى النزيب أن
يقول: « ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة
ومطريقة بينة . فأين عمر عن ذكرنا وأين هو عما وصفنا ؟ (٣) » .

وقد قال رتبيل (أمير سجستان) يوما لأصحابه : « ما فعل قوم كانوا
يأتون خصا × البطون سود الوجوه من الصلاة لعالمهم خوص ؟ . . . فقد
كانوا أوفى منكم عهداً وأشد بأسا وإن كنتم أحسن وجوها » (٤) .
ومع هذا فقد كان الأمويون يختارون عمالمهم وولاتهم من بين أولئك

(١) الطبرى ٢ : ١٠٣٤

(٢) شرحه ٢ : ١٢١٣

(٣) المسعودى (مروج الذهب) ج ٤ ص ٢٥٥ (لا ٢٥٣ كما ذكر
المؤلف) وما يليها .

× بمعنى جياع .

(٤) البلاذرى ص ٤٠٠ وما يليها .

الممهدين في النعمة والترف، والذين تعودوا الاستمتاع بما في الحياة من عبث وهو دون أن يذوقوا عناء العمل ومشقته .

لذلك لاندھش اذا كانت الروح التي سادت في عهد بني أمية روحا غير دينية . ولن تعوزنا الأدلة على صحة ما تقول . فقد كان في الحملات التي جردوها والذارات التي شنوها على الكفار أكبر شاهد على صحة ما ذهبنا اليه . بقي عاينا بعد ذلك أن نعرض لتلك الروح التي كانت تسيطر على النظام الاداري في الولايات الإسلامية في عهد بني أمية .

الخراج

لم يشغل نظام الضرائب الذي سنه عمر بن الخطاب كاهل الأهلين على ما ذهب اليه الأستاذ فون كريمير (Von kremer) . وقد أضاف الى ذلك أن الذي كان يسخط أهالي السواد (١) ويزيد في حنقهم إنما هي الطريقة التي كان يسلكها عمال الخراج في جباية تلك الأموال . يتبين لنا هذا أيضا مما حدث في مصر ؛ فقد كانت خراجها مليونين من الدراهم (؟) في ولاية عمرو بن العاص . ولم يلبث ذلك الخراج أن بلغ أربعة ملايين من الدراهم (؟) × في

ويعزى الى دينار أمير نهاوند مثل هذا الرأي عن العرب وقبولهم للرشوة .
الطبري ١ : ٢٦٣١ (س ١٧ و ما يليه) .

(١) Streifzüge auf dem gebiete des Islams, p. 19.

× قد أخطأ فان فلوتن في نقله عن البلاذري . فكل ما ذكره البلاذري أن عمرا « جبي خراج مصر وجزيرتها ألفي الف وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف الف » . والمراد بها هنا الدنانير دون الدراهم . فقد ذكر البلاذري في مكان آخر « أن عمرو بن العاص وضع الخراج على مصر فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أراذب طعاما وعلى رأس كل حالم دينارين » .

ولاية خلفه (١) . ويتضح من ذلك أن عمر بن الخطاب لم يضع نظاما ثابتا لتلك الضرائب . ويرى فون كريم أن خراج مصر إنما زاد هذه الزيادة على أثر تعديل الجزية يجعلها أربعة دنانير بدلا من دينارين (٢) . ولا أدري أين ذكر هذا التعديل . على أن ما ذكره البلاذري يفسر لنا ذلك حيث يقول : « قال عثمان لعمر إن اللقاح بمصر بعدك قد درت ألبانها » . فقال عمرو « لأنكم أعجمتم أولادها » .

وكان الحال أسوأ من ذلك بكثير في عهد بني أمية ، إذ لم يكن لزاما في نظر هؤلاء الخلفاء ولا في نظر ولاة الأقاليم أن يراعوا التواعد التي قررها أسلافهم . وقد كتب معاوية إلى وردان واليه على مصر « أن زد على كل امرئ من التبيط قيراطا . فكتب إليه وردان : كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزداد عليهم ؟ » (٣) .

على أن ما ذكره البلاذري بعيسد التصديق ، إذ لو خصصنا جزية الرءوس مليوننا اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف إذا فرضنا أن من فرضت عليهم الجزية كانوا ربيع السكان . ولا غرو فإن الجزية لم تفرض إلا على البالغين دون الشيوخ والنساء والاطفال .

وأبعد من هذا ما ذكره ابن عبد الحكم (فتوح مصر ص ٧٨) من أن عدد من ضربت عليهم الجزية من المصريين في عهد عمرو بن العاص كان ثمانية آلاف الف (٨٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠) . وعلى ذلك يكون عدد سكان مصر ٣٢ مليون نسمة - وهو غير معقول - إذ لو كان هذا العدد صحيحا لبلغت جزية الرءوس وحدها ١٦ مليون من الدنانير . ونحن نميل إلى الأخذ بما رواه المقرئ (الخطاط ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠) من أن خراج مصر بلغ في ولاية عمرو بن العاص ١٢ مليون من الدنانير بما في ذلك جزية الرءوس - المترجمان .

(١) البلاذري ص ٢١٦ و ٢١٨ .

Culturgeschichte, I. 61.

(٢)

Von Hammer : Ueber die

(٣) البلاذري ص ٢١٧ ؛

ومن هذا يتبين لنا أن الأمويين كانوا يتجاوزون حدود الضرائب التي فرضتها النظم القديمة . ولم يكن الحال ببلاد اليمن خيراً من ذلك . فقد ارتكب فيها أحد أخوة الحجاج شراً أنواع الجور والعسف . فكان يصادر أملاك الأهالي وأموالهم ، كما أثار حنقهم وسخطهم بفرضه عليهم ضريبة معينة (وظيفة) ، وذلك عدا العشر الذي قرره الاسلام ^(١) . وإن حدوث هذا في ولاية عربية محضة له معناه ، فهو يبين لنا أن الحالة كانت أسوأ من ذلك بكثير في البلاد التي فتحها العرب . وقد اعتاد جباة الخراج في بلاد فارس تقويم المحاصيل قبل زمن الحصاد وإرغام المزارعين على النزول لهم عنها بشمن أقل من الثمن الذي يتبايع به الناس ^(٢) . وإن ما ورد من التفاصيل في كتاب الخراج لأبي يوسف ليكشف لنا عن نظام الإدارة ببلاد الجزيرة في عهد بني أمية . فقد

Länderverwaltung unter dem Khalifate, p. 83 suiv, Karabaceck, das Arabische Papier (Mittheil. a. d. Papier. Erz. Raine I:) , P.91
الطبرى ١ : ٢٥٨٤ . كان يكتب الخلفاء الأمويون الى ولايتهم بمصر أن هذه البلاد قد فتحت عنوة وأن أهلها أرقاء ، للحكومة الحق في أن تزيد في مقدار الجزية المفروضة عليهم ، وأن تعاملهم كما تريد . انظر أيضاً .

Dozy, Histoire des Musulmans d' Espagne, I. 233

(١) البلاذرى ص ٧٣

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات (Cod Goth . 1748) f. 2423r
وكتب صمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة بلغنى أن عمالك يخرصون (الخرص الحرز وهو التكهن او الحكم بالظن) الثمار على أهلها ثم يقومونها بسعر دون سعر الناس الذين يتبايعون به فيأخذونها قرفاً (القرف القشر . وقرف الخبز ما ينتشر منه ويبقى في التنور . وقرف الأرض ما يقتلع منها مع البقول والعروق ولحاء الشجر . والمراد أخذ الشيء بقيمة تافهة) على قيمتهم التي قوموها ، وأن طوائف من الأكراد يأخذون العشر من الطريق .

أضاف زياد بن غنم الفهرى والى هذه البلاد فى عهد عمر بن الخطاب من تلقاء نفسه ديناراً فوق الضريبة المقررة التى كانت تؤخذ عينا (١) . على أن ذلك لم يكف لسد جشع الضحاك بن عبد الرحمن والى هذه البلاد فى عهد عبد الملك . فقد أمر بعمل إحصاء جديد للسكان عامة ، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة . ومعنى ذلك أن كل فرد كان ملزماً بأن يبين قيمة كسبه طيلة العام ، فيترك الوالى له ثمن الكسوة والغذاء وبعض النفقات الضرورية ، ثم يستولى على مابقى باسم بيت المال . وكان من أثر ذلك أن زادت جزية كل شخص ثلاثة دنانير عما كانت عليه من قبل (٢) . كذلك كان الحال فى بلاد العراق حيث كانت تزيد الضرائب الاستثنائية فى عبء ما كان يثقل الأهلىن من الضرائب المقررة . وقد أمر عمر بن عبد العزيز جبابة الخراج أن لا يأخذوا من الأهلى من الدراهم ما زاد وزنه على أربعة عشر قيراطاً (٣) ، وهو ما أمر به عمر بن الخطاب ؛ وقد رأى أن العمال كانوا يأخذون دراهم أثقل وزناً من تلك الدراهم التى فرضها الخليفة الثانى مما كان يزيد زيادة فاحشة فى الضرائب التى كان يدفعها الأهلى . ويتبين لنا من ذلك النظام الذى أقره عمر بن الخطاب أن الأهلىن كانوا يدفعون عدا الضريبة المقررة نفقات صك النقود وضربها وكذا نفقات العقود الرسمية ومرتببات

(١) كتاب الخراج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٢ هـ) ص ٢٣ (فى النهاية) .
ويؤخذ من قول أبى يوسف « فلم يبلغنى أن هذا على صلح ولا على أمر أثبتته
ولا برواية عن الفقهاء ولا باسناد ثابت » أن النظام الذى أدخله عمر لم يتناول
بلاد الجزيرة كما ذهب الى ذلك فون كريمر (Culturgeschichte, I. P. 60) .

(٢) كتاب الخراج (ص ٢٣)

(٣) شرحه ص ٤٩ والطبرى ٢ : ١٣٦٦ و Fragmentahistoricorum

عمال الأدارة . هذا عدا هدايا النيروز والمهرجان التي لم تلبث أن أصبحت عبئا على عبء^(١) .

على أن تلك الأموال المقررة والضرائب الاستثنائية ، وإن أثقلت كاهل أهالي البلاد المغلوبة ، لم تكن وحدها كل ما في النظام الأدارى من نقص ، ذلك النظام الذى لم يكن يرمى إلا إلى غاية واحدة هي جباية الأموال . فقد كان ثمة ما هو أدهى من ذلك وأخطر ، ذلك هو ما عرف عن هؤلاء العمال من الخيانة والعبث بأموال الدولة وإسراف بيت المال وانفاقه الأموال عن سعة — تلك المثالب التي لا تقل خطورة عما تقدم . ولا غرو فقد كانت تتخذ إمرة إحدى الولايات وسيلة للحصول على الثروة وجمع المال من باب غير شريف . يدل على ذلك أيضا ما شاع على الألسن في تلك الولايات « أكل ولاية أو حلها كما تحلب الناقة » — تلك العبارة التي طالما كانت تستعمل للدلالة على ذلك المنصب^(٢) .

وطالما قدمت الشكايات الكثيرة منذ أيام عمر بن الخطاب ضد الولاة وعمال الخراج الذين كانوا يجمعون الأموال لأنفسهم باسم الدولة . وقد نقل لنا البلاذرى (ص ٣٨٤) قصيدة غاية في الغرابة يتهم فيها صاحبها عدداً كبيراً من المحافظين وحكام الرساتيق والمدن في خوزستان وفارس وميديا الذين كانوا — كما يقول — « يسيغون مال الله في الأدم الوفير » ، نذكر منها هذا البيت :

نؤوب إذا أبوا ونغزوا إذا غزوا فأنى لهم وفرّ ولسنا أولى وفر
وقلما كان يمجد الولاة عناء في إخفاء خياتهم واختلاسهم . فترى بعض الحكام في أواخر عهدهم بالولاية يطلبون من الخليفة أن يعنى من كان

(١) اليعقوبى ج ٢ ص ٢٥٨ ومايلها ، الطبرى ٢ : ٦٥ (س ٩) ، ١٦٣٦ ،

ابن الاثير ج ٣ ص ٩٩

(٢) الطبرى ٢ : ١٠٢٩ (س ٢٦) ، البلاذرى ص ٩٤ ، ٢١٦ ، ٤١٤

تحت إشرافهم من الموظفين من أن يقدموا بياناً دقيقاً عما جمعه من الأموال أثناء ولايتهم لتلك الأقاليم^(١). وقد سنَّ عمر بن الخطاب نظاماً لملافاة تلك المثالب الادارية، فوضع نظام « المقاسمة »، وذلك بعمل احصاء دقيق لثروة الولاية قبل توليتهم ثم إزامهم عند اعتزالهم أعمالهم بدفع نصف الأموال التي جمعوها أثناء ولايتهم والتي لا تسمح بها روايتهم^(٢). وعلى هذا رد معاوية إلى بيت المال نصف الثروة التي جمعها « ليطيب له الباقي »^(٣). وقد اتبع معاوية مع موظفيه نفس هذه الطريقة (المقاسمة) عند ماولى الخلافة^(٤).

ولم يكن الرؤساء وحدهم هم الذين يثرون على حساب بيت المال. فقد كان هناك طائفة من صغار الموظفين لا هم لهم إلا الأثراء باختلاس أموال الدولة وسلبهم كل ما يصل إلى أيديهم. وكان من أثر تلك الصعوبات التي كانت تعترض الحكومة في سبيل استرداد تلك الأموال أن فكر والى العراق (عبيد الله بن زياد) في استبدال أولئك العمال من العرب بغيرهم من الفرس. ومن ذلك الحين كان يعهد إلى الدهاقين (كبار ملاك الأراضى من هؤلاء) بحماية الخراج. ولا غرو فقد كان هؤلاء الدهاقين « أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة »^(٥). على أن بعض الموظفين قد استطاع بالرغم من ذلك جمع الثروات الضخمة، إذ كانوا يضعون الأموال التي يجمعونها أمانة عند أصدقائهم أو ذوى قربانهم. وكان بعض الولاية من ذوى المآرب الشخصية في الإبقاء على

(١) الطبرى ٢ : ٦٩ .

(٢) البلاذرى ص ٨٢ و ٢١٧ و ٣٨٥ ؛ الطبرى ١ : ٢٨٦٤ س ٤ .

وقد تكلم اليعقوبى (ج ٢ ص ١٨١) عن بعض نواحي الضعف في

هذا النظام .

(٣) الطبرى ٢ : ٢٠٢ (س ٦ وما يليه)

(٤) اليعقوبى ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٥) الطبرى ٢ : ٤٥٨ و ٩٩٥ (س ١٩) .

بعض خالصاتهم في تلك المناصب النفعية يغمضون أعينهم عن كل ما كان يرتكبه هؤلاء مع الأهلين من جور وعسف (١).

قد بينا قبل كيف كان الخلفاء الراشدون يحاولون أن يستردوا الى بيت المال ولو جزءاً يسيراً من تلك الأموال التي كان يجمعها العمال ظلماً. أما الأمويون فقد سنوا نظاماً غاية في الدقة للأشراف على جباية تلك الأموال. ففي عهد عبد الملك بن مروان كان يعمل تحقيق دقيق مع الجباة وموظفي الخراج عند اعتراضهم أعمالهم الإدارية. وكانوا يعذبون حتى يقرروا بأسماء من أودعوا عندهم ودائعهم وأموالهم ويردوا الى بيت المال ما سلبوه من الأموال، وهو ما يسمى بالاستخراج أو التشفيف (٢). وكان للتحقيق مع هؤلاء أماكن خاصة تسمى «دار الاستخراج». وكان ذلك التحقيق لا يلبث أن يتجاوز الحدود المشروعة ويفدو من شر وسائل الأخذ بالتأثر والانتقام الشخصي، ذلك الانتقام الذي كان يصبه عليهم حنق أولئك العمال المستبدين وتعطشهم للثروة ونهمهم للمال. وقد عم الفساد في آخر عهد بني أمية، حتى كان أول ما يقوم به الوالي من الأعمال حبس سلفه ومن اليه من الموظفين والصنائع والأتباع، ثم إطلاق من حبسهم وضيق عليهم ذلك الوالي السابق. وكان خالد بن عبد الله القسري والي العراق يتناول راتباً سنوياً قدره ٢٠ مليوناً من الدراهم، بينما كان ما يخلسه يتجاوز المائة مليون. وقد حبسه يوسف بن عمر هو وثلثمائة وخمسين من موظفيه. وبذلك استطاع أن

(١) راجع أيضاً ما ذكره أبو يوسف من المعلومات الطريفة في كتاب

الخراج ص ٦١ (س ١٦ وما يليه).

(٢) الطبري ٣ : ٥٠٢ ؛ العقد الفريد (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٣) ج ١

ص ١٧٩ ج ٣ ص ١٣. وتدل كل من كلمة «توظيف» (اليعقوبي ج ٢

ص ٣٨٨) وكلمة «استيفاء» (الطبري ٢ : ١٤٦٠) على شيء واحد.

يسترده منه أكثر من ٧٠ مليوناً (١) .
كل هذه الأموال الكثيرة والثروات الضخمة تحمل الانسان على أن يبحث عن الوسائل والطرق التي جمعت بها ، كما أنها تسهل عليه في الوقت نفسه إدراك النتائج السيئة لذلك النظام الذي كان متبعاً في جباية الخراج . كان الموظفون وعمال الخراج ، الذين لا يرتابون فيما ينتظرهم عند اعتراضهم أعمالهم والذين لم يريدوا أن يدعوا تلك الفرصة للأثراء وجمع الأموال الضخمة تمر بهم دون أن ينتهزوها ، لا يترددون في أن يرهقوا الأهالي ويشقوهم بأنواع الضرائب المختلفة . وهكذا كانوا يستطيعون وقت التحقيق معهم أن يؤدوا الى الحكومة جزءاً من تلك الأموال ليطيب لهم الاستمتاع بجزء كبير من تلك الثروات التي كدسوها . وبما لا ريب فيه أن عبء ذلك الجور الذي كان يتزايد من حين الى آخر إنما كان يقع على كاهل تلك الشعوب المغلوبة على أمرها ، التي قلما كانت تصل شكاياتها الى السلطة المركزية للحكومة (٢) ، والتي كانت تجبي منها تلك الأموال بكل وسائل العسف والتعذيب .

وكانت الطريقة التي تجبي بها هذه الأموال مخجلة على ما ذكره الفقهاء . ففي اليوم المحدد لجباية تلك الأموال كان يذهب المطالبون بها الى ديوان الخراج حيث يجلس عامل الخراج على أريكة عالية ، ثم يتقدم إليه هؤلاء أذلاء خاضعين ، فيمد الواحد منهم يده التي يحمل فيها الضريبة فيدفعها بحيث تكون يد عامل الخراج فوق يده ، ثم يصفعه بعض الحاضرين صفعه يشيعه بها الى الباب . وكان عامة الشعب يحضرون تلك المناظر التي كانوا يعتبرونها

(١) الطبري ٢ : ١٥٨١ و ١٧٦٤ و ١٨٤١ ؛ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥٥

(٢) يرجع الى الطبري (٢ : ١٣٥٤ أو الملحق رقم ٣) لمعرفة أعمال

السفراء الذين كانوا يوفدون الى مقر الخلافة لبيسط تلك الشكايات .

رمزاً لانتصار المسلمين على الكفار (١) .
وأما من عجز عن تأدية الخراج فكان الجبابة يسلكون معه بعض وسائل التعذيب . من ذلك تعريضه للشمس المحرقة ، ذلك التعذيب الذي كان يضاعف أحيانا بصب الزيت على الشخص المعذب .

وكانوا يلزمونهم بحمل بعض الحجارة أو جرار الماء في رقابهم ، كما كانوا يوقفونهم على قدم واحدة ساعات طويلة ثم يوثقونهم بحيث لا يستطيعون السجود للصلاة (٢) . وفي بلاد ماوراء النهر كان يدع عمال الخراج الدهاقين في الشمس نازعين عنهم ثيابهم ثم يرمونهم بزنانيرهم في وجوههم (٣) × .

(١) Karabaceck, das Arabische, P. 87

(٢) كتاب الخراج ص ١٨ و ٦١ و ٧٠ و ٧١

(٣) أنظر الطبرى ٢ : ١٥١٠

× نشك كثيراً في صحة ما نقله فان فلوتن عن كتاب karabaceck, das Arabische Papier, p. 87 فيما يتعلق بالطريقة التي كان يجبي بها المسلمون الخراج . والذي يغلب على الظن أن هذا مدسوس على فقهاء المسلمين ، لاسيما وأنه لم يذكر لنا المرجع العربي الذي أخذ عنه صاحب هذا الكتاب .
على أن هذا على فرض صحته لا ينهض دليلاً على ما ذهب اليه فان فلوتن ، إذ أن ما ذكره لم يعد أن يكون رأياً من آراء بعض الفقهاء . ولم تكن أقوال الفقهاء وآراء المشرعين في يوم من الأيام حجة للحكم على شعب من الشعوب بحكم من الأحكام ، وإنما يعتمد على الحوادث الجزئية والأمثلة التاريخية في تقدير تلك الآراء والحكم بصحتها . وقد أدلى المؤلف برأيه أعزل من كل دليل معطلا من كل حجة ، إذ لم يذكر لنا حادثة معينة تدل على أن المسلمين كانوا يجبون الأموال من أهالي البلاد التي فتحوها على هذا النحو . ولا تعوزنا المثل الصحيحة على فساد ذلك الرأي . ولاغرو فان كتب الحديث حافلة بالنهي عن المثلة والعطف على الضعفاء والرفق بالحيوان بله الانسان .
أضف الى ذلك وصايا الخلفاء الراشدين لأمرء الجنود . من ذلك وصية

حالة الموالى السياسية والاجتماعية

أخشى أن يتهمنى القارىء حين أقدم له تلك الصورة السوداء لحكم بنى أمية بأننى أحاول أن أطبق تلك المثل التى أتينا على ذكرها على جميع الاقاليم التى كانت تحت سلطان الأمويين ، أو على الأقل طيلة عهد بنى أمية . على أن ما ذكرته من نقص وعيب فى حكم الأمويين لم يكن استعراضاً لتلك الحوادث التى تروىها لنا المصادر التى اعتمدنا عليها . ومع ذلك فلا مندوحة من التسليم بصحة هاتين الملاحظتين : (١) إننا لانعلم إلا الجزء اليسير مما نزل بالشعوب المحكومة من ألم وحييف رغم التسليم بنزاهة المصادر العربية وعدم تحيزها فيما يتعلق بحالة تلك الشعوب (٢) إن ما ترويه لنا تلك المصادر مهما كان ناقصاً وضئيفاً انه يبرر الرأى الذى ذهبنا اليه ، وذلك بتأييدها الحكم الذى ذكرناه آنفاً عن بنى أمية وحكومتهم : ذلك أن المسألة لم تصبح بعد فى نظرهم مسألة دعاية دينية بل مسألة نهب وتخريب يشوبه شئ من النظام . ولكن قد يتساءل المرء : ألم تكن ثمة وسيلة لمن فرضت عليهم الجزية يتفادون بها ذلك الخراج وتلك الضرائب ؟ ألم تكن هناك تلك الوسيلة

أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد وجنده عند رحيلهم الى الشام (الطبرى ج ٣ ص ٢١٣) « يا أيها الناس ! ففوا أوصكم بعشر احفظوها عنى ، لا تخونوا ولا تغلوا (تخونوا) ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كاه . وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

كذلك عهد عمر لأهل إيلياء (الطبرى ج ٤ ص ١٥٩) . انظر ص ٨٤٧

بهامش هذا الكتاب - المترجمان .

الفذة ، وهي خروج المغلوبين عن أملاكهم العقارية واعتناقهم الاسلام وانضمامهم إلى صفوف الفاتحين من العرب يقاسمونهم تلك الغنائم التي كانوا يدفعونها اليهم من قبل ؟ .

بلى ! وذلك ما فطن له واستغله منذ اللحظة الأولى معظم الدهاقين وهم ملاك الأراضى من الفرس . وقد أكسبهم ما كان لهم من السيادة أيام حكومتهم الأولى نفوذاً كبيراً على الرعايا من صغار الزراع . ومن ثم لم يلبث هؤلاء أن أسندت اليهم المناصب الإدارية الهامة وجباية الأموال الأميرية ، وذلك بفضل ما كان لهم من معرفة تامة بتلك البلاد وحال أهلها . ولذلك أصبح هؤلاء الدهاقين بطانة للحكومة ، تتخذ منهم الجواسيس والمنفوضين السياسيين ^(١) . وهكذا احتفظت طائفة النبلاء الأقطاعيين من أهل فارس بما بقى لهم من سلطان باعتناقهم الاسلام ، كما جمعوا الثروات الضخمة وتمتعوا بنفوذ كبير وذلك باستثمارهم بجباية الخراج ^(٢) .

بقى علينا أن نبين حال الطبقة الدنيا من هؤلاء الذين كان يسميهم مؤرخو العرب العلاج . وإن ما كتبه المؤرخون لن يدع في نفس القارىء شكاً في حالة هؤلاء . فإن اعتناقهم الاسلام لم يأت لهم بخير ، اللهم إلا ذلك الأمل الضائع والفشل المر . فقد وقف طمع العرب وكبرياؤهم ثم شرهم ونهمهم عقبية كأداء في سبيل إصلاح ذلك العنصر المضطهد رغم اعتناقه الاسلام . وهذا ما سنعرض له ، بادئين بذكر الحالة الاجتماعية لأولئك الجدد في الاسلام أولاً ، معقبين على ذلك بالكلام عن حقوقهم السياسية .

أما أولى تلك المسائل فسوف لا يصعب علينا معالجتها ، وذلك بفضل

(١) الطبرى ٢ : ٤٩٢ .

(٢) Von kremer, Streifzüge , p. 14 et ibid. n. 4.

البحوث التي قام بها كل من الأستاذين فون كريمير وجولدتزيهر^(١) . لا يخفى أن المسلمين من غير العرب قد أحلقوا منذ اعتناقهم الاسلام ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالى لتلك القبائل . ومن ذلك الحين نرى أن حالة الموالى التي كان لا يشوبها أية شائبة من شوائب الخمسة أو الانحطاط قد غدت على النقيض من ذلك منذ اللحظة التي ابتداءً يزيد فيها عدد من فرضت عليهم الجزية من أولئك الموالى زيادة كبيرة . هذا الى ما كان من احتقار العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب أولئك الموالى واعتبارهم أيام طائفة منحلة لاتكاد تختلف عن طائفة الرقيق في شيء ، وذلك لامتهانهم طبقات العمال التي نشأ منها هؤلاء وازدراءهم تلك المهن التي كانوا يزاولونها . وليس بعيداً — على ما يظهر لي — أن يكون لما في كلمة مولى من اللبس — تلك الكرامة التي طالما كانت تطلق أيضاً على الرقيق المعتق — أثر كبير في احتقار العرب لتلك الطائفة . ولاغرو فقد شاع عند العرب إطلاق لفظ عبد أو رقيق على المولى^(٢) ، كما كانوا عدا ذلك ينادونهم بألقابهم دون أسمائهم كما ينادون الرقيق^(٣) . وإذا ما أرادوا الزواج فلم يكن بدمن الرجوع إلى أسيادهم الذين كان لهم حق المعارضة في تلك العقود . وكانوا بمعزل عن باقي الجيش ، لهم رؤساؤهم الخاصون بهم ، كذلك لا يبعد أنهم كانوا

(١) Von Kremer, Culturgeschichte II. 154 suiv. ; Streifzüge, p. 15 suiv. ; Goldziher, Islamische Studien, I. 104 suiv.

(٢) كتاب الاغانى ج ٥ ص ١٥٥ ؛ الطبرى ٢ : ٦٨٤ ؛ Van Gelder, Mokhtar, p. P.52

Dozy, Hist. des Musulmans'd. Espagne, II. 72 cf.

ليس من المحقق ان ما ورد في الطبرى (٢ : ٥٩٦) (س ١٨) ، ٦٢٣ (س ٥) له أية علاقة بالموالى .

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٩٠ .

يحاربون راجلين (١). وكانوا يقنعون بأحط الأماكن وأردتها في الاجتماعات ولا يدخلون مساجد العرب ، إذ كانت لهم مساجد خاصة بهم × × .
حسبنا تلك المثل الناطقة فأنها وحدها تكفي لأن تمدنا بفكرة واضحة عن حالة أولئك الموالي الاجتماعية . ونحيل القارئ المتعطر للاستزادة في هذا الموضوع الى مؤلفات الاستاذين فون كريمر وجولد تزيهر التي أشرنا اليها قبل . وسنمضي الآن في استقصاء حالتهم السياسية لنبين أن جور الحكومة معهم قد انتهى الى عدم اعترافها لهم بشئ من الحقوق التي كانت لأخوانهم من العرب . ولا يفوتنا أن نذكر أن النظام الذي أقره عمر ، والذي يجده القارئ في كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري ص ٤٦١ ،
Von kremer, Cuffturgeschichte, I. 167 suiv. كان يفرض لكل مسلم دوّن اسمه في سجلات الحكومة (الديوان) مكافأة سنوية عن خدماته الحربية (وهي العطاء) ، عدا ما كان يمنحه من الاجر (فريضة) لابنائه ، لا فرق في ذلك بين العرب والموالي .

على أن هناك أمرا آخر جديرا بالملاحظة ، ذلك أن عدد هؤلاء لم يكن كبيرا في عهد هذا الخليفة . لذلك أصبح العطاء وقفا على الدهاقين الذين

(١) الطبري ٢ : ١٩٢٠ (س ٤) . قال أمير خراسان لأحد العرب من حاشيته : « وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ويجعلهم في الرجالة » . ويظهر أن هذا كان خاصا بالذميين (أنظر مقدمة كتاب البلاذري والطبري ٢ : ١٢٥٢ (٤) ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٩٢ وما يليها) .
ويغلب على ظني أن الجند الرجالة لم يكونوا غير الموالي أنفسهم .

Opkomst der Abbasiden, pp 98. 105 (n 1)

× × هذه مسألة قومية بحتة لا دخل للدين فيها . ولا غرو فقد دعا الاسلام إلى المساواة بين جميع المسلمين لا فرق بين عربي ومولى وإحلال العصبية الدينية محل العصبية القومية — المترجمان .

ساعدوا العرب في فتوحاتهم (١) . ويمكننا أن نستخلص مما ذكره البلاذري أن العرب في ذلك الوقت لم يكن يحفظهم أن يقاسمهم غيرهم ممن دخلوا في الإسلام من غير العرب نصيبهم من الغنائم (٢) . وقد ذكر اليعقوبي أن عليا وحده هو الذي تمسك بالقواعد القديمة (٣) . ولا نعلم تمام العلم الى أي حد اتبع الامويون الطريقة التي خطها عمر فيما يتعلق بالأعطيات السنوية . على أنه لا مندوحة من أن تفرض ذلك الفرض، وهو أنهم قد أنقصوا نقصا كبيرا أعطية هؤلاء الذين باءوا بسخطهم (كالعلوين مثلا) ، كما استبدوا بما في بيت المال من الاموال يبذلونها لأفراد أسرهم (٤) . ومع ذلك فقد كان الأمويون على جانب كبير من الحكمة وبعد النظر لتلافي ما عساه يجره عليهم ذلك النظام الذي كان يقضى بنقص عطاء رعاياهم من العرب عن القدر الذي فرضه لهم عمر بن الخطاب . ولا غرو فقد عرفوا سلطان المال على النفوس . وسرى الى أي حد كانوا يحسنون استخدامه ويشترون به حيدة خصومهم . أما الموالى فكانوا على العكس من ذلك . فقد زاد عددهم في المدن ، وبخاصة في بلاد العراق ، للأسباب التي سنذكرها . كانت البلاد التي يفتحها العرب عنوة (كسواد العراق كله تقريبا وكذا سورية ومصر) تصبح وقفا على المسلمين . فكان الأهالي (الزراع) يظلون في زراعتها على أن يقدموا للفاتحين جزءا من الغلة ضريبة عقارية (خراج) ، بينما كانوا يستمتعون بحرية التدين وحماية المسلمين لهم نظير مبلغ معين يدفع عن رأس كل فرد يسمى جزية (وهي الضريبة الشخصية) (٥) . وكانوا يعفون من تلك الجزية إذا اعتنقوا

(١) البلاذري ص ٥٧ في النهاية .

(٢) شرحه ص ٥٧ : (٣) .

(٣) اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٣

(٤) الطبري ٢ : ٥٣٤ و ١٠٢٠ (١١) .

Von kremer, Gesch. der herrsch. Ideen, p.336 suiv., 393 suiv.

(٥) يجب ألا تخلط بين هذه الضريبة المسماة جزية الرؤوس وبين الخراج

الأسلام مع بقائهم على دفع الخراج (١) . ومن ثم لا ندهش أن نرى الجهم
الغفير منهم يفضل ترك ما يملكه من الأرض والرحيل الى المدن والأقامة بها
جنباً لجنب مع العرب ليعاونوهم إذا ما طلبوا مساعدتهم ، ولا سيما بعد وقوفنا
على ما كان في نظام الخراج وجبايته من سوء ونقص .

وكان لزاماً أن تعرض تلك المشكلة ، مشكلة توزيع أجور تلك النجيدات
الجديدة . ومن السهل علينا أن ندرك إلى أي حد كانت تختلف وجهة نظر
كل من العرب والموالي فيما يتعلق بهذه الأجور بقدر ما كان هناك من
التعارض بين مصالح كل من الفريقين . أما العرب فأنهم لم يرضوا أن يقاسمهم
الموالي ثمرات ما يفتحونه من البلاد تلك المقاسمة التي كانت تنقص نصيبهم
منها تقصاً محسوساً . وأما الموالي فكانوا على العكس من ذلك يزعمون أن
العطاء إنما هو حق لجميع المسلمين (٢) .

وقد ظهر أثر ذلك لأول مرة في الثورة التي أثارها المختار في عهد
مروان الأول بعد أن ضمن مساعدة العنصرين العربي والفرسي من أهل
الكوفة . وما ندهش له نقص العرب الذين اشتركوا في تلك الثورة
تقصاً مطرداً ، بقدر ما كان يزيد عدد الموالي الذين استمالهم اليه زعيم
تلك الثورة زيادة كبيرة بما كان يدره عليهم من العطاء . ولا غرو فإنه
« لم يكن فيما أحدث المختار شيئاً هو أعظم عليهم من أن يروا
المختار يمنح الموالي نصيبهم من الفيء (هو المال الذي تدره عليهم
البلاد التي كانوا يفتحونها) » . وطالما كانوا يقولون له : « عمدت إلى
موالينا ، وهم في أفاء الله علينا ، وهذه البلاد جميعاً . فأعتقنا رقابهم

وهو الجزية العقارية كما سبقت الإشارة إليه (ص ٢) — ص ١٥ من الترجمة
Van Berchem, op. cit. 35

(١)

(٢) الطبري ٢ : ١٣٥٤

نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا » (١)

وليس أدل على شعور العرب نحو غيرهم من الشعوب الأخرى من تلك العقيدة التي كانوا يدينون بها ، وهي أن أملاك الأجنبي وأرضهم ثمن لتركهم لهم حرية البقاء على وثنييتهم ، كما أنها جزاء من الله للمؤمنين منهم . ولم يكن بد من أن ينتهي هذا الزعم بتعصب الشعب العربي لبني جنسه وتشبته بأرجحيته وأفضليته على من سواه من العناصر الأخرى . ولم يرض الفاتحون من العرب الذين لم يكن بد من أن تنتهي مهمتهم بمجرد اعتناق الشعوب المغلوبة للإسلام أن يتركوا ثمرات فتوحاتهم . وكان لذلك أسوأ الأثر لاسيما في أيام الحجاج والى العراق من قبيل عبد الملك ثم من قبل الوليد ، ذلك الوالى الذى اشتهر بالقسوة والشدة .

ولقد شغل ازدياد دخول هؤلاء في الإسلام ، ولا سيما أولئك الذين ظهرت فيهم روح التمرد في ثورة المختار ، بال الحكومة في نفس الوقت الذى تدهورت فيه ماليتها بسبب إحمال كثير من الولايات أيام الحجاج الذى اختاره بلاط دمشق لعلاج الأمور في بلاد العراق .

وتتلخص سياسة ذلك الأمير الجديد في هذه الكلمات : يجب أن تعود بلاد العراق — مهد المعارضة التى قام بها الموالى — معقلا للجيش العربى كما كانت من قبل . وهكذا اضطر الموالى الذين كانوا يتظلمون إلى مساواتهم مساواة تامة بأخوانهم فى الدين من العرب للعودة الى أرضهم ودفعهم الجزية كما كانوا يدفعونها من قبل .

وإننا لمدينون أيضا للأستاذ فون كريمر بتلك المعلومات عن ذلك الحادث

(١) الطبرى ٢ : ٦٥٠ وما يليها .

الهام في تاريخ الدولة العربية . ولا بد أن يكون القارىء قد وقف على ذلك في كتابه «Culturgeschichte des Orients»^(١) ورأى كيف استطاع الحجاج أن يرغم هؤلاء الجدد في الأسلام على دفع الضريبة التي كان يدفعها الكفار ثم تلك المقاومة العنيفة التي قاوموا بها الحجاج بانضمامهم الى صفوف عبد الرحمن بن الاشعث الذي أشعل نار الثورة على بنى أمية . وقد أخذ تلك الثورة ما أريق فيها من أمواج الدماء المتلاطمة . ولكي ترد الحكومة هؤلاء الموالي الى واجبهم نحو الفاتحين وتسد في وجههم كل أمل في تحسين حالهم ، طردتهم وأرسلتهم الى قراهم بعد أن وشمّت أسماءها على أيديهم .

وقد روى لنا مؤرخو العرب نتائج تلك السياسة القاسية التي كان الغرض منها العودة بنظام الضرائب الى ما كان عليه من قبل . فقد أجمع هؤلاء على القول بأن بلاد العراق كانت بعد الحجاج أسوأ البلاد حالا^(٢) . من ذلك ما ذكره اليعقوبى (طبعة هوتساج ٢ ص ٣٤٨ وما يليها) : « وكان (الحجاج) أول من أخذ بالقذف والظنة وقتل بهما الرجال . وانكسر الخراج في أيامه فلم يحمل كثير شيء ، ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف درهم » (وكان خراجها في عهد معاوية ١٢٠ مليوناً من الدراهم) .

كذلك ما رواه الطبرى (٢ : ١٣٠٦) من « أن يزيد (بن المهلب) نظر ،

(١) ١ ص ١٧٢

(٢) ويمكن المقارنة بين هذه الأرقام وبين الأرقام التي نقلها لنا ابن خرداذبة (طبعة دي غوية) ص ١١ . فإن هذه المبالغ وإن كانت صحيحة فيما يتعلق بالسواد فقط ، فإن الأرقام التي نقلها ابن خرداذبة تكشف لنا عن حالة البلاد بعد الحجاج . ومع ذلك فاني لا أعلق أهمية كبيرة على تلك المبالغ بقدر ما أعلق على الملاحظات التي أبداها المؤرخون عنها .

لما ولاء سليمان (بن عبد الملك) ما ولاء من أمر العراق ، في أمر نفسه فقال إن العراق قد أخرجها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق . ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها » .

وقد ورد في كتاب *Fragmenta Historicorum Arabicorum* (cf. p. 33) p. 17 « قد حاول سليمان بن عبد الملك معالجة الحالة السيئة التي جرتها سياسة الحجاج . ولا غرو فقد رسخت في الأذهان فكرة سيئة عن حكومة الوليد بسبب تلك الشدة والقسوة التي ارتكبتها واليه والتي كانت نتيجتها جذب البلاد وفقرها » .

ومن اليسير علينا أن ندرك أن تلك العبارات قد صدرت من نفوس أشربت قليلاً أو كثيراً روح العداة لحكم الحجاج ، وأنها قد لا تصور حالة البلاد إلا بعد الحرب الداخلية مباشرة ، تلك الحرب التي أشعل نارها ابن الأشعث ، والتي كان يرتبط بمصيرها حياة العرش الأموي أو موته . ولكن هل نستطيع أن ننكر بعد ذلك أن تلك الحرب لم يكن لها من الخطر ما كان لها ببلاد العراق لو لم يشترك فيها ضمائماً ذلك النظام الإداري ممن أدهقهم الضرائب الفادحة ، حتى آخر قطرة من دماهم ؟

فالحجاج وإن لم تقع عليه تبعة تلك الحروب وخراب ذلك الأقليم ، فهو على الأقل مسئول عن نتيجة تلك الحرب . ولعل معترضاً يعترض على بأن الحجاج لم يكن في كل ذلك إلا وزير بلاط دمشق ، وأن سيادة العنصر العربي غيره من العناصر الأجنبية لتتفق مع مصالح الدولة الأموية وسياستها ، لا سيما وأنها هي التي وضعت أساس تلك السياسة .

أما أنا فسأكون آخر من لا يعترف بصحة ذلك الاعتراض . ولكن ليسمح لي القارئ أن أجيب عنه بذلك الجواب ، وهو أن زوال حكم بني أمية قد أصبح محتوماً منذ اللحظة التي برهنت فيها الحوادث على أن النظام

الذي كان يتشبث به الأمويون لم يكن ثمة ما يبرر بقاءه .
ويظهر أن ذلك هو ما عناده فون كريمر حين تكلم عن الخطة التي سلكها
الحجاج لقمع الثورة التي قام بها الموالي ، إذ يقول إن تلك الخطة وإن قضت
على آمال الموالي والجدد في الاسلام وطمعهم في مساواتهم بالشعب الحاكم ،
فقد كان سخط هؤلاء المضطهدين — إذا مادققنا البحث في استقصاء الأسباب
التي انتهت بسقوط الدولة الأموية — هو السبب الذي يعول عليه .
(Streifzüge, P. 24, cf. Hersch. Id., P. 334) . وسيظهر لنا مقدار صحة
هذا الرأي عند دراسة الحالة في خراسان .

الحالة في خراسان

لم يبق ببلاد خراسان عند وصول العرب اليها سوى طائفة من الولايات
الصغيرة لاتربطها حكومة مركزية تدير شئونها ، ولا سيما بعد التقلبات التي
مرت بهاهي والولايات الأخرى في آسيا الصغرى ثم الحكومات التي تعاقبت
عليها وبخاصة أسرات البكتريان (Bactriennes) × وشعوب الأندوسكيث
(Indo-Scythe) وغارات الحيثيين أو الهون البيض (Haital ou Huns)
× × (blancs) .

وكان السواد الأعظم من سكان تلك البلاد من أصل آري ، أقوياء البنية
عراض الصدور والكثيفة الشعر ، وذلك رمز القوة وشدة البأس ، مما استرعى
إعجاب الجغرافيين من العرب . ولم يكن يختلف ذلك الشعب اختلافا جوهريا
عن ذلك الجنس الذي يسميه الرحالة المحدثون باسم تاجيك (Tadjik) (١) . وقد
× بلاد آسيا القديمة ، إحدى مواطن الإيرانيين الذين يعيشون الآن
ببلاد التركستان وبلاد الفرس . وحاضرتها بكتريا — المترجمان .

× × من شعوب البرابرة القديمة . وهم الرحل من سكان شمالي شرق
أوربا وشمالي غرب آسيا — المترجمان .

(١) أنظار المقاتلين اللتين كتبنا عن Persia, Oxus في دائرة المعارف

أطلق ذلك الاسم في الأصل على العرب ("Arabe" —tadjik-tazi). غير أن علماء وصف الشعوب قد اتفقوا على أن التجيك (les Tadjik) ، فضلا عن بعدم عن أن يكونوا ساميين ، فانهم من جنس آري قد امتزج بالدم الطوراني (١) .

وكان سكان بلاد خراسان الأصليين من هؤلاء التجيكين . وأما الطبقة التي كانت لها السيادة فكانت طبقة الدهاقين ، وهم ملاك الأرض والزراع من الفرس ، وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير وبخاصة في بلاد ماوراء النهر حيث كانوا يملكون الضياع الواسعة . أما « البخاراخودة » أو أمراء بخارى فهم في الأصل من طبقة الدهاقين (٢) . وكان الدهقان في هراة يحكم بجانب أمير أجنبي (٣) ، كما كان مركز الأشراف من كبار ملاك الأرض يختلف باختلاف الأحوال التي تحيط بهم . وكان الدهقان — على ما ذهب إليه نلدكه (Nöldeke) (٤) — لا يكاد يعدو أحيانا أن يكون من بسطاء الفلاحين ، كما كان في بعض الأحيان من طبقة الأشراف الذين يملكون بلاداً (رساتيق) برمتها . وكان يحكم ذلك الشعب أمراء مختلفون من الأشراف الاقطاعيين القدامى

البريطانية (Encyclopaedia Britannica) وما كتبه مسيو Specht في المجلة الاسيوية الفرنسية ، ونلدكه Nöldeke في كتابه Geschichte der Perser und Araber, p.115 (n.21) , p.17 (n.5) (Journal Asiatique, 1883, t. II. p. 317 suiv.)

من سكان فارس وتركستان من الجنس الآري . وهم حول مليوني نسمة — المترجمان

Khanikoff, Ethnographie de la Perse, p. 87 suiv. (١)

Quatrefages et Hamy, Crania Ethnica. p.503.

Nerchakhi, Description de Bokhara (ed. Schefer) , p. 6 . (٢)

(٣) الطبري ٢ : ١٦٣٦

Geschichte der Perser und Araber, p. 440

(٤)

في بعض الأمبراطوريات الواسعة الأرجاء الذين طالما كانت تنم ألقابهم عن أصلهم التركي أو المغولي^(١). أما إبان الفتح العربي فاننا نجد من أمراء سجستان رتبيل (Rotbil)^(٢) ، ومن أمراء سمنجان وروب (Simindjan et Roub) (الروبخان Roubkham)^(٣) ، ومن جوزجان (الجوزجان Djouzedjan)^(٤) ، ومن الخزر (khazar) (سبقرى ؟)^(٥) ، ومن أمراء الختل (khottal) (السبل) (Al — Sabal)^(٦) ، ومن بدغيس (Badghis) وطخارستان (Tokharestan) (جيفويه ، Djighoyeh ، الشذ Chadh — al) ووزك طرخان (Nizak tarkhan)^(٧) ، ومن مرو رود (بدام Badham)^(٨) ومن الطالقان سهرك (Sabrak)^(٩) ، ومن الفرياب (Farayab) (توسك Tousik)^(١٠) ، ومن بلاد ما وراء النهر : السغد وسمرقند (ترخون

(١) الأسماء الآتية منقولة عن تاريخ الطبري ، ويمكن اعتبارها تكملة

لما ذكره ابن خردادبه (طبعة دي غويه) ص ٢٨

(٢) الطبري ٢ : ١٠٣٦ ، وابن خردادبه ص ٢٩

(٣) شرحه ٢ : ١٢١٩

(٤) شرحه ٢ : ١٢٠٦

(٥) شرحه ٢ : ١٤٤٨

(٦) الطبري ٢ : ١٠٤٠ و ١٢٢٤ . وهو من القاب الشرف (عند الصينيين)

(٧) كان جيفويه ملكا . وكان يقيم بالقرب منه أحد أشراف الصين

ويلقب بلقب شذ (وبالصينية شتر Chè — tsz) . وأما وزك ترخان من

أتباع ملك تخارستان فكان يقيم في بدغيس .

(٨) الطبري ٢ : ١٢٠٦

(٩) شرحه

(١٠) شرحه

Tarkhoun (١) وغوزك (Ghawzak) (٢) ، ومن فرغانة × (إخشيد وألتار
(Ikhchidh, al - tār) (٣) ، ومن أمراء كى (ترك خاقان) (٤) ومن أمراء
كش* (ويك Wik) (٥) ، ومن شومان (فيلسنشب ؟ أو غيسلستان) (٦) . وفي
كابل كان يقيم كابل شاه (٧) ، بينما كان يحتفظ مرازمة أمبراطورية آل
ساسان بمراكز مستقلة في مرو ومروروذ وسرخس وطوس وهراة × ×
وقوهستان ، كما كان يحكم بلخ إصهبند (Ispahbedh) (٨) . وقد قبل معظم
أولئك الأقبال سيادة العرب دون كبير مقاومة ؛ كما نراهم يبادرون إلى
اعتناق الاسلام (كما فعل دهاقين العراق) ويعيشون في سلم ووثام مع
غيرهم من أشراف العرب . وكذلك أصبحوا (مع غض النظر عن الاستثناءات

(١) الطبرى ٢ : ١١٤٦

(٢) شرحه ٢ : ١٢٢٩

وقد ذكرها المؤلف غزك (Ghozak) والصحيح غوزك — المترجمان
× ذكرها المؤلف فرغنه (Ferghana) ، وضبطها فرغانه بفتح الفاء
ومد الغين — المترجمان .

(٣) الطبرى ٢ : ١٢٤٢ و ١٤٤٠

(٤) شرحه ٢ : ١٤٢٢

Torkhakhān في الأصل والصحيح Tork Khakhān — المترجمان .

(٥) الطبرى ٢ : ١٤٤٨

في الاصل كش Kech والصحيح كس كما في الطبرى — المترجمان

(٦) الطبرى ٢ : ١٢٢٧

(٧) شرحه ٢ : ١٢٠٦

كبولشاه في الأصل وضبطها كابل شاه — المترجمان .

× × في الأصل هراة بكسر الهاء والصحيح بفتحها كما ورد في معجم

البلدان لياقوت — المترجمان .

(٨) الطبرى ٢ : ١٢٠٦ ، ١٢١٨

التي لا مناص منها) محل ثقة الأمراء من العرب وأصدقاء النابيين منهم. وكانوا يساعدون جيوش المسلمين ضد الأتراك من بلاد ما وراء النهر، كما كانوا يحتفون بالروساء من العرب احتفاء كبيراً، فكانوا يستقبلونهم في قصورهم ويتملقونهم بتلك الهدايا الثمينة التي كانوا يقدمونها اليهم في عيد رأس السنة وفي احتفال المهرجان^(١).

ومع ذلك فمن اليسير علينا أن ندرك أنه كان وراء مظاهر تلك الخفاوة وتلك الهدايا ما وراءها. لذلك لاندعش — بعد أن وقفنا على ما كانت عليه الإدارة العربية — من أن نرى أشرف هذه البلاد ينتفعون من تلك الفتوحات باتصالهم بالجباة وعمال الخراج وإثرائهم على حساب الرعايا. ولم يكن مجرد إلقاء القبض على الكثيرين منهم هو كل ما نعلمه عن هذه الناحية، فإن ما ذكره النرشخي في كتابه « وصف بخارى » ليبين لنا ذلك الأمر بيانا واضحا. ولا غرو فقد أدلى الينا بعبارة قيمة تكمل ما رواه الطبري تكميلا لم نكن نتوقعه. فقد روى الطبري عند كلامه على حوادث سنة ١٢١ هـ أن اثنين من الدهاقين قتلا تغشادة أمير بخارى وعامل الخراج من قبل العرب في ذلك الأقليم^(٢) في حضرة نصر بن سيار نفسه دون أن يذكر لنا شيئا عن أسباب ذلك العدوان.

وإلى القارىء ما ذكره النرشخي تنقله عن كتاب Chrestomathie persane, tome I. p. 44 cf. p. 95 suiv. de l' édition (Schefer) :

كان نصر بن سيار يحل تغشادة من نفسه محلا رفيعا. ولا غرو فقد أقطعه إحدى ضياعه ثم زوجه إحدى بناته. وقد جاء تغشادة لزيارة نصر بن سيار في فسطاطه؛ فلم يكده يستقر به المقام حتى حضر اثنان من الدهاقين

(١) الطبري ٢: ١١٧٥ و ١٢٢٨ (١١) و ١٤٤٤ (١٠) و ١٤٤٨ (١٣) وما يليه

(٢) شرحه ٢: ١٦٩٣ وما يليها.

من أسرة تغشادة وطلبها المثل بين يدي نصر . وكان يمت كل من هذين إلى أسرة ذات نفوذ عظيم ، وقد اعتنقا الاسلام على يد نصر بن سيار . فلما أصبحا بحضرة تظلما اليه من استبداد تغشادة ، قائلين إنه استولى على أملاكهما بالقوة . وكان عامل بخارى واصل بن عمرو حاضراً ، فطلب الدهقانان من نصر أن ينصفهما منه أيضاً بعد أن اتهماه باشتراكهما مع تغشادة في الاستيلاء على أملاك الغير ظلماً وعدواناً . هذه هي الأسباب التي حملت هذين الرجلين على هذا الانتقام القاسي ، كما كانت في الوقت نفسه السبب الذي من أجله اقتضبت تلك الوقائع من رواية الطبري .

وهل ثمة بعد ذلك ما يمنعنا من الاعتقاد بأن هذه الحال لم تقتصر على إقليم بخارى ، وأنه لو كان بين أيدينا الكثير من مثل تلك الأخبار لأمدتنا بأكثر مما رواه لنا الطبري عن حال الكثير من الولايات الاسلامية ؟ ومهما يكن من شيء فقد شاءت الأقدار أن يأتينا ذلك النور من بلاد ما وراء النهر خاصة ، ذلك النور الذي أماط لنا اللثام عن نتائج الفتح العربي . ولا غرو فقد وقعت فيها هذه الحوادث التي أمدتنا بها تلك المصادر .

وبالرغم من أن المسلمين من العرب كانوا يعفون من جميع الضرائب ويقتسمون الغنائم ، فإن الخراسانيين لم يستطيعوا التخلص من عبء تلك الضرائب رغم اعتناقهم الاسلام ، إذ كانوا لا يزالون يدفعونها كما كان يدفعها أهل بلاد العراق .

وكانت تسمى الضريبة التي تجبى من الخراسانيين تارة بالجزية وتارة بالخراج (١) . ومن اليسير علينا أن نستنتج من ذلك أنه لم يكن في تلك البلاد سوى ضريبة واحدة كانت تدفع نقداً . يؤيد هذا ما ذكره الطبري

(١) وقد وردت هذه الاصطلاحات مختلطة بعضها ببعض . الطبري : ٢

(٢ : ١٥٠٧) « خراج خراسان على رؤوس الرجال » ، ثم ما رواه اليعقوبي
(طبعة هوتسما Houtsma ج ١ ص ٢٠٧) « وخراجهم على رؤوس الرجال
يوجبون على كل رجل بالغ جزية » (١) .
ولا يفوتنا أن نذكر أن أمراء كور تلك الولاية على اختلافها قد عقدوا
معاهدات السلم مع العرب حين فتحوا بلادهم على أن يدفعوا لهم جزية سنوية
معينة . وكانت تلك الجزية موزعة على الأهليين ، يشرف على جبايتها بعض
عمال الحكومة مع أحد الدهاقين أو مع غيره من حكام الولايات (٢) . وكان
ينفق ما يجبي من الضرائب على تموين جيوش الاحتلال . ومن ثم لم يكن بد
من أن يثير إعفاء الجند في الاسلام من الجزية ذلك التعارض الشديد بين
هاتين المصلحتين : أولاً — مصلحة الحكومة (مسئولية الحاكم) التي
لا تستطيع أن تتخلى عن دفع أرزاق الجند ، ثانياً — مصلحة أمير البلاد
الذي كان يحتفظ لنفسه بما كان يزيده على الجزية من الضرائب الاستثنائية ،
وكذلك كان الحال ببلاد العراق . وقد اضطرت الحكومة — لكي ترضى
المرابطين من جنود العرب الذين كان يزداد عددهم على التوالي — إلى فرض
الجزية على الأهليين رغم اعتناقهم الاسلام . وهكذا كان بعض الولاة الذين
من مصلحتهم ازدياد دخل البلاد لا يستطيعون أن يروا ذلك النجاح المطرد
الذي كان يصادفه الاسلام من قلوب الأهليين بدون أن تتبلبل لذلك نفوسهم
ويقلق له بالهم . ولتأييد تلك الحقيقة التاريخية نذكر للقارىء شيئاً عن هاتين

(١) وترجع هذه الطريقة في جباية الخراج إلى عهد الأ كاسرة (الطبرى ١ :
٢٣٧١) « وسائر السواد ذمة ، وأخذوهم بخراج كسرى على رؤوس الرجال
على مافي أيديهم من الحصاة والأموال » .

Van Berchem, La Propriété territoriale et l'impôt foncier, (r)

p. 54 suiv.

أنظر ملحق ١ للوقوف على المعلومات الخاصة بمرو .

المحاولتين اللتين كان يقصد بهما تحسين حال أولئك المحدثين في الاسلام ، ثم نخصص الفصل التالي لشرح الأسباب التي حملت علي ذلك . (١) كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر من خلفاء بني أمية الجراح ، عاملة على بلاد خراسان ، أن يضع عمن أسلم الجزية التي كان يدفعها الكفار . ومن السهل جداً أن تنبأ بنتائج تلك السياسة الجديدة .

وكان من أثر ذلك ازدياد اعتناق الناس للاسلام بينما نص إيراد بيت المال نقصاً محسوساً (١) . وقد اشترط بعض الولاة لتحاشي ذلك الخطر الختان وحفظ شيء من القرآن . على أن ذلك لم يجد نفعا . ومن ثم كان لزاما العود إلى فرض الجزية كما كانت من قبل أو فقد ثمار ما فتحه المسلمون من البلاد . ويظهر أن عمر بن عبد العزيز قد فطن إلى أبعاد النتائج التي عساها أن تجر إليها تلك السياسة . لذلك لم يتقهقر أمامها ، كما لم يتردد في أن يأمر المسلمين بالجلء عن بلاد ما وراء النهر . (٢) بيد أنه يظهر لنا أن الجنود لم يهتموا بأمر ذلك الجلء ، كما كان طبيعياً أن يبادر الخلفاء بعد موت عمر بفرض ضرائب أكثر فداحة لسد ذلك النقص الذي جرته سياسته . يدل على ذلك ما رواه الطبري (٣) عن هجرة الكثيرين من السغد من بلاد ما وراء النهر في عهد من وليها بعد الجراح . وقد اشتعلت نار الحرب منذ ذلك الحين في تلك البلاد ، ولم يحتفظ المسلمون إلا بالقلاع والحصون بعد أن أجلوا السغد ، الذين طلبوا مساعدة الأتراك لهم ، عن سواد بلاد ما وراء النهر .

وأما المحاولة الثانية لتحسين حال أولئك الموالى فكانت بعد سبع سنين ، وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك . وكان أول من فكر فيها هو أشرس الملقب بالكامل والى تلك البلاد ، ليضع حداً لتلك الحرب التي خربت المدن

(١) الطبري ٢ : ١٣٥٤

(٢) شرحه ٢ : ١٣٦٥

(٣) شرحه ٢ : ١٤١٨ و ١٤٣٩ وما يليها .

الجميلة الواقعة على الشاطئ المقابل لنهر سيحون . وإنا لمدينون للطبرى
(٢ : ١٥٠٧ وما يليها) بما رواه لنا عن سياسة ذلك الأمير . فقد قال
أشرس يوماً لمن حوله : « إبعونى رجلا له ورع وفضل أوجهه إلى ما وراء
النهر فيدعوهم إلى الاسلام » ، فأشاروا عليه بأبى الصيذاء صالح بن طريف
مولى بنى ضبة . ولما كان هذا لا يعرف الفارسية ألحق به الربيع بن عمران
التميمي مترجماً له . وقد شخص أبو الصيذاء إلى سمرقند ، حين أذن له أشرس
برفع الجزية عن أسلم ، ثم طلب من أصحابه أن يعينوه إذا ما أبى جباة الخراج
العمل وفق سياسة الوالى الجديدة .

وكان يقيم غوزك أمير السغد فى سمرقند ومعه عامل الخراج حسن بن أبى
العمرطة ، وكان هذا رجلاً نزيهاً يخالف الكثيرين من مواطنيه فى نظرتهم
إلى الفتوحات الاسلامية ، كما كان لا يداجى نفسه فى أن هذا النهج لم يكن
(فى حقيقة الأمر) إلا تعدياً ليس للمدين فيه سوى نصيب ضئيل جداً (١) .
وقد بلغت جهود أبى الصيذاء صالح بن طريف فى بادىء الأمر ما كانت ترجوه
من النجاح بمعاونة ذلك العامل . فتدزاد اعتناق الناس للاسلام ، وبنيت المساجد
على أثر دخولهم فى هذا الدين أفواجا . بيد أن هذا النجاح قد ضايق الأمير
غوزك الذى كان يرى فى ذلك نقصاً فى دخله هو من ناحية ثم فى دخل الحكومة
من ناحية أخرى . وقد أفضى بشئ من مخاوفه إلى أشرس ، فكتب هذا
إلى عامل الخراج : « إن فى الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغنى أن أهل السغد
وأشباههم لم يسلاموا رغبة وإنما دخلوا فى الاسلام تعوداً من الجزية . فانظر
من اختن وأقام الفرائض وحسن إسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه

(١) وهذا ما استنتجته من جوابه حين بلغه أن سبعة آلاف من الأتراك
ستحل بهم الهزيمة مما قريب فقال : « ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم
واستعبدناهم » (الطبرى ٢ : ١٤٨٥) . وسرى بعد قليل أنه لم يكن هو
وحده الذى كان يفكر على هذا النحو .

خراجة ». وبذلك فشلت تلك الحركة التي قام بها ذلك الوالى أمام ما أقامه فى سبيلها الأمير غوزك من العقبات وما أدلى به من الحجج على فسادها وما تجره على بيت المال من الخراب . ومن ثم عزل ابن أبى العمرطة وولى مكانه هانى بن هانى ، ثم عين الأشعيز الفارسى مساعداً له .

وكان الغرض من تعيين هذين الرجلين إنما هو القضاء على ما قام به أبو الصيياء من ضروب الإصلاح . وعلى ذلك لم يجد احتجاج من أسلم من دهاقين بخارى وقولهم لأشرس « بمن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً ؟ » ، كما لم يغب احتجاج أبى الصيياء شيئاً . فقد كتب أشرس إلى هانى ثم إلى العمال « خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه » . لهذا أخذت روح الفتنة تدب فى نفوس أولئك الجدد فى الاسلام بعد أن خابت آمالهم ، يعضدهم النابهنون من الجند والفقهاء عربا وموالى . وقد أرسلت الحكومة أحد القواد فقبط على زعماء تلك الفتنة . وهكذا لم يلبث أن أعقب إعناء المحدثين من الجزية حركة عكسية وسياسة خراجية غاية فى الشدة . ولا غرو فقد أصبحت تحيى منهم بالقوة دون أن يراعى فى ذلك حتى جانب الضعفاء منهم . ومن اليسير علينا أن نستخلص مما رواه الطبرى (٢ : ١٥٠٨ س ١ — ١٢) أن حركة أشرس لم تقتصر على السغد ، بل أن نتائجها قد ظهرت أيضاً فى بخارى . وإلى القارىء ما رواه النرشخى (Schefer, Chrestomathie persane, tome 1. p. 42 suiv. , p 58 de l' édition بخارى فى عهد ولاية أسد بن عبد الله على خراسان^(١) وحث الناس على الدخول

(١) إذا فان هذا المؤرخ لا يوافقنا فى رأينا ، إذ نذكر أن الحوادث التى عرضنا لذكرها هنا قد وقعت فى إمارة أشرس . فقد ولى أسد بن عبد الله بلاد خراسان مرتين : الأولى من سنة ١٠٦ هـ إلى سنة ١٠٩ هـ والثانية من سنة ١١٧ هـ إلى سنة ١٢٠ هـ . وقد حل محله أشرس سنة ١٠٩ هـ . وليس بعيداً فى رأى انه قد عزى اليه ما حدث فى عهد من خلفه . ولم يعرض الطبرى

في الاسلام . وكان السواد الأعظم من الأهلين لا يزال على الكفر ، ومن ثم كانوا يدفعون جزية الرءوس . وقد أحفظ بخاراخودة تغشادة اقتناع الكثيرين منهم بصحة الاسلام واعتناقهم له . ولا غرو فقد كان لا يزال يبطن الكفر رغم إظهاره الاسلام ، فكتب إلى أسد بن عبد الله أن ببخارى رجلا يعكر صفو الأمن ويلقى بذور الفتنة ويشق عصا الطاعة ، وأن أتباعه يزعمون أنهم مسلمون وليسوا بمسلمين ، فانهم لم يسلموا إلا بألسنتهم ، إذ لا تزال عقائدهم القديمة متأصلة في نفوسهم . وإنما اتخذوا هذا ذريعة لاثارة الفتن في المدينة وإفلاق بال الحكومة وإنضاب بيت المال . وكان من أثر ذلك أن كتب أسد بن عبد الله إلى نائبه مقاتل شريك بن المارث (?) يأمره بالقبض على هؤلاء التوم ثم تقديمهم إلى تغشادة ليرى فيهم رأيه . وقد ذكر المؤرخون أن هؤلاء الجدد في الاسلام لجأوا إلى المسجد الجامع يشهدون بأعلى أصواتهم أنه « لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » (١) .

لذكر تلك المحاولة التي كان يراد بها تحويل بلاد ما وراء النهر إلى الاسلام في إمارة أسد . وأما الأخبار التي نقلها الترشيحي في مختصره الذي بين أيدينا فإنه يغلب عليها الخطأ سواء فيما يتعلق بالأسماء أو التواريخ . وهالك مثلين (ص ١٦) : « فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى في عهد معاوية (وصحتها الوليد الأول) . وقد أقر قتيبة تغشادة « بخاراخودة » تلك المدينة في مركزه ثم أمر أبو مسلم بقتله بمدينة سمرقند في عهد نصر بن سيار والي خراسان ، وذلك بعد وفاة قتيبة بستين بعد أن ظل في الحكم زهاء اثنتين وثلاثين سنة . وعندئذ تكون وفاة قتيبة سنة ٩٦ هـ بينما لم يظهر تفوذ أبي مسلم إلا في سنة ١٢٦ هـ . وأما سنة وفاة تغشادة بالضبط فهي سنة ١٢١ هـ (ص ٤٣) . « وفي سنة ست وخمسين ومائة (٧٧٢ م) مات أسد بن عبد الله بن مروان . ومات أسد سنة ١٢١ هـ وكان جده يزيد .

(١) أنظر كتاب الأنساب للبلاذري (طبعة Ahlwardt) ص ٣٣٦ وما يليها ، وحمزة الاصفهاني (طبعة Gottwaldt) ص ٢٠٨ .

وقد شنت بخاراخودة منهم أربعمائة دون أن يجروا أحد على أن يشفع لهم آ
ثم استرق من بقي منهم وأرسلهم إلى أسد بن عبدالله بخراسان . على أن أحد،
من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يردد عن الاسلام ، بل ظلوا جميعاً مؤمنين
به (١) ، ثم لم يلبثوا أن عادوا إلى بخارى بعد موت تغشادة .

وقد جاء ما ذكره النرشخي في الوقت المناسب ، فقد صحح رواية الطبري
ومحصها . ومن ثم أصبح ذا قيمة تاريخية كبيرة . ولا شك في أن ما أمدنا
به النرشخي لم يكن مصدره سوى تلك المعلومات الموجزة التي رواها لنا
مؤرخو العرب . فاذا كان مؤرخ بخارى (النرشخي) قد نقل لنا شيئاً عن
إدارة الأمويين ، فانما روى لنا تلك الحوادث كما تلقاها من أفواه أولئك
الجدد في الاسلام أنفسهم وحفظها عنهم . ومما راعى أيضاً عند قراءة
ما رواه هذا المؤرخ تأييده ما ذهبنا اليه من أن سياسة عمر بن عبد العزيز
وأشرس إنما كانت تضر بمصلحة أشرف البلاد وتعرضها للخطر بقدر
ما كانت تضر بيت المال . وإن فشل هذه السياسة التي كانت ترمي إلى
إصلاح حال الموالي وتسويتهم بالعرب إنما يرجع بادىء ذي بدء إلى تلك
العراقيل والعقبات التي وضعها في سبيلها هؤلاء الأشراف . وعلى ذلك فإنا
نخالف ذلك المؤرخ فيما ذهب اليه من أن الكراهة الدينية هي التي حدثت
بتغشادة أن يقف من هؤلاء الجدد في الاسلام ذلك الموقف العدائي . فكل
ما بأيدينا من الشواهد إنما ينم عن استبداد ذلك الأمير الذي كان — رغم
اعتناقه الاسلام — يرى أن تحول رعيته إلى هذا الدين سوف يحرمه من
تلك الوسيلة الفذة لاستنزاف أموالهم . على أن هناك أمراً آخر هو أدهى من

(١) وكل ما هنالك هو أن أسداً منحهم الحرية . أنظر الطبري ٢ : ١١٦١
حيث نقرأ [سنة ١١١٩ هـ] « فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان
واستنفذ من كان في أيديهم من المسلمين » . وهذا الذي ذكر قد يظل غير
واضح إذ لم يذكر لنا النرشخي ما كان يمضي ببخارى في ذلك الحين .

ذلك وأُنكى ، ذلك ما رواه لنا هذا المؤرخ ومن سبقه من المؤرخين من انضمام كبار الموظفين من العرب إلى ذلك الأمير ، على الرغم مما كان في ذلك من التضحية بالدعوة إلى الاسلام والوقوف في سبيل نشره .

ومن ثم كان من البديهي أن تقوم العقبات الكثيرة في خراسان وكذا في بلاد العراق في سبيل سياسة عمر . ومن أجل ذلك فاني لا أزال أكرر هذا السؤال : ما هو الداعي إلى هذا الاستبداد المحزن ؟ لا بد أن يكون الغرض منه إنما هو توطيد احتلال قد أصبح لا مبرر لوجوده ولا سيما بعد أن تحول أهالي تلك البلاد المحتلة إلى الاسلام . وبما لا ريب فيه أن ذلك لم يكن رأى الاغلبية من العرب في صدر الاسلام . فهو لاء - كما نعلم - كانوا يدينون بتلك العقيدة ، وهي أن ما يفتخرونه من البلاد التي يفتحونها إنما هو ثمرة مشروعة لدفاعهم عن الاسلام دون أن يفتنوا لما قد تنتهي اليه تلك العقيدة من التعارض بينها وبين الدعوة إلى الاسلام والعمل على نشره . ومن ثم لاندش إذا شاهدنا في الولايات الشرقية للدولة الاسلامية قيام حركة شعارها تأويل أحكام الشريعة وتفسيرها تفسيراً أقل حرجاً وضيقاً ، تلك الحركة التي كان المقصود منها مناوأة العرب والأمويين جميعاً والتي لم يرد الفاتحون من العرب والأمويين بوجه خاص أن يذعنوا لما كانت تدعو اليه من المطالب العادلة وما كانت تنشده من ضروب الاصلاح .

سياسة عمر بن عبد العزيز

نحو الموالي وأنزما

تحدثنا بعض المصادر الموثوق بها أن الموالي الذين طردهم الحجاج (أنظر ص ١٧ ، ص ٤١ - ٤٢ من الترجمة) من البصرة والبلاد المجاورة لها اجتمعوا في بعض المعسكرات ناديين حظهم قائلين واحمداً واحمد ! ولا غرو فقد كانوا لا يعلمون أين يذهبون . ومن ثم نرى أهل البصرة ينتحلون المعاذير ليلحقوا

بهؤلاء الموالي ويشتركوا معهم في نعمي ما نزل بهم من حيف وظلم^(١). كما يروى لنا مصدر آخر^(٢) أن هؤلاء الرجال من أهل البصرة كانوا من القراء أعني من المشتغلين بدراسة التوحيد . وقد اشتركوا اشتراكا فعليا في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وأذكوا حماس مواطنيهم بتلك الخطب الحماسية حاملين إياهم على مقاومة بني أمية وحكمهم مقاومة جديده . وإلى القارىء ما ذكره الطبرى في ذلك^(٣) : « فوالله ما أعلم قوما على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم . فليكن لهم البدار . فاتلوهم ولا تأثموا من قتلهم بنية وبقين ، وعلى آثامهم فاتلوهم على جورهم في الحكم وتجرهم في الدين » . فتلك العبارات الثورية تبين لنا جليا أن أولئك القراء كانوا أنفسهم من هؤلاء الذين تحولوا إلى الاسلام والذين جعلتهم مناصبهم بمعزل عن أن يشاركوا مواطنيهم حفظهم العاثر . ومهما يكن من الأمر فاننا نرى أن هؤلاء المضطهدين كانوا يعتمدون بعض الاعتماد على عطف تلك الطائفة المحترمة حتى عند أفراد الطبقة الحاكمة نفسها .

ولم يكن أولئك القراء وحدهم هم الذين كانوا يبغضون النظام الأموى . ففي شمال العراق خرج أحد الأشراف على بني أمية ، وهو مظرف بن المغيرة ابن شعبة الذي ثار في شمال العراق يدعو إلى « الحكم بالحق والعدل في السيرة »^(٤) . ويجد القارىء تاريخ هذه الثورة في كتاب الأستاذ فايل (Weil, Geschichte der Khalifen, vol. I. p. 422) . ولم يكديحن الوقت

(١) البلاذرى : كتاب الأناساب ص ٣٣٦ وما يليها .

(٢) الطبرى ٢ : ١١٢٣

(٣) شرحه ٢ : ١٠٨٦ ، ١٠٨٧

نقل المؤلف هذه العبارة عن الطبرى ٢ : ١٠٨٦ و ١١١٦ (١٤) ، والواقع

أنها وردت في صفحتي ١٠٨٦ و ١٠٨٧ — المترجمان .

(٤) الطبرى ٢ : ٩٨٠ الحكم بالحق والعدل في السيرة .

الذي توثق فيه هذه الحركة أكلها حتى ذهب مطرف ضحية لها . وعلى الرغم من فشل تلك الحركة الإصلاحية فإن الرغبة في تحقيق ما كانت ترمي إليه من الإصلاح كانت لا تزال تحفز الناس على معاودتها من حين إلى آخر . ولا غرو فقد صادفت تلك الحركة نجاحاً كبيراً على يد عمر بن عبد العزيز .

وقد أجهف مؤرخو الغرب في الحكم على هذه الإصلاحات التي قام بها ذلك الخليفة ، والتي كان الغرض منها القضاء على ما قام في سبيل انتشار الإسلام من العقبات ، وذلك بمنحه الموالى الحقوق التي كان يستمتع بها المسلمون من العرب وحدهم وإغفائهم من الجزية التي كان يدفعها الكفار ثم مقاسمتهم إخوانهم المسامين نصيبهم من الاعطيات السنوية (١) .

ولا ريب في أن سياسة ذلك الخليفة لم توفق إلا آمالاً لم تستطع الحكومة تحقيقها . فقد كانت الحال تتطلب علاجاً آخر غير تلك السياسة التي سار عليها عمر بن الخطاب . ففي العراق أنضبت الأعطيات السنوية بيت المال بعد أن تأثرت موارده تأثيراً محسوساً من جراء إلغاء الجزية في خراسان . وهكذا أعبت تلك الفوضى في الشؤون المالية بعد موت عمر بن عبد العزيز سياسة خراجية أقصى ما تكون جوراً وعسفاً .

وعلى الرغم من ذلك فينبغي أن يتورع المؤرخ عن التسوية في الحكم على تلك الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبد العزيز . ومن العدل أن أطالب الذين يشايعون الحجاج بن يوسف ضد ذلك الخليفة المصلح بالاجابة عن هذين السؤالين : (١) ألم يكن خيراً للأمويين أنفسهم مساواتهم جميع العناصر في الحقوق ، تلك السياسية التي لا يبعد أن يكون عدم الأخذ بها هو السبب الأول في سقوط دولتهم ؟ (٢) وإذا لم تكن تلك المساواة في مصلحة الخلفاء من بني أمية ، ألم تكن من مصلحة الإسلام

Von Kremer, Culturgeschichte, vol. I. p. 174 suiv. Miiller, (١)

Der Islam in Morgen-und abendland, vol. I. p. 438 suiv.

نفسه؟ ليس ثمة أحد كائنا من كان يستطيع أن يشك في صحة هذه الملاحظة الثانية. فقد انتهى النظام العسكري الذي وضعه عمر بن الخطاب قبل أن يرتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة. وكان عمر بن عبد العزيز أول من فطن من خلفاء بني أمية إلى أن وقت التفرغ للإصلاحات الداخلية قد آن، كما اقتنع بذلك عمر بن الخطاب من قبل. ومن ثم كان يحول جهده دون القيام بفتوحات جديدة^(١). ولم تكن غلطة عمر بن عبد العزيز سوى رجعيته ومحافظته الدينية وتمسكه الشديد بالنظام الذي سبى عمر بن الخطاب الذي كان يتقنى أثره لما كان يكتنه له في أعماق نفسه من الاحترام والاكبار والذي لم يكن إلا صورة صادقة منه رغم ما كانت تتطلبه الحالة من العدول عن ذلك النظام عدولا تاما. فقد كان لزاما أن تجدد الحكومة أعمالا جديدة، غير الغزو والفتح، للعربطين في الولايات الإسلامية من جند العرب حتى لا يكونوا عالة على بيت المال. ولا غرو فقد كانت السياسة التي سار عليها عمر بن عبد العزيز تحول دون ملكية الجند للأرض، بينما كانت الحالة تقضى بمنحهم إياها لاستغلالها واستثمارها، كما كانت تسخو في منح الاعطيات حتى للموالى من المسلمين في الوقت الذي كانت تتطلب فيه مالية البلاد إلقاء تلك الاعطيات حتى ما كان يمنح منها للعرب أنفسهم. وهكذا حال ذلك التصرف الذي أنضب مراردا الدولة وجر الخراب على بيت المال دون نجاح تلك السياسة التي كانت ترمى في ذاتها إلى الإصلاح، وإعفاء الجدد في الإسلام من الجزية. ومن ثم نرى أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت أبعد أثرا في وهن العرش الأموي من سياسة الحجاج بن يوسف وسوء إدارته؛ فإن الآمال التي أثيرت في النفوس لم تنطفئ جذوتها حتى أصبحت الشعوب من غير العرب تنتظر خلاصها من حكم بني أمية، بعد أن غدت تلك السياسة الخراجية الظالمة في نظرهم

(١) أنظر ص ٢٢ (ص ٥١ من الترجمة)

عبئاً ثقيلاً لا قبل لهم باحتماله ، تلك السياسة التي فأجأهم بها الأمويون ولا سيما في خلافة هشام بن عبد الملك (١) على أثر فشل ذلك الاصلاح الذي قام به عمر بن عبد العزيز .

ثورة الحارث بن سريج

يهمنا الآن أن نتتبع تلك الحركة الاصلاحية في خراسان أكثر من غيرها في الولايات الاسلامية ، تلك الحركة التي دفع الأهلين إلى القيام بها ظلم بني أمية وسوء إدارتهم . فمن هذه البلاد خرجت تلك الصيحة التي قلبت دولتهم . ونستطيع أن نتبين مما رواه لنا المؤرخون مدى انتشار ذلك الحزب المتذمر في خراسان أكثر منه في غيرها من الولايات الاسلامية . وقد بينا قبل (ص ٢٣ و ص ٥٢ — ٥٣ من الترجمة) أن خضوع السغد لذلك النظام الجديد للضرائب لم يتم دون أن يقوم في وجهه ويحول دون تطبيقه بعض الرجال من ذوى النفوذ والشأن . وكان على رأس تلك الحركة زعيان من الموالي هما أبو الصيداء وثابت قطننة (٢) . أما ثابت فكان ذائع الصيت محبوباً من الشعب في خراسان ، كما كان شاعراً مُغلقاً ، حفظ لنا كتاب الأغاني بعض قصائده (ج ١٣ ص ٤٩ — ٦٤) . وقد انتصر انتصاراً مؤزراً في الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين والأتراك في بلاد ماوراء النهر (٣) ، وأبلى بلاء حسناً في جهاد الكفار حتى لقي حتفه في ساحة القتال . وأما قطننة فكان من خلصاء يزيد بن المهلب اليميني المشهور . وقد أسند إليه ذلك الوالي بعض المناصب الهامة (٤) ؛ ولهذا كان لا يتحرج العرب عن اعتباره مساوياً

(١) أنظر اليعقوبي ج ٢ ص ٣٧٦ لاستقصاء ما كتبه عن العراق

(٢) الطبري ٢ : ١٥٠٩

(٣) شرحه ٢ : ١٥١٤ وما يليها .

(٤) الاغانى ج ١٣ ص ٤٩

لهم في السؤدد والشرف ويهمننا إلى حد بعيد جداً أن نعرف الشيء الكثير عن أخلاق هذا الرجل وميزاته . وقد أمر والى سمرقند بحبسه هو وأبي الصيداء ليتفرغ للسغد ويتمكن من قمع ثورتهم . ويظهر أن سياسة ذلك الوالى قد أثمرت الثمرة المرجوة ونجحت النجاح المطلوب . على أن هناك أمراً آخر هو أهم من هذا ؛ فقد شغل غزو الأتراك بلاد ماوراء النهر بال الحكومة زمناً ووحده للمرة الثانية بين أولئك المتذمرين وبين الحكومة لدفع ذلك الخطر المشترك ، ذلك الغزو الذى كان نتيجة لسوء المعاملة التى لقيها أهل هذه البلاد (١) من ناحية العرب .

وقد اشتهر فى تلك الحروب رجل من تميم يدعى الحارث بن سريج بن ورد بن سفيان بن مجاشى (٢) ، أخذ على عاتقه إتمام تلك الحركة التى قام بها ثابت وأبو الصيداء ومواصلة الثورة على بنى أمية . وكان الحارث مسلماً ورعاً زاهداً مصلحاً ، طالما حارب الأتراك فى صفوف المسلمين ثم المسلمين فى صفوف الأتراك ، أو بالأحرى حارب الحكومة احتجاجاً على ما كانت تثقل به كاهل الأهلين من الضرائب . وكان يزعم أنه المهدي الذى بعثه الله لتخليص المضطهدين والأخذ بناصر المظلومين . لذلك أشعل نار الثورة على بنى أمية لتحرير أولئك المستعبدين ورفع ذلك النير عنهم . هذا هو الحارث ابن سريج — ذلك الرجل الغريب الأطوار بلاريب — الذى كشفت أعماله عن كثير من خبايا تلك الحركة الخراسانية وحلت ما كان فيها من أحاج وألغاز . وإلى القارىء شيئاً عن سيرة ذلك المصلح (٣) . اشترك الحارث اشترى كاجديا

(١) الطبرى ٢ : ١٥١٠ . قد ارتد السغد واهل بخارى عن الاسلام

وطلبو العون من الترك .

(٢) الطبرى ٢ : ١٥١٣ . لم يذكر الطبرى إلا هذين الاسمين : حارث بن

سريج . وقد ورد هذا الاسم فى مخطوط رقم ٣٣٢ (Warner) ص ٣٩٠ .

(٣) وهذه الحوادث التى عرضنا لبحثها قد وردت بكتابتى Opkomst

في محاربة الأتراك في عهد أشرس كما تقدم ، ثم غير خطته بعد ست سنوات
تعاقب فيها على ولاية خراسان بعد أشرس الجنيد ثم عاصم بن عبد الله . ومن
ثم نراه يخرج على بني أمية ويسير نحو حاضرة الخلافة من تلك البلدة الصغيرة
«النخذ» X . وأما أنصاره فكانوا من العرب (وينتمون إلى حزين متنافرين
من مضر واليمن) ثم من الفرس (الدهاقين) . وكان كل ما يرمى إليه الحارث هو
الرجوع إلى القرآن والسنة وانتخاب حكومة ترضى عنها الأغلبية^(١) . وسرعان
ما استولى الحارث على المدن الواقعة على شواطئ نهر سيحون (Oxus) .
بيد أن الحاضرة استطاعت أن تصد غاراته . وقد قضت تولية أسد بن
عبد الله التسري إمرة هذه البلاد بعد عاصم ووصوله إليها - في جند لم تنهك
قواها الحرب - على تلك المفاوضات التي أوشكت أن تنتهي بإبرام معاهدة
بين عاصم وبين الحارث الذي اضطر أمام هؤلاء الجنود إلى التخلي عما فتحه
من البلاد والانسحاب إلى طخارستان ومنها إلى بلاد ماوراء النهر (١١٨ هـ) .
ومنذ ذلك الحين انضم الحارث إلى الأتراك ضد العرب . وفي سنة ١٢٠ هـ ولي
هشام (بن عبد الملك) نصر بن سيار بلاد خراسان . وكان نصراً كثر الموالين
للعرش الأموي كفاءة ، وبذلك استطاع أن يوطد دعائم السلم في بلاد ماوراء

der Abbasiden ص ٥١ وما يليها .

X النخذ أو أندخوذ (الطبري ٢ : ١٥٦٦) لا نخوذ كما ذكر المؤلف .

— المترجمان .

(١) وأرى انه يجب أن تكمل هذه العبارة بنقدير هذه الكلمة « من آل
النبي » . وعلى ذلك تكون العبارة : وانتخاب حكومة من آل النبي ترضى عنها
الأغلبية . أنظر ما كتبه كترمير في مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية ، أكتوبر
١٨٣٥ ص ٣٢٧ (Quatremère, Journal Asiatique, Oct. 1835, p. 327) .
وقد اخترت التفسير الذي ذكرته بعد مقارنته بعبارة « من رضى الناس
(المسلمون) بتوليته » وعبارة « من يرضون لا تقسمهم على مثل الحال التي هم
فيها » . الطبري ٢ : ٤٩٩ (١٥) ٩٨٤ ، (١٦) ٤٨٨ .

النهر (١٢٣ هـ) كما تمكن في الوقت نفسه من حمل الخليفة على العفو عن الحارث بن سرّيج (١٢٦ هـ). بيد أن الحرب التي اشتعلت نازها بين القبائل العربية في سورية قد اجتاحت الأقاليم والولايات الاسلامية بعد موت الوليد الثاني وبخاصة في مرو وحاضرة خراسان حيث خرجت اليمانية على نصر. وبذلك استطاع الحارث الذي ظل على تمردده وسخطه على الأمويين أن يطرد نصراً من حاضرة خراسان بمعونة هؤلاء اليمانية. بيد أن الشقاق لم يلبث أن عكر صفو ذلك الحلف بين هذين الفريقين بسبب ما كان بينهما من المصالح المتعارضة تمام التعارض. فأعلن اليمانيون الحرب على الحارث ومن معه، تلك الحرب التي لم تضع أوزارها بين الفريقين إلا بعد موته سنة ١٢٨ هـ^(١). ومن اليسير أن نستخلص ما تقدم أن هذه الثورة لم تكن إلا تنمة لتلك الحركة. ولا غرو فقد لعب كل من بشر بن جرمز وقاسم الشيباني من أنصار الحارث دوراً هاماً في تلك الفتنة التي أثارها السغد^(٢)، كما كان السواد الأعظم ممن اشتركوا في تلك الثورات من الدهاقين من صغار الملاك الذين كان يضطهدهم أمراء الولايات وعمال الخراج (أنظر ص ٢٠ من الكتاب وص ٤٨ من الترجمة). يضاف إلى ذلك هذا الفريق من أتباع الحارث من سكان القرى الذين أتوا مدينة ترمذ ووقفوا على أبوابها يئنون من ظلم بني مروان (من الأمويين)^(٣) وعسفهم. وكانت أولى مطالبهم اختيار عمال اشتهروا بالعدفة والعدل. ويظهر لنا مما رواه الطبري (٢ : ١٩١٨ وما يليها) أن

(١) وقد ورد اسم الحارث في المؤلفات الصينية تحت اسم Hu - lo - chan
de Ma - lu ، أي حارث المروي (نسبة الى مرو حاضرة خراسان). انظر كتاب Bretschneider ص ٩ فيما يتعلق بما كتبه الصينيون عن العرب والولايات العربية. وأنا مدين بما نقلته هنا للمسيو دي غوية.

(٢) الطبري ٢ : ١٨٦٨. راجع أيضاً ٢ : ١٥٠٨

(٣) الطبري ٢ : ١٥٨٣.

الحكومة قد اضطرت أخيراً إلى النزول على إرادة هؤلاء وقبول مطالبهم . فكان يُعين مندوبان ، أحدهما من قبل الحكومة والاخر من قبل الشعب ، يوكل اليهما اختيار العمال وحثهم على معاملة دافعي الضرائب باللين والرفق . ويظهر أن تلك الامتيازات لم يكن لها من أثر في نفوس الأهلين ؛ فان التذمر مافتىء يملأ قلوبهم حتى إن كثيراً من حاشية الوالى نفسه قد اتهموا بممالة هؤلاء المتذمرين (١) .

ومما يكشف لنا عن ميول الحارث وميول أنصاره تسميتهم بهذا الاسم الذى طالما عرفوا به وهو المرجئة (٢) .

وتخالف المرجئة الخوارج في تكفيرهم الخلفاء الثلاثة ، عثمان وعلياً ومعاوية وأنصارهم ، ذاهبين إلى القول بأن كل من آمن بوحداية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر وأن ذلك موكول لله وحده يوم القيامة مهما كانت الذنوب التى اقترفها والمبادئ السياسية التى يدين بها . فهم يرجئون (القرآن الكريم ٩ : ١٠٦) الحكم على إخوانهم فى الدين إلى الله وحده (٣) الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) .

وكانت مسألة المسائل فى ذلك الحين هى موقف الجدد فى الاسلام . وقد لعبت المرجئة دوراً هاماً فى التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين ، حين تطور النزاع بين الأحزاب والطوائف وحلت تلك المشكلة الاجتماعية الجديدة محل الخلاف على الامامة . وقد ذهبت المرجئة إلى القول بأنه لا يحل للحكومة أن تعامل هؤلاء كما لو كانوا لا يزالون على كفرهم بعد أن أصبحوا مسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وعلى هذا كانوا

(١) الطبرى ٢ : ١٩٢٠

(٢) شرحه ٢ : ١٥٧٥

(٣) أنظر مقالتي فى « الارزاء » فى Zeitschrift der Deutschen Worgenländischen Gesellschaft, XLV, P. 161 suiv .

لا يتحرجون عن قتال أية حكومة تقر مثل تلك المظالم (١). ومن ثم لاندعش بعد أن وقفنا على حوادث الشدة والعسف في بلاد ما وراء النهر أن نرى هؤلاء يجرمون سفك الدماء البريئة ويجهرون بأن جميع المسلمين إخوة في الدين (٢). وصفوة القول فإن كل ما كان ينشده هؤلاء إنما هو العودة إلى مبدأ المساواة بين الشعوب الذي أقره الاسلام وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

وكان ذلك بلا ريب شعور السواد الأعظم من أتباع الحارث . على أن بعضهم قد ذهب إلى أبعد من هذا ، فضمّنوا عقيدة التوحيد معنى أخلاقياً ودينياً عميقاً ، تلك العقيدة التي يجب أن تظل — حسب زعمهم — اعترافاً قلبياً وعقيدة باطنية . وقد عزى إلى جهم بن صفوان أحد رؤس المرجئة وكاتم السر للحارث بن سريج (٣) هذه الكلمات : « إن الايمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية (٤) (في دار الاسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ولى الله عز وجل ومن أهل الجنة). وعلى ذلك فقد ذهب جهم إلى القول بأن الاسلام الصحيح والايمان الحق شيء واحد . وكان من الطبيعي أن تدفع مثل هذه

(١) الاغانى ج ١٣ ص ٥٣ و ٥٥ ، المقرئى خطط ج ٢ ص ٣٤٩ (أنظر جهم بن صفوان) . ونرى في العراق بعض المرجئة يحاربون في صفوف يزيد ابن المهلب الذى نار على بنى أمية . الطبرى ٢ : ١٣٤٩

(٢) الطبرى ٢ : ١٩٣١ ومايلها ، الاغانى ج ١٣ ص ٥٢ (١٩)

(٣) الطبرى ٢ : ١٩١٨ ومايلها و١٩٢٤

(٤) ابن حزم . مخطوط ليدن ج ٢ ورقة ١ (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ

العقيدة أصحابها إلى احتقار الفرائض العملية للإسلام (١)، ووضعهم واجبات المرء نحو من يحيط به من الناس فوق أداء الفروض التي جاء بها القرآن على الوجه الأكمل . ومن هذه الناحية كان مذهب الأرجاء في خراسان أشبه شئاً بأثر عكسي أخلاقى لذلك الإسلام الشكلى دين الحكومة العربية في ذلك الحين — تلك الحكومة التي أصرت على عدم المساواة بين جميع رعاياها في الدين باتباعها ذلك النظام الجائر لجمع الضرائب وجباية المكوس × × .
وأما ما ينكره البعض على الحارث من مخالفته الأتراك ضد المسلمين فإني أميل إلى القول بأن ذلك كان راجعاً إلى عوامل أخرى دون حنقه على العرب وسخطه عليهم لهزمهم إياه . وأما الجدد في الإسلام من إقليمى بخارى وسمرقند وإن كانوا قد انصرفوا عن العرب (الأمويين) وخرجوا عليهم ، فليس معنى هذا أنهم قد ارتدوا عن الإسلام . يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون عن وجود قاض مسلم بين أولئك الذين عادوا من منقاهم مع الحارث (٢) ، مما يدلنا على أنه قد انضم إلى الأتراك الكثيرون من المسلمين غير الحارث ، وهم من غير شك من أولئك المحدثين في الإسلام من أهالى بلاد ما وراء النهر ، وكانوا يرمون بمساعدة الحارث بن سريج إلى استرداد حقوقهم السياسية ومساواتهم بالمسلمين من العرب .

Zeitschrift d. D.M.G.H. p. 170 (١)

× × لئن صح هذا فإن الدولة الأموية باتباعها هذا النظام قد بعدت البعد كله مما دعا إليه الإسلام من المساواة بين جميع المسلمين في جميع الحقوق السياسية والمدنية ، لافرق في ذلك بين عربى وعجمى . يؤيد ذلك قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات آية ١٠ ، وقوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات آية ١٣ — المترجمان

(٢) الطبرى ٢ : ١٨٦٨

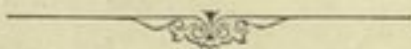
ويجمل بنا قبل أن نمضى في هذا البحث أن نلقى نظرة ولو سطحية على ما أسلفنا من البحوث حتى لا تنفصم عرى ما لدينا من البراهين والحجج بين تلك الحوادث المعقدة التي أتينا على ذكرها .

لقد صورنا للقارىء — اعتماداً على ما وقفنا عليه من المعلومات — الحالة السياسية والاجتماعية لتلك الشعوب المحكومة في عهد الاحتلال العربى وما تلا ذلك من الاضطراب ، كما رأينا كيف أصبح الأمويون بتحمسهم فى الدفاع عن ذلك النظام من أشد الناس خطراً على الدعوة الاسلامية . وقد استطعنا بفضل ما هدانا اليه بحثنا أن نقف على أغراض تلك الحركة العكسية التي قامت فى الولايات الشرقية للدولة الاسلامية من جراء اضطهاد بنى أمية لأولئك الموالى ، تلك الحركة التي لم تلبث أن تطورت إلى حركة دينية ترمى إلى إسلام أوسع نطاقاً وأكثر عالمية وأقل حرجاً مما كان يفهمه الأمويون ؛ تدل على مدى عالميته تلك العبارة : « إن الاسلام لا يعرف المفاضلة بين الشعوب » .

ولم تحمد تلك الحركة بموت الحارث بن سريج (١٢٨ هـ) . فانه لم يكف يمشى على وفاته عام واحد حتى أشعل أبو مسلم نار الثورة على بنى أمية ، تلك الثورة التي قلبت عرشهم كما انتهت بزوال النفوذ العربى فى القسم الشرقى للدولة العربية .

ومن هنا نرى أن نجاح أبى مسلم لم يكن ابن ساعته ، وإنما يرجع إلى دخول عنصر جديد من المطامع القومية فى نفوس المسلمين من غير العرب ؛ ذلك العنصر هو الشيعة .

ومن ثم لم يبق أمامنا إلا أن نعنى بدراسة نمو هذه الأفكار الشيعية وانتشارها .



الباب الثاني

الشيعة

comptrollers

- ١ -

نشأة الفرق الإسلامية

لابد للمؤرخ الذي يريد أن يقف على مدى انتشار المذاهب الإسلامية وتطورها أن يحصر بحثه في عصر عربي خاص .
ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الطوائف التي نشأت بين العرب في البلاد التي فتحوها إنما كانت ترمى بأذى ذي بدء إلى غرض سياسي محض رغم ظهورها بهذا المظهر الديني .

كانت الامامة (وهي القيادة العليا للمسلمين) أولى المسائل التي فرقت بين المسلمين ومزقتهم شيعاً وأحزاباً . أما حزب بنى أمية (ومقره بلاد الشام) الذي كان له النفوذ في ذلك الحين فكان يدافع عن عرش الأمويين ، إذ كان يرى أن أمراء هذا البيت أحق الناس بالخلافة بعد الخلفاء الراشدين (أبي بكر وعمر وعثمان) ، وأنهم أصحاب الحق في الأخذ بئار عثمان والمطالبة بدمه لما كانت تربطهم به من أواصر القرابة . وكان يناوىء هذا الحزب :

١ - حزب أهل المدينة وهم أنصار النبي ، الذين كانوا لارتباطهم باليمانيين من العرب يعتبرون أن وصول بنى أمية إلى الحكم إنما هو انتصار لأعدائهم القدامى من مشركي مكة .

٢ - حزب الشيعة وهم أنصار أهل البيت المتحمسون للدفاع عن



حقوقهم في الخلافة ، ولا سيما حق علي .

٣ — حزب الخوارج وهم الجمهوريون الذين كانوا يقولون باختيار الخلفاء من بين الأكتفاء أنى كانت الطبقة التي ينتمون إليها ، كما كانوا يرون أيضاً عزل الخليفة منذ اللحظة التي يفقد فيها ثقة الأغلبية .

وكان الخوارج أشد هذه الأحزاب الأربعة تعصباً . وأما الأحزاب الأخرى ، فبالرغم من أن الحرب كانت لا تكاد تضع أوزارها بينهم ، فقد كان يجمعها مبدأ مشترك هو انتخاب الخليفة من قبيلة قريش . وهم وإن كانوا يعتبرون خصومهم كفاراً ، فإن ذلك لم يمنعهم من أن يعيشوا معهم في وئام تام ما دام في استطاعة الحكومة أن تتغلب وتبسط نفوذها بالجند أو بالمال (١) . وأما الخوارج فكانوا على العكس من ذلك لا يدعون لهذا النوع من نظم الحكم ، كما كانوا يرمون أعداءهم السياسيين بالكفر ويعاملونهم معاملة الكفار . وكان شعارهم « لا حكم إلا لله » ، تلك العبارة التي لم يكن يقصد بها إلا حكم السيف .

لا يضع المؤرخون الذين تأثروا فيما كتبوه عن بني أمية بكمراهة العباسيين لهم ولأشياعهم حيث وضعناهم عند كلامنا عنهم فيما تقدم . ولا غرو فقد كان هؤلاء يصورون جهاد الأحزاب لبني أمية — حين يعرضون للكلام عنه في كتبهم — بأنه جهاد ديني لا يكاد يختلف فيه موقف أنصار بني أمية عن الموقف الذي كان يقفه الكفار ضد النبي حين قام بالدعوة للإسلام . وكانوا يستندون في ذلك على سوء سيرة يزيد الأول ويزيد الثاني والوليد الثاني من الخلفاء الأمويين ، ولا سيما ما كان من هتك حرمة المدينة

(١) الطبري ٣ : ٣٤٠ (س ١٩ وما يليه) ، ٨١٠ ، كانوا يقولون في الكوفة : « من أعطانا الدراهم قاتلنا معه » . يدل على ذلك هذا البيت الهجائي :

ولا في سبيل الله لاقى حماه أبوكم ولكن في سبيل الدراهم

المنورة في عهد يزيد الأول وإباحة الحرم المكي بعد استيلاء عبد الملك على مكة . أضيف إلى ذلك اتخاذهم المقاصير لتحجب الخليفة عن الناس (١) وإلقاءهم خطبة الجمعة قبل الصلاة حتى لا يتفرق الناس دون سماعها ، مخالفين في ذلك سنة الرسول وسنة خلفائه أبي بكر وعمر وعثمان (٢) .

على أنه يتبين لنا ، كما كتبه المعاصرون لبني أمية خطأ أولئك المؤرخين من أعداء الأمويين وتشويههم للحقائق . ولا غرو فقد كان السواد الأعظم من العرب يرى في حزب بني أمية حزب الدين والنظام (٣) ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين كان لا يرى في الاستيلاء على المدينتين المقدستين إلا ضرورة دعا إليها موقف أهل الحجاز العدائي دون أن يرى في ذلك أي انتهاك لحرمتيهما (٤) . كان أنصار بني أمية يرون أنهم حاسبوا المسلمين حقاً . ومن ثم كانوا يكفرون خصومهم ويعاملونهم بنفس تلك القسوة التي كانوا يعاملون بها الكفار (٥) . فكان معاوية في نظر الحزب الأموي خليفة الله ، كما كان ابنه يزيد إمام المسلمين ، وعبد الملك « إمام الاسلام » و « أمين الله » و « جنة الدين » ، وهكذا (٦) . وأما سبهم على بن أبي طالب جهاراً ،

(١) ابن رسته (طبعة دي غوية) ص ١٩٢ (٥) ؛ المقرئزي : خطط ج

١ ص ٦٠ ؛ V. Giet, L' Art arabe, p. 34

(٢) Goldziher, Islamische Studien , P . 41-49

(٣) أنظر ما نقلناه بذييل الكتاب رقم ٢

(٤) أنظر الأبيات ١٧ و ٢٠ وما يليها من قصيدة أبي صخر الهذلي .

ديوان هذيل Wellhausen ص ٩٢

(٥) الطبري ٢ : ٤١٤ (س ١١ وما يليه) و ٤١٥ و ٤٢٥ (س ٥ وما

يليه) وبوجه خاص ٤٦٩ و ٤٧١ (س ١٥ وما يليه) .

(٦) وقد وردت هذه النعوت التي أتينا على ذكرها في البلاذري (طبعة

Ahlwardt ص ١٢ و ٣٠٣ ؛ العقد الفريد ج ١ ص ١٢٢ (س ١٦ وما يليه) .

فلانكاره حق معاوية في الخلافة . وخلاصة القول فان عليا وإن كان يكنيه
الكثيرون من أنصاره « أبا تراب » فان البيت الأموي لم يعدم أنصاراً
يدافعون عنه ويتحمسون له وهم العثمانية (١) ثم المروانية (٢)

وقد وضعت الحرب أوزارها بين الطوائف الاسلامية في خلافة عبد الملك
ابن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) الذي قضى على ثورة الخوارج في موقعة
حروراء (٦٧ هـ) بعد أن هزمهم هزيمة منكرة (٦٥ هـ) بالقرب من عين
الوردة ، كما انتهت أيضاً تلك الثورة التي أثارها أهل الحجاز باستيلاء الامويين
على مكة وقتل عبد الله بن الزبير آخر من كانوا يمثلون حزب الانصار .
وأما ثورة الخوارج فقد ظلت حتى سنة ٧٧ هـ حيث خمدت جذوتها على أثر
وفاة قطرى بن الفجاءة ببلاد طبرستان .

أما عصر الوليد الأول وسليمان بن عبد الملك فكان عصر انتقال وفتح
الطبرى ٢ : ٧٨ و ٧٤٣ و ٨١٠ (س ٥ و ٦) ، ١١٧٦ ، (س ٩) . ديوان
الفرزدق (طبعة Boucher) ص ٢١٩ والنص العربي ص ١١ وما يليه ؛
(١) Goldziher, I.I. p 381 الطبرى ٢ : ٣٤٠ و ٣٤٢ و ٣٥٠ ؛
Goldziher, I.I. p. 118 suiv. وقد قصر جولدزير العثمانية على المنطرفين
من أشياع بنى أمية ، بينما كان يطلق هذا اللفظ أيضاً على بعض الاحزاب
المحايدة . انظر ابن الفقيه (طبعة دى غوية) ص ٣١٥ . « أما أهل البصرة
فعثمانية يدينون بالكف يقولون كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل » . وهذا جلي ؛ فقد كان هناك كثيرون ممن كانوا لا يشايعون بنى
أمية بسورية . ومع ذلك فتد كانوا لا يرضون عن قتل عثمان لاشئ سوى
أنه كان مع أبي بكر وعمر ، كما كان أحد الصحابة الذين اشتهروا بالاخلاص
لمحمد (صلى الله عليه وسلم) . ومن بين هؤلاء العثمانية البصرية (الذين قاتلوا
في صفوف طلحة والزبير) ، كما كانوا أيضاً من الأنصار من أهل المدينة —
الأخاني ج ١٥ ص ٢٧ (س -) .

(٢) ولم تظهر هذه التسمية إلا عند ما ولى مروان الخلافة بدمشق —

الطبرى ٢ : ٨٠٤ (س ٣) ، البلاذرى (طبعة Ahlwardt) ص ٢٢١ .

لا يكاد يمدنا بشيء عن تلك الأحزاب .
على أن الأمويين لم يستطيعوا القضاء على تلك الأحزاب واستئصال
شأقتها (اللهم إلا إذا استثنينا حزب الأنصار) . فالخوارج والشيعة الذين
مزق جند بني أمية أوصالهم وأفقدوهم خيرة رجالهم ، وإن لم يبق لهم من
القوة ما يمكنهم من مقاومة الأمويين وعلان الحرب عليهم جهاراً ، فإن
مبادئهم ما فتئت أن انتشرت ، وذلك لملاءمتها لتلك الحالات الاجتماعية
الجديدة التي نشأت في الدولة العربية في الشرق . وهكذا تطور ذلك النزاع
السياسي للأحزاب العربية إلى جهاد اجتماعي ديني .

لم يصغ الأمويون — كما رأينا — إلى أية حركة من حركات الإصلاح .
وأما محاولة عمر بن عبد العزيز فإنها لم تزد الأمور إلا حرجاً لما كانت تتأثر به
من تحفظ ورجعية لا تتفق مع حالة الدولة الاقتصادية . ولا غرو فقد
أنضبت بيت المال وأجأت الحكومة إلى الرجوع إلى نظام الضرائب الذي
وضعه الحجاج بن يوسف ، وذلك بتسهيهاها الفرص لاعتناق الاسلام ورفع
الجزية عن أسلم . ومن ذلك الحين انفصلت الدعوة إلى الاسلام والعمل على
نشره عن سياسة الأمويين الاقتصادية على أثر ما ظهر بينهما من التعارض .
وإن في الثورة التي قام بها أنصار الحارث لأقوى دليل على صحة هذا القول .
فقد خاض المسلمون غمار هذه الحروب التي استعرت نارها بين الطوائف
وضموا شكاتهم إلى شكاة الأعداء القدامى لبيت الأموي . وهكذا ظل
النزاع على الامامة قائماً ، ولم يزد دعاء أهل الحق والعدل إلا احتداماً وتأججاً .
ففي بلاد العراق والجزيرة نصَّب الخوارج أنفسهم منذ خلافة عمر بن
عبد العزيز حماة للضعفاء والمضطهدين وحرباً على المستبدين والطاغين (١) .
وفي إفريقية مد هؤلاء الخوارج البربر المتذمرين من حكم الأمويين

(١) الطبري ٢ : ١٦٣٤ : cf Ibid paenult ١٦٣٤ : ٢

بالأسلحة التي استعانوا بها على قتال ولائهم في تلك البلاد (١). كذلك ثار ببلاد اليمن عبد الله بن يحيى الخارجي الملقب بطالب الحق احتجاجا على ذلك الاستبداد الظاهر وتلك المعاملة القاسية التي كان يعامل بها ولاية بني أمية أهل تلك البلاد (٢). وكان الخوارج في ذلك الوقت غير الخوارج الذين حاربهم الأمويون وانتصروا عليهم من قبل؛ فقد كانوا يحاربونهم بسيف الدين ويقارعونهم بحجج الاسلام. وقد وضع الخوارج تلك القاعدة، وهي أن مرتكب الكبيرة كافر — حين تطور النزاع بينهم وبين أعدائهم من الأمويين وانحصر بين الرضى أو عدم الرضى عن كل حكومة جائرة أيا كانت تلك الحكومة، بعد أن كان نزاعا شخصيا محضاً ينحصر في شرعية خلافة فلان أو فلان × × وهكذا ظلت تلك القاعدة القديمة التي وضعها الخوارج — وهي تكفير المؤمن العاصي — رغم تغير موضوعها واختلافه باختلاف الأحوال التي كانوا يطبقونها عليها.

ويدلنا حال هؤلاء الخوارج — وكذلك حال المرجئة — على مدى تأثير ذلك التطور الجديد في نمو حركة هذه الطوائف وانتشارها.

وكان من أثر ذلك أن عرضت لبيت الأموي مشكلة لم يكن يحلم بها أصلا. فقد حارب الأمويون أعداءهم السياسيين بأسلحة تكاد تكون متكافئة. وما نحن نرى هؤلاء المناوئين لعرش بني أمية يظهر من جديد

(١) الطبري ١ : ٢٨١٥ . وقد ترجمت هذه العبارة في الملحق الثالث .

(٢) الأغانى ج ٢٠ ص ٧٩ (س ٧ ، ٨ ، ١٥) . أنظر الملحق الرابع .

× × كان موضوع هذه القاعدة موضوعا شخصيا معيناً لا يكاد يعدو شخص على ومعاوية، ثم تطور من الحكم على الأشخاص الى الحكم على المبادئ. ومن ثم صار الخوارج أعداء أيّة حكومة جائرة، أموية كانت أو علوية. والسفر في هذا التطور دخول غير العرب في هذه الطائفة التي غدت منذ ذلك الحين لا ترى مانعا من إسناد الخلافة الى الموالي — المترجمان .

بقوة لا قبل للأمويين بها في نفس اللحظة التي كان يعتقد فيها هؤلاء أنهم
قضوا عليهم القضاء الأخير . ولا غرو فقد كانت تعوز بني أمية القوة المعنوية
الضرورية لقمع تلك الثورة النفسية . وكان جواب الحكومة الوحيد على
شكايات الخوارج ومطالبهم الجديدة هو إعلان الحرب عليهم جهاراً .

وقد انهزم أولئك الثائرون الغلاة في بلاد العرب والعراق وبلاد الجزيرة
بفضل ما أظهره مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية من الحزم والجد في
مناجرتهم . على أن الأمويين ، وإن انتصروا على هؤلاء الخوارج في تلك
المرّة أيضاً ، فقد استنفد ذلك الانتصار آخر جندي من جنودهم .
ومن ذلك الحين نرى حزب الشيعة يعاود الظهور بقوة لم يستطع
الأمويون مواجهتها .

وقد تفرعت الشيعة من ذلك الحزب السياسي الذي قضى عليه الأمويون
بمحروراء ، ثم انتشرت وقامت بحركة سياسية اجتماعية دينية واسعة النطاق
ضمت إليها جميع العناصر الاسلامية المعادية للعرب وللأمويين جميعاً .
هكذا كانت نشأة تلك الحركة ، وهو ما سنعرض له فيما يلي .

صل نزع اسم
الكوخايع

عقائد الشيعة

حارب الشيعة من عرب الكوفة الأمويين أول الأمر للدفاع عن حق
على في الخلافة ثم للأخذ بثأر ابنه الحسين الذي قتل بين ظهرانهم دون أن
يجرؤ أحد منهم على اغتياله .

ولم يكن إخلاص العرب من أهل الكوفة لآل البيت بريئاً من جهات
كثيرة . فقد أنساهم ما كانت تفرمهم به الحكومة الأموية التي كانوا يدينون
لها بالخضوع والطاعة من الأعطيات والأرزاق ما قطعوه على أنفسهم من

العهود والمواثيق لآل على كلما دعائم هؤلاء لمناصرتهم ، كما تركوا المختار منذ اللحظة التي منح فيها الموالى نفس الحقوق التي كانت للعرب من أهل الكوفة (أنظر ص ١٦ من الكتاب وص ٤٠ — ٤١ من الترجمة) . وينفسر لنا حسن لقاء الكوفيين لدعاة البيت العلوى تقلب أهل الحضرة من هذه البلاد وما جبلوا عليه من الشقاق والنفاق ، ثم خوفهم من قتال الخوارج الذين كانوا يذبحونهم كما تذبح الشاة ، وكراهيتهم أن يروا سوادهم في أيدي الأمويين الذين كانوا يطلقون عليه بستان قريش .

على أنه قد ظهرت منذ أيام المختار أفكار جديدة كان لها أثر كبير في نفوس الكثيرين من الشيعة .

ويظهر أن هذه الأفكار التي نشأت في مبدأ أمرها في البيئات ^{غير} العربية إنما كانت بقية من عبادة الملوك ، تلك العبادة التي كانت مشهورة عند قدماء الفرس بعد أن خالطها بعض العقائد الأشراقية × × ، والتي لا يبعد أن

× × الأشراقية أو اللاء درية وهي مذهب من مذاهب الفلسفة الديفية ، نشأ في بحر الدين المسيحي . ويزعم أتباعه أن لهم معرفة تامة بالطبيعة وبصفات الله ، كما يعتقدون أن طريق النجاة إنما هو العلم لا الإيمان .

وهذا المذهب قريب من الأفلاطونية والمانوية . أما أنصاره فهم إما أفلاطونيون حاولوا التوفيق بين الأفلاطونية وطقوس المسيحية ، وإما مسيحيون أرادوا الجمع بين المسيحية وبين العقائد التي كانت سائدة في الشرق القديم .

وقد ساعدت مناوأة رجال الكنيسة لهذه الطائفة واضطهادهم لاتباعها على ظهورها وانتشارها . ويبلغ عدد فرقها سبعين فرقة ترجع جميعها إلى خمس فرق أساسية : (١) الفرقة الفاسطينية ومن زعمائها سيمون المجوسى Simon le Magicien وقد خلط بين العقائد اليهودية التي أخذها عن التوراة بعقائد بعض الديانات القائلة بتعدد الآلهة وجمع منها قواعد مذهبه (٢) والفرقة الأشورية وهي قريبة من الزردشتية (٣) والفرقة المصرية ومن

تكون قد انتقلت اليهم عن طريق الديانة البابلية القديمة .
وكان من بين العقائد المسلم بها عند الشيعة من أهل الكوفة أن
الحكمة العالية التي أفاضها الله على محمد (صلى الله عليه وسلم) ليفصل على
أشهر زعمائها بزليدس Basilides وفالنتين Valentin (٤) والفرقة المعتزلة
(المنشقة) (٥) ثم الفرقة الاسيوية وتعتمد في عقيدتها أكثر من غيرها من
الفرق الأخرى على كثير من نصوص الانجيل .

وأساس جميع هذه المذاهب هو القول بوجود إلهين أو مصدرين
أساسيين للوجود هما إله الخير وإله الشر . ومن ثم لا تكاد تختلف عن المانوية
في شيء اللهم إلا بقدر ما كانت تمتاز به من الرقى الفكرى .

ويتلخص مذهب هؤلاء الاشراقيين في أن هذا العالم الذى نعيش فيه قد
صدر عن إله غير معصوم من الخطأ ، وأن أول ما خلق منه هى النفوس الطاهرة
والأرواح الخالصة من كل شائبة . ثم تلا ذلك التجسد وهو هبوط الروح
من ملئها الأعلى ودخولها فى الجسم وإختلاطها بالمادة . وقد ابتدأ هذا التجسد
بدخول الأرواح فى أجسام النساء . وهذا التجسد فى نظرهم هو الخطيئة
الكبرى التى يجب التفكير عنها بالتوبة . ولما كانت المادة عندهم هى مصدر
الشر ، كان كل جسم فى نظرهم مقبوحاً وكل لذة بدنية مردولة . ومن ثم نشأ
مقتهم للزواج وتحريمهم ملكية الأشياء وبغضهم للحياة الدنيا .

وقد استطاع أنصار هذا المذهب التوفيق بين نفوس مذهبهم وبين
مطالب الحياة المادية وتقادى تلك الصعاب التى قد يضطرهم اليها تطبيق مبادئهم
على شؤون الحياة الدنيوية ، فلجأوا الى بعض الحيل والفتاوى . من ذلك قولهم
بأن الملاذ وإن كانت مردولة فلا بأس من تناولها بقدر ما تقضى بذلك حاجة
الحياة وضرورة الوجود مادما نستنكرها بقلوبنا . وقد تابعهم فى ذلك الكثير
من الطوائف الأخرى ، وظلوا على ذلك حتى جاء كارپورات Carporate فلم
ترقه تلك الفتاوى وماجرت اليه من فساد أخلاقى ، فحرم جميع الملاذ . ثم جاء
ابنه إبيفان Epiphane فحرم الملكية الفردية ودعا إلى الاشتراكية .

أنظر كلمة Gnostic دائرة معارف لاروس ودائرة معارف كاسل

هدايا في الأمور وفق إرادة الله لم تزل بموت النبي ، وإنما ورثها عنه أعقابها .
وكان البعض يعزو اليهم علما لم يحصلوه على النحو الذي تحصل به العلوم البشرية ،
وإنما تلقوه من لدن الحكمة الإلهية مباشرة . وهاك ما كتبه الخليفة هشام
إلى واليه يوسف بن عمر (١) : « أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في
حبهم أهل هذا البيت ووضعهم إياهم في غير مواضعهم لأنهم افترضوا على
أنفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوه علم ما هو كائن » .
وقد بلغ من تشيع أهل الكوفة لآل علي أن كانوا يؤمنون بكل حديث
أيا كان ، سواء تضمن أو لم يتضمن بعض الأمور التي تتعارض مع ظاهر
ما جاء به القرآن ما دام ذلك الحديث قد جاء على ألسنة الأئمة من آل علي .
ومن ثم كان يبيح أهل الكوفة القليل من النبيذ . وإلى القارىء ما ذكره
في ذلك صاحب العقد : « بينما كان زيد بن علي في بعض أزقة الكوفة إذ
مر به رجل من الشيعة ، فدعاه إلى منزله وأحضر طعاما . فتسامعت به الشيعة
فدخلوا عليه حتى غص المجلس بهم ، فأكوا معه ثم استقى . فقيل له أي
الشراب نستيق يا ابن رسول الله ؟ قال أصلبه وأشدّه . فأتوه بعقيق من نبيذ
فشرب . . . وشربوا ثم قالوا يا ابن رسول الله ! لو حدثتنا في هذا النبيذ
بحديث رويته عن أبيك عن جدك فإن العلماء يختلفون فيه . قال نعم ! حدثني
أبي عن جدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتركبن طبقة بني إسرائيل
حذوا القذة بالقذة × والنعل والنعل . ألا وإن الله ابتلى بني إسرائيل بنهر
طالوت (القرآن الكريم ٢ : آية ٢٤٩ لا ٢٥٠ كما ذكر المؤلف) أحل منه
الغرفة والغرفتين وحرم منه الشرب . وقد ابتلاكم بهذا النبيذ أحل منه القليل
وحرم منه الكثير . وكان أهل الكوفة يسمون النبيذ نهر طالوت (٢) . »

(١) الطبري ٢ : ١٦٨٢

القذة بالضم ريش السهم والجمع قذذ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٧

وكان طبعياً أن يعتبر الناس هؤلاء الأئمة أنفسهم المرجع الوحيد لتفسير هذا الاعتقاد وتحديد مداه بعد أن تأصل في قلوبهم الاعتقاد بعصمتهم. وإلى القارىء تلك العبارة التي أثرت عن علي (١): «أحلم الناس صنغاراً وأعلم الناس كباراً. ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمتنا ومن قول صادق سمعنا. فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا؛ معنا راية الحق، من يتبعها لحق ومن تأخر عنها غرق».

ويتضح لنا الاعتقاد بعصمة الأئمة من لفظ «المهدي»، وهو لقب الشرف الذي كان يلقب به الأئمة من آل البيت (ومعناه الهادي إلى الطريق المستقيم) (٢).

وكان بعيداً أن تقتصر تلك العقائد التي أتينا على ذكرها على أهل العراق أو على طائفة معينة من الجدد في الاسلام؛ ولا سيما إذا علمنا أنها نشأت في الكوفة وتأثرت بالديانات السابقة للاسلام. وقد انتشرت تلك العقائد في جزء عظيم من الدولة الاسلامية بقدر ازدياد تدمير المسلمين وسخطهم ثم ضعف الدولة الأموية وانحلالها. وقد ظهر الاعتقاد بأنه ليس ثمة صلاح لهذه الأمة إلا على يد أحد الأئمة من آل البيت في جميع الولايات الاسلامية، حيث أدرك الناس أن الأمويين أصبحوا لا يعنون إلا بمصالحهم الشخصية دون مصلحة الدين الذي أخذوا على عاتقهم نشره.

وكان طبعياً أن لا تعوز الأمة الاسلامية الرجال السياسيون والزعماء المتحمسون الذين يرقبون الفرص لتركييز ميول الجماهير ويستغلون تلك الآماني المهمة لقيادة الأمة نحو وجهة معينة، كما هو الحال في

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٦٢

(٢) الطبري ٢: ٥٤٦ (٢) و ٦٠٨ و ٣٥٠ (١٤) و ٣٥٣ (٢٠) الكامل

للمبرد (طبعة رايت Wright) ص ٧١٠؛ سنوك هرجرونية Snouck Hurgronje, der Mahdi, p. 6 (n. 7).

أوقات الشدة والتذمر حيث تفضل العقول وتقبل النفوس وحيث لا تزال الأفكار في دور الاختمار . وهكذا ظهرت في ذلك الوقت العصيب البعثات المنظمة (الدعاة) في جميع الولايات الاسلامية يحثون الناس على اعتناق العقائد الشيعية .

ويجب علينا ، لكي ندرك مدى أثر تلك البعثات ، أن نعرض للكلام على أولئك المتطرفين من الشيعة الذين يسميهم العرب « الغالين » .

طوائف الشيعة

من اليسير تقسيم هؤلاء الغالين أو المتطرفين ، الذين كان يعتبرهم الفقهاء من العرب إحدى طوائف الشيعة ، والذين كان تقديس آل البيت جزءاً هاماً من معتقداتهم ، إلى طائفتين هما السبئية والكيسانية .

أما السبئية (أنصار عبد الله بن سبأ الذي كان يرى أحقية علي بالخلافة منذ أيام عثمان بن عفان) فكانوا يعتقدون أن جزءاً إلهياً تجسد في علي ثم في خلفائه الأئمة من بعده . وليس من الضروري - حسب زعمهم - أن يظهر ذلك الجزء (الروح) الالهى دائماً في ذلك العالم ، بل يجوز أن يعود إلى مقره الألهى حتى يتجسد في شخص آخر . ويسمون الفترة الذي يغيب فيها ذلك الجزء « الغيبة » ، ورجوعه إلى الأرض « الرجعة » ، كما يسمون انتظار ظهور الأمام « التوقف » .

ويعتقد هؤلاء الذين يقولون بالتوقف أن علياً يجيء في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، بينما يجيز البعض الآخر انتقال ذلك الجزء الألهى إلى أولاد علي من بعده . ومن ثم ينتظرون ظهور الامام . ويزعم هؤلاء أن ابن ملجم الخارجي لم يقتل علياً وإنما قتل الشيطان بعد أن

تشكل بشكاه ، إذ كانوا لا يسمون بفناء الجزء الألهى الذى تجسد فى شخص
على ، أو بالأحرى كانوا لا يعتقدون بموت على (١) .

ويظهر أن عقيدة السبئية إنما بنيت على رأى القديم القائل بتجسد
الألوهية ، بخلاف ما ذهب إليه الكيسانية التى ظهرت منذ أيام المختار
حين ثار بالكوفة (٢) . وتغلو الكيسانية فى اعتقادها باحاطة الأئمة بالعلوم
الألهية ، فتذهب الى أن محمداً بن الحنفية قد أحاط بالعلوم كلها ، وأن أخويه
الحسن والحسين قد عهدا اليه بالأسرار كلها وبعلم التأويل والباطن . وقد
انتهى اعتقاد الكيسانية بوجود انفراد الامام بتأويل الشريعة الى القول
بضرورة طاعته ، إذ أن طاعته لم تكن إلا طاعة للقانون الألهى
(وهذا ما يميزهم عن غيرهم من المعتدلين من الشيعة) . ويقول الشهرستانى
« إن جميع الكيسانية يعتقدون أن الدين طاعة رجل ، وأن طاعتهم لذلك
الرجل تبطل ضرورة التمسك بقواعد الاسلام » (كالصلاة والصوم والحج
وهكذا) (٣) .

(١) الشهرستانى (طبعة Cureton) ص ١٣٢ وما يليها ترجمة (Haarbriicker)
II. 41 لا يتفق ما عزاها الشهرستانى إلى السبئية مع ما ذكره الطبرى (Weil I. 173)
عن عبدالله بن سبأ . من ذلك قوله إن لكل بنى وصى أو وزير ، وإن الوصاية
كانت لعلى باعتباراه وزير محمد ، وإن محمداً سيعود إلى الأرض .
على أنى لم أتردد فى الأخذ بما ذكره الشهرستانى . فقد شاع مذهب
تجسد الألوهية فى شخص على من قبل ، سواء عزي هذا المذهب الى ابن سبأ
أو لم يعز إليه . أنظر طاهر الاصفهانى (Weil, I. 259 · Haarbriicker, II.41
والبلاذرى Z. d. D. M. g. XXXVIII. p. 391 والشهرستانى ص ١٣٢ ،
وابن رسته (طبعة دى غوية) ص ٢١٨ (س ٦ وما يليه) ، وكتاب المعارف
لابن قتيبة ص ٣٠٠ .

(٢) Van Gelder, Mokhtar, p. 82 suiv

(٣) الشهرستانى ص ١٠٩ وما يليه .

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين عقيدتي السبئية والكيسانية . فقد كانت السبئية تقول بحلول الجزء الالهى فى الامام وتجعل له نصيباً من الألوهية نفسها ، بينما تعتبره الكيسانية رمزاً للعلم الألهى . وصفوة القول أن السبئية وإن كانوا يعتبرون إمامهم شخصاً مقدساً ، فإن الكيسانية يبذلون له الطاعة باعتبارهم رجلاً رفيع المنزلة محيطاً بعلوم ما وراء الطبيعة . وتتفق الطائفتان فى القول بالرجعة ، أى رجعة الامام . إلا أن السبئية يقولون بعودة الامام من مقره السماوى ، على حين ترى الكيسانية أن الامام لا يعلم به حتى ساعة ظهوره . وقد ظهرت هذه العقيدة فى شعر الشعراء المشهورين الذين يدينون بعقيدة الكيسانية (١) . من ذلك قول كثير فى محمد بن الحنفية :

وسبّط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يتبعها الاله
تغيب لا يرى عنهم زمانا برضوى (٢) عنده غسل وماء (٣)
وقد ضعف نفوذ السبئية على مر الحوادث . إلا أن مذهبهم فى التجسد ما فتى ينمو وينتشر (٤) . وسرى أن هذا المذهب قد ظهر فى شكل جديد حين نعرض للكلام على عقيدة الراوندية .

أما الكيسانية ، ومن بينهم الهاشمية ، أنصار أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية ، فكانوا يقولون : « إن لكل ظاهر باطنا ، ولكل شخص روحا ،

(١) أنظر ما كتبه مسيو Barbier de Meynard عن لفظ « سيد » فى Journ. asiat. 1874, II. p. 159 sniv.

(٢) هو جبل بالقرب من ينبع حيث كانت ممتلكات آل البيت .

(٣) الشهرستانى ص ١١١ والأغانى ج ٥ ص ١٨٢ الخ .

(٤) وقد اشتركوا فى الثورة التى أثارها المختار وعبد الرحمن بن الأشعث

(ديوان الفرزدق طبعة Boucher ص ٦٣٢ . وفى النص العربى ص ٢١٠) .

ومما لا ريب فيه أن هذا الاسم كان خاصاً بهذا المذهب . فقد جرى العرف بإطلاق السبئية على جميع الغلاة من الشيعة .

ولكل تنزيل تأويلا، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الأنساني، وهو العلم الذي استأثر على أعلى السلام به ابنه محمد بن الحنفية، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم. وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقاً» (١). ولعقيدة الهاشمية أهمية كبيرة في تاريخ الشيعة. فقد ساعد ما ذهب اليه من التأويل والقول بأن لكل ظاهر باطناً على تسرب الكثير من العقائد غير الاسلامية إلى الشيعة - تلك العقائد التي انتقلت اليها عن المجوسية والمانوية X

(١) الشهرستاني ص ١١٢ (طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ج ٢ ص ٢٠١).
X المانوية نسبة الى ماني . وقد حاولت هذه الطائفة - كما حاول القدامى من الاشراقيين - التوفيق بين المسيحية والوثنية في الشرق . وقد أخذت عقائدها وطقوسها عن التوراة وعن الفارسية القديمة Parsisme ثم البوذية . ويقول أنصار هذه الطائفة بالاثينية وهي العقيدة الأساسية لديانة الفرس . ومن ثم يقولون بوجود مصدرين إلهيين لهذا العالم ، أحدهما إله الخير ويرمزون له بالنور والثاني إله الشر ويرمزون له بالظلمة ، ويسمون الاول إله النور والثاني إله الظلمة ، وهو الأله الذي صدر عنه هذا العالم المادي . وقد ندد عليهم بعض شعراء المسلمين بقوله

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب
وقد بلغ من احتقارهم للعادة أن كانوا يزعمون أن الشيطان قد خلق منها . وانتشرت المانوية في الشرق و لاسيما في بلاد الفرس والهند ، وفي بلاد التبت والصين والتركستان حيث ظلت مزدهرة بها حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم انتقلت إلى الغرب حتى وصلت إلى جنوب إيطاليا . وقد دعا القديس أوغسطين Saint Augustin إلى هذا المذهب وعمل على نشره زهاء ثمان سنوات . وناوأه كل من فالنتيان Valentin سنة ٣٧٢ م ثم تيودوسيوس الاول Thedosius I. سنة ٣٨١ م مناوأة شديدة وأصدره المراسيم الشديدة .

أنظر دائرة معارف لاروس - المترجمان .

والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الاسلام. وقد هيا النفوس إلى اعتناق الأسلام انتصار المسلمين بعد أن هدموا الكثير من العقائد القديمة . على أنه سرعان ما ظهر أثر عكسي لهذا النجاح الذي أحرزه المسلمون في نشر دينهم . فقد عصفت في تلك الولايات التي فتحها العرب عاصفة من عواصف البغض للاسلام X ولكل دين سماوى وسارت

X لم يقل أحد من المؤرخين أن أحداً ممن هداهم الله إلى الاسلام وشرح صدورهم له قد ارتد عنه بعد أن دخل فيه راضياً . ولن تعوزنا الأمثلة التاريخية الكثيرة لتأييد هذا الرأي ؛ فقد كان مشركو قريش يسومون المستضعفين من المسلمين سوء العذاب ليفتنوهم عن دينهم ، فلم يزدحم ذلك إلا إيماناً وتسليماً . من ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن مشركي قريش كانوا يخرجون صهار بن ياسر وأباه وأمه إلى الأبطح (الرمل المنبسط على وجه الأرض . وهو بين مكة ومنى — انظر هذا اللفظ في معجم البلدان لياقوت) إذا حمت الرضاء ويمذبونهم بحرّها . فمات ياسر ، وأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها بحربة فماتت . وهي أول شهيدة في الاسلام . ثم أمعن المشركون في تعذيب صهار بالحر تارة وبوضع الصخر على صدره تارة ، ثم بالنفريق تارة أخرى .

وهذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلف الجحى من مشركي قريش يلقى في الرضاء على وجهه وظهره إذا حمت الشمس وقت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتلقى على صدره ، ويقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يقول : أحد أحد ! فيقول ورقة : أحد أحد والله يا بلال . ولم يزل على هذا العذاب حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه .

أما خباب بن الأرت فقد عذبه الكفار عذاباً شديداً ، فكانوا يوثقون ظهره بالرضاء ثم بالرصف (وهي الحجارة المحماة بالنار) ، فلم يزدده ذلك إلا تمسكاً بالاسلام وإخلاصاً له . وقد هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

جنباً لجنب مع تدمير الموالى وتمردهم . ولما كان الاسلام يعاقب المرتدين عنه بالقتل لم يجرؤ أحد من هؤلاء على الارتداد عن هذا الدين جهاراً ؛ ومن ثم

وشهد معه المشاهد كلها .

ولم يقتصر تعذيب قريش المسلمين على الرجال بل تعداه إلى النساء . فقد أسامت لبينة جارية موامل بن عدى قبل إسلام عمر بن الخطاب ؛ فكان عمر يمعن في تعذيبها حتى يمل ، ثم يدعها ويقول : إني لم أدعك إلا سامة . ولم تزل في هذا العذاب حتى اشتراها أبو بكر وأعتقها (ابن الأثير ج ٢ ص ٣٠ — ٣٢)

وقد شهد كل من أبي سفيان وهرقل أمبراطور الروم للاسلام بتلك الشهادة التي تعتبر وثيقة تاريخية على ما لهذا الدين من أثر في النفوس وسلطان على القلوب في ذلك الحديث الذي دار بينهما . وكان أبو سفيان إذ ذاك من أئمة الكفر وزعماء المشركين ومن أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام . أضف إلى ذلك حقه على الاسلام والمسلمين بعد أن وتروه في غزوة بدر الكبرى وقتلوا سبعين من صناديد قريش ممن كانوا يحاربون المسلمين تحت لوائه . وإلى القارىء طرفاً من هذا الحديث : « قال أبو سفيان : خرجنا في نفر من قريش تجاراً إلى الشام ووالله إنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته (شرطة هرقل) ، فقال : أتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) ؟ قلنا : نعم ! قال : انطلقوا بنا إلى الملك . فانطلقنا معه . فلما اتهبنا إليه . . . قال : أيكم أمسُّ به رحماً ؟ قلت : أنا . . . فقال : ادنه (اقترب) . فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ثم قال : إني سأسأله ، فإن كذب فردوا عليه . فوالله لو كذبت ما ردوا علي . ولكني كنتُ امرأ سيداً أتكرم عن الكذب ، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوا ذلك علي ثم يتحدثوا به عني ، فلم أ كذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي . قال : فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أمره وأقول له : أيها الملك ! ما يهملك من أمره ، إن شأنه دون ما يبلغك . فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني ثم قال : أنبتني صماً أسألك عنه من

ذهب هؤلاء يتماسون سعادتهم الروحية بعيداً عن الاسلام وعقائده . وقد وجدت العقائد البابلية القديمة والآرية وغيرها الطريق إلى نفوس هؤلاء .

شأنه . قلت : سئل عما بدا لك . قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض ، أوسطنا نسبا . قال : فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟ قلت : لا . قال : فهل كان له فيكم مملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت : لا . قال : فأخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ؛ وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني ممن تبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ؟ (وفي رواية أخرى هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ؟) قلت : ماتبعه رجل ففارقه . قال : هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً مما سألتني عنه أغمزه فيه غيرها . قلت : لا ! ونحن منه في هدنة (يريد صلح الحديبية) ولانأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليها مني . ثم كر على الحديث فقال سألتك كيف نسبه فيكم فزعمت أنه محض ، بمن أوسطكم نسبا ، وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبا ، وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به ، فزعمت أن لا ، وسألتك هل كان له فيكم مملك فاستلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه فزعمت أن لا ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء . وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك ممن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ، فزعمت أن لا يتبعه أحد فيفارقه ، وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلباً فتخرج منه (وفي رواية أخرى وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب) ، وسألتك هل يغدر ، فزعمت أن لا . قلت : كنت صدقتني عنه ليغلبني على ماتحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك . قال فقمت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول : إى عباد الله ! لقد أمر أمر ابن أبي كبشة (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان يكنيه كفار قریش بأبيه من الرضاع استخفافاً به . وأبو كبشة هذا هو زوج حليلة السعدية التي أرضعت الرسول)

وهكذا نشأ من اختلاط هذه العقائد بالاسلام مذاهب جديدة طالما كانت تظهر فيها العقائد الاسلامية تغمرها الأمواج المتلاطمة من الخرافات والبدع.

أصبح ملوك بني الأصفر (يعنى الروم) يهابونه في سلطانهم بالشام !
صحيح البخارى (طبعة بولاق سنة ١٣١٣ هـ) ج ١ ص ٨ ، الطبرى
(طبعة القاهرة) ج ٣ ص ٨٥ - ٨٧ ، فتح البارى (شرح البخارى) لابن
حجر العسقلانى (القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج ١ ص ٢٤ - ٣٤ ، عمدة القارى
(شرح البخارى للعيني) (القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ) ج ١ ص ٩١ .

وليس أدل على صحة ماذهبنا إليه مما جاء في كتاب The Preaching of
Islam, P. 223 — 224 للمرحوم السير توماس أرنولد . فقد ذكر أن شابا
من المسيحيين اعتنق الاسلام بسمرقند ، فشكا المسيحيون ذلك إلى أحد
رجالات المغول من ذوى النفوذ ومن أكبر المشايخين للمسيحية ، ثم اتهموا
المسلمين بتحريضهم المسيحيين على الدخول فى الاسلام . فأمر ذلك المغولى
بأحضار هذا الشاب وأخذ يغريه على الارتداد عن الاسلام بالمال حيناً وبالتهديد
والوعيد حيناً آخر . ولما لم يجد ذلك نقما فى صرف هذا الشاب عن دينه الجديد
لجأ الأمير الى وسائل الشدة ، ولم يدع نوعاً من أنواع التعذيب إلا أذاقه إياه
فلم يزد ذلك إلا إيماناً . ولما لم يعبأ بوعود ذلك المغولى وتهديده أمر به فقتل .
وهكذا استشهد هذا الشاب مؤثراً الموت على الارتداد عن الاسلام . ويذكرنا
هذا بقول الشاعر العربى :

ولست أبلى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
وهكذا ظل الاسلام فى كل أدواره لا يدخل قلب امرئ إلا كان أحرص
عليه من حياته ، يبذل نفسه دون الارتداد عنه ويريق دمه فى سبيل الحرص عليه .
وما لنا نذهب بعيداً وقد أيد المؤلف نفسه صحة ماذهبنا إليه فى غير
موضع من هذا الكتاب ، ولا سيما حين عرض للكلام عن ثورة الموالى والجدد
فى الاسلام إذ يقول (ص ٣٢ من الكتاب ، ٦٦ من الترجمة) مانصه : « وأما
الجدد فى الاسلام من إقليمى بخارى وسمرقند ، وإن كانوا قد انصرفوا عن
العرب (الأمويين) وخرجوا عليهم ، فليس معنى هذا أنهم ارتدوا عن

وقد تيسر للأفذاذ من ذوى العقول المرنة التوفيق بين حياتهم الأولى ومظاهر الحياة التي يتطلبها ذلك الدين الجديد، رغم ما لا قوة من الانقلابات الاجتماعية الخطيرة والأزمات الفكرية العنيفة. وأما العامة فقد وقفوا في

الاسلام»، ثم قوله (ص ٢٤ من الكتاب، ٥٤ - ٥٥ من الترجمة) «وقد أحفظ بخارى خودة (أمير بخارى) تغشادة اقتناع الكثيرين منهم (أهل بخارى) بصحة الاسلام واعتناقهم له. ولا غرو فقد كان لا يزال يبطن الكفر رغم إظهاره الاسلام. . . وقد شنق بخارى خودة منهم أربعائة. . . ثم استرق من بقى منهم وأرسلهم الى أسد بن عبد الله بخراسان. على أن أحدا من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يرتد عن الاسلام، بل ظلوا جميعا مؤمنين به». ولعله قد اختلط على «فان فلوتن»، كما اختلط على الكثيرين من المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي، بغض بعض أهل الولايات الاسلامية لبعض أمراء المسلمين لكرهاتهم هؤلاء للاسلام وسخطهم عليه حتى خيل اليه أن هؤلاء قد سئموا الاسلام وملوه.

أما هؤلاء الذين ارتدوا عن الاسلام عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، فانهم لم يرتدوا عنه لبغضهم إياه وكرهاتهم له، وإنما ظنوا أن الاسلام قد انتهى بوفاة الرسول. أضف الى ذلك أنهم لم يخرجوا على عقيدة التوحيد عماد هذا الدين، بل زعموا أن الزكاة إنما هي إتاوة يدفعونها للرسول. ومن ثم لم يجدوا مبرراً لدفعها بعد وفاته.

على أن هؤلاء لم يكونوا مسلمين حقا، فقد كان السواد الأعظم منهم من هؤلاء الأعراب الذين مروا على النفاق. وقد نعى الله سبحانه وتعالى عليهم هذا في غير آية من القرآن. من ذلك قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم. وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم (ينقصكم) من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم. إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون. قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم) - الحجرات آية ١٤ - ١٦.

وسط الطريق . وهذا ما حدث في السنين الأولى للهجرة ؛ فقد لجأ الناس إلى تأويل الاسلام حسب أهوائهم ، لما كان يعوزهم من القوة المعنوية للارتداد عنه ومجاهرتهم بالخروج عليه X X . ومن ثم ابتدءوا يستنبطون

ومما يدل على أن هؤلاء لم يسلموا حقاً وإنما تورطوا في الدخول في الاسلام منهم باسلامهم على الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد ندد عليهم القرآن في ذلك بقوله (يمنون عليك أن أسلموا . قل لا تمنوا على إسلامكم ولكن الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) - سورة الحجرات آية ١٧ - المترجمان

X X لعل « فان فلوتن » يقصد أولئك الوصوليين الذين لم يدخلوا الاسلام عن اقتناع بصحته وإدراك لسمو مبادئه ، وإنما دخلوه لأنه دين القاتحين ولما عساه يدره عليهم من النفع أو يدرأ عنهم من الشر . وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، إذ لا تكاد تخلو أمة من الأمم من ذلك الفريق من ضعاف النفوس ومرضى القلوب ، ولا سيما في تلك الأوقات العصبية والانتقالات السياسية والاجتماعية العنيفة حيث يقوم دين جديد على أنقاض دين قديم وتقوم دولة فتية على أطلال دولة متداعية . ولقد منى الاسلام وابتليت الأمة العربية بتلك الطائفة التي اتخذت الاسلام جنة لتدمير المؤامرات ضد المسلمين . ولم يكن قتل عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة إلا نتيجة لتلك المؤامرة التي دبرها له الهرمزان لما كان يكتنه من الحقد للعرب بعد أن ثلوا عرش الفرس ومزقوا دولتهم . كذلك اتخذ بعض اليهود والنصارى الاسلام ستاراً يكيدون من ورائه لهذا الدين الحنيف ، فأدخلوا فيه الكثير من الخرافات والأساطير التي لا تمت إلى هذا الدين الحنيف بصلة . ولولا ما قام به علماء المسلمين ، ولا سيما علماء التفسير ومصطلح الحديث لمقاومة ذلك الخطر الداهم لضاع الاسلام ولعصفت به أعاصير تلك الضلالات والبدع التي أثارها عليه هؤلاء الأعداء على الاسلام منذ القرن الأول الهجري .

منه ما يلائم ميولهم ويتمشى مع حاجاتهم على حين أنهم تركوا الكثير من الفرائض الدينية التي كانت لا تروقهم . وكانت الطريقة الفذة التي كانوا يلجأون إليها ، هي التأويل الذي وضع أساسه الأئمة من سلالة محمد (صلى الله عليه وسلم) . وهذا ما حدا بجميع الساخطين والمتذمرين من الغلاة المتطرفين إلى الانضمام إلى الشيعة في الدعوة إلى آل البيت .

وأما معاقبة الاسلام من ارتد عنه بالقتل فذلك أمر اقتضته سياسة الدولة أكثر من الحرص على اسلام هؤلاء ، إذ كان أخوف ما تخافه الدولة الإسلامية من الأبقاء على هؤلاء المرتدين أن ينقلبوا عيوناً عليها ، وبذلك يصبحون شراً مستظيراً يهدد كيانها . ولا غرو فإن السياسة والدين لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر عند المسلمين :

أنظر Nicholson, Literary History of the Arabs, p. 197.

وقد بينا سياسة الاسلام حيال هؤلاء المرتدين عند الكلام عن قال أبي بكر لأهل الردة (أنظر هامش (١) صفحة ١٤ — ١٥ من الترجمة) . على أن الاسلام كان شديد الحيطه في أمر المرتدين ؛ فكان لا يأخذ في ذلك بالشبه ولا يحكم فيه بالظن ، إذ كان يمهل المرتد ثلاثة أيام يناقشه خلالها علماء المسلمين وفقهاؤهم فيما التبس عليه من أمر الدين وما عرض له من الشبه في صحته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة . وإلى القارىء طائفة من أقوال الأئمة في هذا الموضوع : قال أبو حنيفة : إذا ارتد المسلم عرض عليه الاسلام وأجل ثلاثة أيام ، لأن الظاهر أنه دخلت عليه شبهة ارتد لأجلها ، فعلياً إزالة تلك الشبهة ، أو هو يحتاج إلى التفكير لنبين له الحق فلا يكون ذلك إلا بمهلة ، فإن استمهل كان على الامام أن يمهل ، ومدة النظر مقدرة بثلاثة أيام في الشرع كما في الخيار (خيار الشرط وخيار الرؤية في البيوع) . فلهذا يمهل ثلاثة أيام . كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسى (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) ج ١٠ ص ٩٨ — ١٠٠ .

ويقول بعض فقهاء المالكية مانصه : واستتيب المرتد وجوباً ولو عبداً أو امرأة ثلاثة أيام بلياليها من يوم الثبوت لا من يوم الكفر بلا جوع ولا

البهاشمية

وهنا يتساءل المرء : كيف كان موقف الأئمة من هذه المعتقدات التي بالغوا فيها وكانوا السبب في ظهورها ؟ على أن التاريخ قد كفانا مؤنة الجواب عن هذا السؤال . فقد أنكر الأئمة بادية الأمر ما نسبته اليهم الشيعة من تلك الصفات كاحاطتهم بجميع العلوم والأسرار . ولا غرو فقد رمى على في النار كل من دعاه إلهاً من هؤلاء الغلاة ، ونفى عبد الله بن سبأ الى المدائن (١) .

عطش بل يطعم ويسقى من ماله وبلا معاقبة وإن لم يتب . أنظر باب الردة وأحكامها في الشرح الكبير للدردير (طبعة بولاق سنة ١٣١٩) ج ٤ ص ٢٧٠ ، حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٦٧ .

ويقول الامام الشافعي : « ويجب استنابة مرتد ذكرأ أو غيره لأنه كان محترماً بالاسلام ، وربما عرضت له شبهة فترال . وقيل يمهل ثلاثة أيام » . أنظر باب الردة في حاشية البجرمي على شرح المنهج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٩ هـ) . وقال الامام احمد بن حنبل : « ومن ارتد عن الاسلام من الرجال والنساء وهو بالغ عاقل ، دعى إليه ثلاثة أيام » .

أنظر كشف القناع على متن الاقناع (طبعة القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج

٤ ص ١٠٠ - ١٠٥ .

X على أنه لا ينبغي أن يكفر مسلم يحتمل عمله أو قوله الكفر إلا إذا كان التكفير بقوله أو بعمله مجعماً عليه . وقد صرح العلماء بأنه لا يكفر مسلم بقول يحتمل الكفر من تسع وتسعين وجهاً ويحتمل الأيمان من وجه واحد . أنظر باب المرتد في حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين . (طبعة

مصر سنة ١٢٧٢ هـ) ج ص ٢٨٣ - ٢٩٢ - المترجمان .

(١) الشهرستاني ص ١٣٢ .

وجاء محمد بن الحنفية فشارك أباه في آرائه الدينية ، وتورع عن أن ينتفع
ويستفيد مما أحرزه أنصاره من النجاح في الدعوة لآل البيت ، كما أنكر
عليهم ما كانوا ينسبونه إليه من إحاطته بعلوم ما وراء الطبيعة (١) .

على أن موقف هؤلاء الأئمة السليبي لم يلبث أن تغير حين بدأ العلويون
يدركون مقدار ما قد يستفيدونه من هؤلاء المقتونين بهم والمتحمسين في
الدعوة لهم ، ولا سيما بعدما رأوه من ضعف الدولة الأموية وما دب إلى
جسمها من الانحلال . وكان عمر بن عبد العزيز يمقت الهاشميين لحبهم كثيرًا (٢)
من الشيعة الغلاة وصديق أبي هاشم الحميم ؛ وقد تكلمنا عنه في الباب
الأول . وإلى القارىء حكاية تنقلها عن كتاب الأغاني عدلها تصف ميول أبي
هاشم ودهاءه : كان أبو هاشم يرسل العيون لينقلوا إليه أخبار كثير . فإذا
ما قابله أبو هاشم قال له : فعلت كذا وكنت بمكان كذا . وقد أخبره ذات
يوم بما دار بينه وبين رجل آخر من الحديث كلمة كلمة ، فصاح كثير : « أنت
رسول الله » .

وقد بينا أنه كان هناك حزب يدعى حزب الهاشمية يقدر أنصاره
أبا هاشم ويزعمون أنه أحاط بالعلوم كلها ، ويرون أنه أحق بالامامة من غيره .
ونستطيع أن نستخلص مما رواه لنا بعض المؤرخين أن أبا هاشم كان أول
من نظم الدعوة لجذب الانصار إلى هذا الحزب (٣) .

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (مخطوط Gotha) ١٧٤٨ . أنظر
لفظ محمد بن الحنفية : فبلغ محمداً أنهم يقولون إن عندهم شيئاً أى من العلم قال
فقام فينا . فقال إنا والله ماورثنا من رسول الله إلا ما بين هذين اللوحين .
ثم قال اللهم حلا وهذه الصحيفة في ذؤابة سيني .

(٢) ج ٨ ص ٣٤ .

(٣) الطبري ٣ : ٢٥٠٠ ، اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥٦ وما يليها ، ابن خلكان
(طبعة Wiistenfeld) رقم ٥٧٩ ص ١٠٠ .

وقد ظهر لنا أن هذه الدعوة — وإن كانت دينية في أصلها ونشأتها — لم توجه دعواتها نحو الغلاة من الشيعة إلا لتضم إلى صفوفها الكثيرين من المعتدلين ممن لم يحملهم بغضهم لمن كان يضطهدهم من ولاية الأمويين إلى كراهة الاسلام، كما اضطرت بطبيعة الحال إلى التوفيق بين الاسلام والعقائد غير الاسلامية، تلك العقائد التي كانوا لا يكشفون عن خباياها إلا لمن يكرسونه لهذه الدعوة. على أن الدعاة من الهاشميين قد أخذوا يطلعون العامة شيئاً فشيئاً على سر الدعوة الهاشمية حتى غدا ذلك جزءاً مكملًا لنظام الدعوة الفاطمية فيما بعد. ولم يكن لتلك الدعوة سوى عيب واحد وهو أنه كان يشترط في الدعاة الاخلاص التام للامام والطاعة العمياء لأوامره. ومن ثم كان أكثر ما يخشى من ناحية هؤلاء الدعاة أن يسيثوا استعمال ما لقنوه من أسرار الدعوة وأن يخونوا الأمانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم.

كان العراق — كما لا يخفى — مهد الدعوة الهاشمية. فكان داعي الدعاة يقيم بالكوفة، على حين أن كان دعواته يطوفون البلاد المجاورة لها. وقد انفرد صاحب كتاب العيون^(١) بالقول بأن خراسان كانت مهد هذه الدعوة. ولما كان ما ذكره صاحب هذا الكتاب إنما هو مقدمة لما تلاه من تلك الحوادث التي سنأتى على ذكرها، كان من السهل أن نحكم بأن ما ذكره ذلك المؤرخ لم يكن إلا استنتاجاً خاطئاً. أضف إلى ذلك أن هناك من الأدلة ما يبين أن الدعوة الخراسانية إنما ابتدأت على يد العباسيين وأولاد العباس عم النبي بعد أن استخلفهم أبو هاشم وألقى اليهم بمقاليد الدعوة^(٢).

وإن تاريخ استخلاف أبي هاشم لأبناء عمه من العباسيين لأمر لا يكاد يجمله من له بعض الامام بالتاريخ الاسلامي.

(١) كتاب العيون ص ١ — ١٧ وما يليها.

Fragmenta historie. arabi. p. 180

(٢) ابن الفقيه (طبعة دي غوييه) ص ٣١٥. المقدسي ص ٢٩٠ وما يليها.

مات أبو هاشم سنة ٩٨ هـ بالحريمة ، وهي قرية صغيرة من قرى فلسطين على حدود الصحراء الكبرى شمال بلاد العرب ، حيث كان يعيش محمد بن عبد الله بن العباس بعد أن أقصاهم حنق عبد الملك بن مروان عن بلاط دمشق . ويقال إن أبا هاشم لما شعر بدنو أجله أوصى إلى ولد العباس بحقه في الامامة ، وأمدم بأسماء داعي دعائه في الكوفة ومن يليه من الدعاة ، كما سلمهم كتباً يقدمونها إلى هؤلاء الدعاة . ومهما يكن من شيء فقد رأينا الامام محمد بن علي (العباسي) يضطلع بأعباء الدعوة بعد موت أبي هاشم (١) .

وليس من الصعب علينا أن نقف على الأسباب التي وجهت أنظار الامام الجديد إلى بلاد خراسان . فقد امتاز أهلها عن سواهم من أهل الولايات الأخرى — التي كانت خليطاً من العرب وغيرهم (كالعراق مثلاً) — بالقوة والشجاعة ، كما ظلوا بعيدين عن كفاح الأحزاب السياسية في دمشق حاضرة الدولة الإسلامية في ذلك الحين . ولا غرو فقد كانت خراسان بلداً عذراء لم تتل منها الأهواء ولم تنقسمها الاختلافات الدينية . يدل على ذلك خطبة الامام محمد (بن علي بن عبد الله بن العباس) ننقلها عن ابن النقيه الجغرافي : « أما الكوفة وسواها فشيعة علي وولده ؛ وأما البصرة وسواها فعثمانية تدين بالكف تقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل (٢) ؛ وأما الجزيرة خروية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصارى ؛ وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، وعداوة راسخة وجهل متراكم ؛ وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد

(١) أنظر العقد القرين ٢ : ٣٥٢ ، Fragm. hist. arab. P. 181. ابن

قتيبة (طبعة وستنفلد) ص ١١ والعبارات التي ذكرناها قبل ص ٤٤ حاشية

(٣) (ص ٨٠ - ٨١ من الترجمة)

(٢) أنظر ص ٣٠ حاشية ٣ من هذا الكتاب

الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم يتوزعها
الدغل ؛ وهم جنود لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى
وشوارب وأصوات هائلة ، ولغات نخمة تخرج من أجواف منكورة . وبعد
فانى أتقاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

على أن هناك أمراً آخر — وإن لم يدل عليه كلام الامام — قد جعل
اختيار خراسان بوجه خاص اختياراً موفقاً ، ذلك أن الخراسانيين الأقوياء
الأشداء قد قاسوا أسوأ صنوف الاستبداد من نير الأمويين . ولسنا بحاجة
إلى تكرار مساوى النظام الادارى فى عهد الأمويين ؛ فقد تكلمنا عنه
فيما تقدم . وحسبنا أن نذكر القارىء بما كان من تدمير الأهلىن وكرهتهم
العمال الذين عرفوا بسوء السيرة ثم رغبتهم الصادقة فى المطالبة بالمساواة
والعدل ، تلك الرغبة التى وقفنا عليها من ثنايا الحركة التى قام بها الخمارث بن
سريح . وهكذا كانت خراسان أرضاً خصبة لا تنقصها سوى بذور الدعوة
لآل البيت (١) .

وقد أخلص الدعاة العباسيون لتلك الدعوة وأظهروا حماسة شديدة
لنشرها فى الولايات الاسلامية ، فكانوا يجوبون بلاد خراسان لبثها ، وظاهر
أمرهم التجارة أو الحج إلى مكة . ولا غرو فقد كان الولاة يضطهدونهم
ويسومونهم العذاب قتلاً وصلباً دون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . ولما كان
هؤلاء الدعاة من اليمانية ولدقحطان والمضرية من عرب الشمال ، فكانوا يجوبون
المدن والقرى حيث يصورون استبداد الأمويين بأسوأ الصور ويتممونهم
بأنهم لا يزالون يبطنون الكفر رغم ادعائهم الاسلام . وكانوا لا يدعون
لشخص معين ، وإنما كانوا يذيعون بين الناس أنه لا خلاص لهم إلا إذا ولى
أمرهم آل البيت . ومن ثم نجحت جهود هؤلاء الدعاة . وقد عرفوا كيف

(١) الطبرى ٢ : ١٩٥٠ و ١٤٣٤ و ١٥٠١ والدينورى (طبعة Girgass)

يجذبون إلى صفوفهم الكثيرين من ذوى الرأى والجاه ، فكان لانضمامهم إلى الدعوة أثر عظيم فى قيام الدولة العباسية. نخص بالذكر من بين هؤلاء سليمان ابن كثير الخزاعى الذى بايع جده الرسول تحت شجرة الحديدية (١) . وليس بعيداً أن يكون أبوه قد رابط بخراسان مع المرابطين من الجنود العربية ، على حين كان يقيم هو فى سفيدنج (٢) ، وهى قرية بواحة مرو. كما لا يفوتنا أيضاً أن نشير إلى شبيب بن قحطبة الطائى الشر نخشبرى (٣) ، وكان من أنصار على ، كما كانت تربطه بابن سريج علاقة وثيقة لما كان بينه وبين زعيم المرجئة (٤) من صلة الجوار القريب . وقد أسس هذان الرجلان مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رياسة داعى الدعوة ، ثم اتخذ كل منهم لقب « نقيب » على نحو ما كان يفعله الاسرائيليون فى مجلس شورى عم (القرآن الكريم ٤: ١٥) الذى كان يتكون من اثني عشر حواريا ، ثم النقباء من أهل الشورى الذين انتخبهم الرسول من أهل المدينة (٥) . وهكذا تأثر العباسيون فى تنظيم دعوتهم بمجلس الحواريين عند اليهود من ناحية ، فاتخذوا اثني عشر نقيباً ، كما تأثروا من ناحية أخرى بمجلس الشورى فى عهد الرسول ، فاتخذوا سبعين داعياً (٦) .

وهكذا سار كل ما دبره العباسيون سيراً حسناً إلى أن اتفق لهم حادث لم يكونوا ينتظرونه فعكروا صفو سياستهم على ما سيأتى بيانه .

(١) أنظر هذا اللفظ فى كتاب الأنساب للسمعانى ، أنظر أيضاً Sprenger,

Das Leben und die Lehre des Muhammad, III. 245

(٢) ونصادف هذا الاسم فى الطبرى ٢ : ١٥٩٥

(٣) أنظر لفظ شر نخشير فى كتاب الأنساب للسمعانى

(٤) الطبرى ٢ : ١٩٣٢٠ (١٥)

(٥) Sprenger, vol. II. p. 532

(٦) الطبرى ٢ : ١٥٨٦ ، ١٩٨٨

الخرمية والراوندية

كانت الكوفة — التي ظهر منها الدعاة العباسيون — في مستهل القرن الثاني للهجرة مهداً لتشييع متطرف غير إسلامي . وهكذا لم يلبث الإسلام أن أصبح خليطاً من ديانات شتى ، على أثر إتصاله بالديانات والعقائد التي كانت سائدة في بلاد العراق قبل ظهور الإسلام (كديانة الفرس القدماء Parsees والمناوية والصابئة وغيرها) وذلك لتوفيق بينه وبين تلك الديانات المختلفة (وقد عرضنا لهذا في صفحة ٤٣ — ص ٨٢،٧٥ من الترجمة) . وكان الدعاة يقومون بنشر الدين الإسلامي بين الناس بحجاسة وحمية رغم هذا التغير الذي طرأ عليه في ذلك الحين ويدافعون عنه باخلاص وغيره . يدل على ذلك ما كان من الحكم بالاعدام على الكثيرين من الغلاة والمبتدعين منذ أيام علي أبي بن طالب إلى عهد المنصور العباسي (حين أصبحت بغداد حاضرة البلاد الإسلامية) ، وذلك لجراأتهم على الابتداع في الإسلام وإدخالهم فيه ما ليس منه . ففي الكوفة نشأ مذهب الكيسانية ؛ وكانوا يرون أن الدين طاعة رجل واحد ، وأن طاعة ذلك الرجل تعفيهم من الائتار بأوامره والانتهاؤ بنواهيه ، ثم الهاشمية الذين فتحوا الباب على مصراعيه لكثير من الأفكار المضطربة والعقائد المتباينة . وقد ساعدتهم على ذلك ما ذهبوا اليه من القول بالتأويل . ولم يكن بد من أن يتأثر دعاة بني هاشم ثم العباسيون الذين نشأوا في هذه البيئة بتلك الروح غير الإسلامية . ومن ثم لم أتردد في أن أنسب إلى دعاة أبي هاشم التشييع لعقيدة الهاشمية ، تلك العقيدة التي كانت — إذا لم أكن مخطئاً — عماد دعوتهم .

وأما الدعاة العباسيون فانا لانعلم بالضبط كيف كانوا ينشرون دعوتهم .

فقد أمر النقباء الغلاة من الدعاة بأن لا يصرحوا باسم المدعوله (١) ، وأن يظل هذا الاسم سراً مكتوماً إلى أن تحين ساعة الخلاص من نير الأمويين ، على حين أن أخفوا عن المعتدلين منهم سر عقيدتهم . على أن هؤلاء الدعاة كانوا على الرغم من ذلك متطرفين مغالين يواجهون الموت في سبيل دعوتهم بشجاعة تذكرنا بهؤلاء الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل المذهب الباطني ، تلك التضحية التي لا يمكن أن أعزوها إلا إلى ما تأصل في نفوسهم من الاقتناع الديني بصحة دعوتهم (٢) .

وإلى القاري هذه العبارة التي نقلها الطبري عن المدائني المؤرخ المتوفى سنة ٢١٥ هـ فانها تمدنا بأراء سديدة (٣) قال : « إن رجلاً من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص ، فتكلم بالعلو ودعا بالراوندية ، فزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم الأئمة في واحد بعد واحد إلى ابراهيم بن محمد (سبط العباس عم النبي) ، وأنهم آلهة واستحلوا الحرمة . فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويبسح لهم « الحرمة » . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم ، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء فألقوا أنفسهم كأنهم يطرون . (٤)

(١) الطبري ٢ : ١٩٨٨ (٣)

(٢) أنظر مارواه الطبري ٢ : ١٥٠١ وما يليها

(٣) الطبري ٣ : ٤١٨

(٤) Selecta historiae Halebi, ed. Freytag, p. 15, Theophilus, ed. Boor, p. 430.

ولا يزال يعزى الى طائفة النصرانية من الفرس القدرة على الطيران في الهواء

حتى اليوم ، كما يعزى مثل ذلك أيضا الى بعض البوذيين (Bodhistattva)

De Gobineau, Trois ans en Asie, P. 367 suiv., Zeitschr. d. D. M.

G. XLV, p. 590, n. 2.

وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح فأقبلوا يصيحون بأبي جعفر أنت أنت
(يعنون أنت الله) .

وعقيدة الراوندية جديرة بالبحث والدرس. ويمكن الرجوع الى ما كتبه

Herbelot ، Bidliotheca Orientali, i. v. ؛

Weil , Gesch. d. Khalifen, II. 37 Suiv . ؛

Miiller, der Islam in Morgen — und Abenland, I. p. 494.

ولا سيما وأن المعلومات التي نقلناها عن المصادر التي اعتمدنا عليها ليست
وافية فيما يتعلق بعقيدة هؤلاء . وكل ما يهمنا في هذا الموضوع هو أن
المدائني قد عزا إلى الدعاة العباسيين آراء وعقائد مماثلة لعقائد الراوندية
وآرائهم ، إذ لا يشك في أن هؤلاء الذين صلبهم أسد بن عبد الله والى
خراسان من دعاة العباسيين كانوا من الراوندية (١) .

وليس أدل على ذلك مما ذكره بعض المؤرخين عن ثالث الدعاة واسمه
خداش (من خداش بمعنى مزق بأظافره . وإنما سمي بذلك الاسم كناية عن
تمزيقه الدين) . وكان خداش يشتغل بصناعة الخزف بالحيرة (بالقرب من
الكوفة) ؛ وكان مسيحياً ثم أسلم واشتغل بتدريس القرآن ثم انضم إلى
الدعوة العباسية ، فبعثه داعي الدعوة بالكوفة إلى خراسان حيث أخذ يبث
الدعوة لمحمد بن علي . ولم يلبث أن انصرف عن العباسيين وأخذ يذيع عن
الامام العباسي بعض العقائد الباطلة وينشر بين الناس عقائد الخرمية ويدعو
إلى الاشتراكية مما أدى إلى قيام النفور بين الامام (العباسي) والشيعية من
أهل خراسان . وقد ظل ذلك حتى بعد موت خداش سنة ١١٨ هـ حيث أمر
أسد بن عبد الله بقطع أطرافه ثم قتله (٢) .

(١) أمر أسد بقتل بعض الدعاة العباسيين في سني ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ١١٨

(٢) الطبري ٢ : ١٥٨٨

وهذه الحوادث — رغم ما فيها من نقص — قد تجيز لنا بأن نعتبر خدasha أحد هؤلاء الراوندية الذين عرض لهم المدائني . على أن تلك المعلومات لا تكفي هي ولا ما ذكره المدائني لإبداء رأى قاطع عن حقيقة مذهب أولئك الدعاة العباسيين . لذلك نكتفي بذكر بعض الملاحظات العامة عن هذا المذهب .

كان السنيون لا يفهمون شيئاً عن تلك الطوائف التي كانت تحاول الوصول من وراء الشعائر الدينية إلى حكمة جميع الشرائع وسرها ، إذا كانوا يعتبرونها أرقى وأرفع من تلك الظواهر الدينية ، وذلك لبغض أهل تلك الطوائف جميع الديانات السماوية لما كانت تثقلهم به (حسب زعمهم) من الواجبات وتقرضه عليهم من الفروض .

من ذلك مثلاً ما رمى به السنيون أهل هذه الطوائف من محاولة تبرير ارتكاب المحرمات حين قال بعضهم إن أوامر القرآن ونواهيها لا قيمة لها في نظر المؤمنين الذين أدركوا أسرار الدين ورأوا أنهم في حل من الخروج عليها . ويرى بعض الباحثين أن هناك صلة بين اسم الخرمية الذي قد يكون مشتقاً من خرم اسم لمدينة ببلاد ميديا (١) — أو كلمة خرم ، ومعناها « لذيذ » . فإذا ما تكلمنا عن « خرم دينيا » Khorram — dinia فلكي نبين أن هؤلاء كانوا لا يعرفون ديناً غير اللذة . ومن هنا يتبين لنا أن هذه الطوائف وإن كانت قد جعلت للنساء مكانة أرقى من المكانة التي لهن في البلاد الشرقية وأباحت لهن الظهور في المجتمعات الدينية (٢) ، فلم يكن ذلك إلا بقصد الاستمتاع بظهورهن في تلك المجتمعات .

(١) Müller, der Islam im Morgen — und Abendland, I. 405 .

(٢) De Gobineau, l. I. p. 361. De Sacy, Exposition de la religion des Druses, II. 397 suiv. , Browne, A Year amongst the Persians p. 216.

على أن ما ذهب اليه هذه الطائفة من الاستمتاع باللذة التي لا حد لها لم يكن العامل الوحيد فيما كان يكرهه أهل السنة من البغض لهذه الطوائف ، وإن كنا لا نستطيع في الوقت نفسه أن ننكر أنه كان لغلو بعض المتطرفين من أهل هذه الطوائف أثر كبير في بغض السنين لطائفة الخرمية (١). يؤيد ما ذهبنا اليه هذه البحوث الجديدة التي قام بها مستر « براون » عن البابية X

Browne, II. p. 523

(١)

X أسس هذه الطائفة ببلاد الفرس سنة ١٨٤٤ - ١٨٤٥ م ميرزا علي محمد الشيرازي ولما يناهز الخامسة والعشرين من عمره . وكان قبل أن يؤسس هذا المذهب أحد تلاميذ السيد كاظم من أهالي مدينة رشت وزعيم طائفة الشيوخ إحدى طوائف الشيعة الغالية . وتمتاز البابية من بين طوائف الشيعة بالقول بوجود واسطة بين الامام الثاني عشر وأتباعه ؛ ويسمونها هذه الواسطة « ركني رابع » أو « الشيعي الكامل » ، وهو أحد الأبواب الأربعة التي يتصل الامام عن طريقها بأتباعه أثناء غيبته الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٨ هـ و ٨٧٤ - ٩٤٠ م) . لذلك سمي هذا المذهب « البابي » . ولم تكن تسميته بهذا الاسم راجعة الى « باب الله » أو « باب الدين » كما زعم بعضهم أن ميرزا علي محمد قد تلقب بهذا اللقب . على أن ميرزا هذا لم يلبث أن عدل عن هذا اللقب (باب) ولقب نفسه « نقطة » . فظل لقب باب شاغرا الى أن تلقب به أحد تلاميذه حسين محمد من أهالي مدينة بشرويه ببلاد الفرس . وفي سنة ١٨٦٣ م زعم ميرزا حسين علي المقلب « بهاء الله » وأحد أتباع صبحي عزيل زعيم البابية في ذلك الحين بأنه النبي المنتظر (من يظهره الله) ، فتبعه كثير من البابية على حين أن رفض عزيل وأتباعه القليلون الاعتراف بما ادعاه بهاء الله . ومنذ ذلك الوقت انقسمت البابية الى طائفتين : العزيلية والبهائية . وقد بذلت الحكومة الفارسية المساعي لطرده البابية من بغداد ، فغادرتها الى القسطنطينية ثم الى أدرنة . وفي سنة ١٨٦٨ م اعتقل بهاء الله وأتباعه بعكاء في سورية ، على حين أن نفي صبحي عزيل وأتباعه في جزيرة

في بلاد الفرس (١). ولم تدخر المصادر الفارسية التي يصح الاعتماد عليها في هذا الموضوع وسعاً في كيل التهم للبايين بنفس الكيل الذي كان المسلمون في صدر الاسلام يكيلون به تلك التهم نفسها لطائفة الخرمية. ويزعم أصحاب هذه المصادر أن جميع البابين كانوا لا يتقيدون بالشرعية الاسلامية ولا يدينون بها، وأن كل شيء مشترك بينهم سواء في ذلك الثروة أو النساء، حتى تبسط مملكة « باب » سلطانها على العالم أجمع وتسن قوانين جديدة لتنظيم الحياة الروحية والزمنية (٢). وقد نشرت جريدة طهران اليومية الكثير من المقالات في كفر البابين وإلحادهم وأتجاههم نحو الاشتراكية، تلك الاشتراكية التي لم تكن إلا مظهراً جديداً للاشتراكية التي كانت سائدة في أيام مزدك (٣).

قبرص، فظل بها حتى مات سنة ١٩٠٨. وأما بهاء الله فقد مات بعكاء سنة ١٨٩٢، خلفه ابنه عباس افندي المقلب بأبي البهاء.

وقد دب الانقسام بين طائفة البهائية على إثر قيام محمد علي أحد أبناء بهاء الله الاربعة وادعائه الزعامة بعد أبيه. على أن عباس افندي لم يلبث أن انتصر على أخيه واستقل بالامر دونه. وقد انتشرت البهائية في أمريكا على يد ابراهيم جورج خير الله الذي بدأ يدعو لمحمد علي البهائي في مدينة شيكاغو. ولا يزال هناك فريق كبير يدين بالمذهب البهائي في أمريكا الى اليوم. ويرجع ذلك الى مقام به دعاة البهائية، وعلى رأسهم ميرزا أبو الفضل، لبث تعاليم هذا المذهب ودعوتهم الى عباس افندي.

أنظر دائرة المعارف البريطانية ثم ما كتبه كل من

De Gobineau, Religion et Philosophie dans l. Asie centrale (Paris, 1900), Browne, The New History of the Bab (Cambridge, 1893)

— المترجمان —

(١) "The Babis of Persia", Journal of the Royal Asiatic Society, xxi, p. 881 suiv. and "a Traveller, 'sNarrative written to illustrate the episode of the Báb."

Mirza Casim Beg, Le Journ. asiat. 1866 t. I. P. 482. (٢)

(٣) معرفة مزدك والمزدكية أنظر Nöldeke

بيد أنه ليس ثمة ذكر مطلقاً لذلك الغلو الذي نحن بصدده في كتب
البايين التي محصها مستر « براون » تمحيصاً تاماً ، والتي تعد دراسة ممتعة
ولا سيما فيما يتعلق بالنتائج التي وصل إليها . وإذا كان انصراف هؤلاء عن
الاشتراكية يعتبر تحدياً لها ، فمن البعيد جداً أن يحتم زعماء هذا الحزب
على أتباعهم التمسك بتلك الاشتراكية باعتبارها قاعدة لا يمكن الخروج
عليها . أضف إلى ذلك أنه لم يرد شيء مطلقاً عن تلك الاشتراكية في كتبهم .
لذلك لا يجمل بنا أن نأخذ بكل ما يمدنا به المؤرخون من العرب على
علاقته عن طوائف الخرمية التي أتينا على ذكرها . وأما تلك النزعة التي كان
يرميهم بها أهل السنة ، وهي استحلال المحرمات ، فمنشؤها هذه الحالة النفسية
المعائلة لتلك الحالة التي كانت مسيطرة وقتئذ على بعض الناس كجهنم بن صفوان
(أنظر ص ٣١ وما يليها ص ٦٥ من الترجمة) ، الذي لم يدخر أهل السنة وسعاً
في رميه بنفس تلك التهم (١) . على أن تلك النزعة لم تكن أكثر من كراهة
للتمسك بالشعائر الدينية — ذلك التمسك الذي طالما كان يتخذ ذريعة
لاضطهاد الشعوب الأجنبية — ثم بغض للظلم واحتقار لجمع الثروات بوسائل
دينية . أما نظرية التجسد التي جمع الراوندية بينها وبين عقائدهم غير الاسلامية
فقد حاولوا بها الخلط بين عقيدة السبئية (أنظر ص ٤٠ من الكتاب ،
ص ٨٩ — ٩٠ من الترجمة) ومذهب الكيسانية الذي يقول أتباعه باستمرار
النبوة . لذلك لا يبعد أن يكون خدش الخرمي أول من دعا لذلك المذهب
الذي طالما كان يبشر به الباطنية (أنصار مذهب وحدة الوجود) ثم المصلحون
من الفرس ، وهو مذهب تجسد الحكمة الألهية في شخص من الاشخاص .
ومن ثم لم تقتصر النبوة عندهم على تلك الفترة القصيرة من الوحي ، وإنما هي
— حسب زعمهم — في نظريهم حكمة خالدة لا يزال يشع نورها على الأرض ،
سواء ظهرت في شخص معين أو ظلت محتبئة في مقرها الألهي .

Geschichte der perser, und araber, p. 455 suiv., 491

(١) الطبري ٣ : ١٥٨٥ (٩٠٨)

انتقال الدعوة العباسية

من العراق إلى خراسان

وليس بعيداً أن يكون خدش قد دعا لنفسه بعد أن خرج على الدعوة العباسية وتخلص من قيودها ، وزعم أنه يحيط بالأسرار الألهية كما فعل غيره من الدعاة ، ثم أقام نفسه زعيماً بعد أن كان داعياً خُصب يأتمر بأوامر رئيسه (١). وهكذا تحقق الخطر الذي تنبأنا به من قبل ، وهو أن يسيء الدعاة استعمال ماعلموه من أسرار الدعوة وأن يخونوا الأمانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم جهاراً . وقد بينا أثر ذلك فيما سبق . وقد استطاع خدش أن يضم إليه بعض النقباء - ومن بينهم أحد أولاد سليمان بن كثير (٢) - ثم انقطعت الصلة بين الخراسانيين وداعي الدعاة في العراق وظلت على ذلك حتى موت خدش . على أن الدعوة العباسية لم تحمد رغم ما كان يحدق بها من الأخطار ، كما لم يكن للعقائد الشيعية الغالبة - كالتي كان يدعو إليها خدش - أثر كبير في نجاح تلك الدعوة . فإن هذه العقائد لم تستطع أن تؤثر إلا في بعض الدعاة ممن كانوا يعطفون عليها ويميلون إليها . وهذه العقائد ، وإن استطاعت وقتاً ما أن تفتن الجمهور بالوعود الخلابية والسعادة الأبدية ، فإن عجزها عن أن تقنع العامة ثم دعوتها إلى مذهب الباطنية وقولها بوحدة الوجود قد ردها على أعقابها ورجع بها إلى ذلك الخمول الذي نشأت فيه .

وكان الخراسانيون الذين يختلفون اختلافاً كبيراً عن أهل بلاد فارس الغربية (وهم أهل ميديا والعراق وبلاد الفرس نفسها) أقل نزوعاً إلى حياة

(١) أظن سيرة بعض أشياعه في الذيل السادس من هذا الكتاب

Opkomst der abbasiden , p. 40, n. 4.

(٢)

الفكر والتأمل . ولا يزال منهم حتى اليوم عدد كبير من المسلمين المتحمسين لمذهب أهل السنة . أما كراهتهم للأمويين فانما كانت لحكمهم الظالم ونيرهم الذي لا يحتمل . كذلك لم يكن ميلهم إلى أهل البيت إلا رغبة فيما كانوا ينتظرونه على أيديهم من الحكم بالحق والعدل في السيرة . لذلك كانوا لا يفضلون إماما على آخر ، حتى إنهم قد رحبوا بالعباسيين وأخلصوا في خدمتهم حين علموا آخر الأمر أن الخلافة لهم دون غيرهم من أهل البيت . وكان هؤلاء الدعاة الذين أوفدهم العباسيون من الكوفة لجذب أهل هذه البلاد إلى دعوتهم خطراً شديداً عليهم ؛ غير أنه لم يكن بد من استخدامهم أول الأمر . ومن ثم كان لزاما على العباسيين أن يتلمسوا غيرهم ممن هم أكثر صلاحية وآمن جانبا ، ولا سيما بعد أن فرغوا من وضع أساس الدعوة لهم في البلاد الاسلامية .

وقد ظفر العباسيون بهؤلاء من بين النقباء الذين كانوا يمثلون الحزب الخراساني وعلى رأسهم سليمان بن كثير . لذلك وجب علينا أن نعني بوجه خاص بدراسة ذلك الحزب الخراساني . ويظهر لنا أنه كان ثمة فرق كبير بين هؤلاء النقباء وبين الدعاة من أهل العراق ، كما نرى في الوقت نفسه أن عقيدة هؤلاء النقباء — وقد نشأوا في خراسان وأقاموا على مقربة من مرو — لم تختلف في شيء عن عقيدة السواد الأعظم من مواطنيهم ، وأن الدعاة من أهل العراق إنما كانوا يأتونهم من الناحية السياسية لا الدينية . فقد قال أحد الثوار من أهل اليمن للحارث بن سريج إنه لا يريد العمل إلا بكتاب الله . فصاح قحطبة أحد النقباء : « لو كان صادقا لأمدده ألف عنان » (١) . وليس ثمة غلو أو إفراق في تلك الكلمات . فقد صدرت من مسلم يرى في كتاب الله المثل الأعلى للعدالة والحق . وكان أشياخ الحارث بن سريج دون غيرهم يعرفون كيف يصبرون حتى تحين الفرصة ، كما أدركوا منذ الاحتفاة

الأولى أنه لا مناص لطرده الأمويين من جيش على تمام الاستعداد للقتال في
أى لحظة. لذلك انضموا إلى هؤلاء الدعاة ودخلوا في الدعوة العباسية طائعين.
وقد اتبع بعض النقباء خدائشاً حين جهر بالدعوة إلى مذهب الخرمية
في الوقت الذي ثار فيه السواد الأعظم منهم على هذا المذهب . ومنذ ذلك
الحين ابتداء هؤلاء يفهمون سياسة العباسيين وأنهم قد اتخذوا بدعوتهم .
فقد أدركوا أن هذه الدعوة لم تقم في الواقع إلا على البدع والعقائد
التي لا تمت إلى الدين بأية صلة ، حتى إنهم لم يطمئنوا إلى احتجاج الامام على
مذهب الخرمية حين أرسل اليهم داعي الدعاة من بلاد العراق « ليعلمهم
أن خدائشاً حمل شيعته على غير منهاجه » . ولم يضمهم الامام (محمد بن عليّ)
إلى صفوفه إلا بعد أن « بعث اليهم بعضى مضببة بعضها بالحديد وبعضها
بالشبه » . فقدم بها بكبير وجميع النقباء والشيعه ، ودفع إلى كل رجل منهم
عصا ، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا « (١) .

وقد روى لنا بعض المؤرخين (٢) خبر زيارة سليمان بن كشير للامام
سنة ١٢٠ هـ بعد سنتين من وفاة خدائش . على أن أحداً من هؤلاء لم يذكر
لنا شيئاً عن نتيجة تلك الزيارة ، اللهم إلا بعض عبارات عامة لا قيمة لها .
وليس من الصعب علينا أن نتنبأ بأثر تلك الزيارة ، فقد ساد على إثرها السلم
بين الخراسانيين وزعيم العباسيين .

ومنذ ذلك الحين لم نعد نسمع شيئاً عن الدعاة الذين كانوا يوفدون من
العراق ، ولا سيما بعد أن اضطلع سليمان بن كشير (٢) بأعباء الدعوة ببلاد خراسان .

(١) الطبري ٢ : ١٩٤٠ .

(٢) Fragmenta hist. arab. p. 182 .

(٣) أنظر كتاب المقفى الكبير للمعريزي في المكتبة الاهلية بباريس ورقة ٦٥

والذييل السادس من هذا الكتاب . Quatremère, Journal asiatique.

1835, II. 336.

وهكذا نجح الشيعة وحدهم من بين جميع الاحزاب المعادية لبني أمية في تقويض عرش الأمويين بفضل تلك الحركة التي قاموا بها لبث الدقائد الشيعية بين المسلمين .

على أن الكوفة لم تعد تصلح لأن تكون مركزاً لتلك الحركة ، فقد كان أهلها خليطاً من عناصر مختلفة عرفوا بالتقلب في الميول والأهواء . أما أهل خراسان وإن كانوا أقل غلواً فقد كانوا أكثر حماسة للدعوة لآل البيت . وقد جدّ دعاة بني العباس في ضم الخراسانيين الذين عرّكتهم الحرب إلى الدعوة العباسية في الوقت الذي احتدم فيه النزاع في غير طائل بين المتطرفين من الشيعة وبين الخوارج في بلاد العراق وميديا .

ولم يبق أمامنا الآن إلا أن نبحث عن ذلك الدافع الذي حمل هؤلاء على الخروج على بني أمية في الوقت الذي كان يزعم فيه الأمويون أنهم قد انتصروا على جميع أعدائهم .

لم يكن ذلك الدافع سوى عقيدة هؤلاء بالمهدي المنتظر .



الباب الثالث

الاسرائيليات ×

— ١ —

التنبؤ ببعض الأشخاص والحوادث المعينة

يجب أن لا يعزب عنا حين ندرس التاريخ الاسلامي بوجه خاص والشرق بوجه عام ، مبلغ تأثر الروح الشرقية بكل ماله علاقة بالتنبؤ وكشف حجب

× الاسرائيليات (Croyances Messianiques) نسبة الى Messie . وهي مشتقة من اللاتينية Messias ، والسريانية Meshina بمعنى ممسوح ، ومن العبرية Mesha بمعنى المسح . والمراد به المسح بالزيت المقدس ، وهو رمز لتتويج الملوك عند الاسرائيليين . ومعنى هذه الكلمة المحرر أو المخلص الذي بشر به الانبياء بني اسرائيل والذي عبده المسيحيون وألقوا اليه بالمودعة في شخص المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . وقد تمسك الناس بهذه العقيدة منذ هبوط آدم عليه الصلاة والسلام . ويطلق الفرنجة كلمة Messie على كل شخص يصلح يتطلع اليه الناس وينتظرون ظهوره . وقد أطلقت التوراة هذه الكلمة قبل ظهور عيسى بن مريم إطلاقين مختلفين ، فأطلقتها بالمعنى العام على الملوك والانبياء وكل من يبعثه الله برسالة من عنده ، على حين أن أطلقتها بالمعنى الخاص على الرسول الذي يبعثه الله لتكفير خطايا البشر وإيقاد بني اسرائيل وتخليص العالم مما نزل به من الظلم والاضطهاد . وهكذا كان شعب الله المختار أول من دان بهذه العقيدة ، كما لا يزال ينتظر ظهور ذلك المخلص الى اليوم . وقد ظل القرون الطويلة يحدوه ذلك الامل الذي كان يشجعه على التمسك بأهدابه تنبؤات الكثيرين من أنبياء

الغيب عن المستقبل — قل ذلك التأثر أو أكثر — ذلك التأثر الذى يهمنى أن نتتبع آثاره وإن كان من الصعب علينا تحديد مداه .

بنى إسرائيل الذين ظلوا عشرين قرنا يبشرون بهذا المهدي ويتنبئون بذلك المخلص الذى ينتظره جميع الشعوب والأمم .

ويرى بنو إسرائيل أن فكرة المسيح قديمة درجت مع الانسان منذ أيامه الاولى. ولاغرو فانهم يزعمون أن الله قد بشرهم به ووعدهم إياه غداة اليوم الذى هبط فيه آدم من الجنة بعد أن غررت به الحية ووسوست إليه أن يأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها (سفر التكوين إصحاح ٣ آية ١٤، ١٥). ويقول أنبياء بنى إسرائيل إن ذلك « المخلص » سيخرج من نسل إبراهيم بن اسحاق ابن يعقوب من قبيلة هوذا (سفر التكوين إصحاح ١٢، ٢٢، ٢٦، ٢٧) وأنه سينتصر على قومه رغم بغضهم له وكراهتهم إياه ، وأنه سيشرع لهم من الدين ما لم تأت به الشريعة الموسوية ، وأنه يولد من امرأة عذراء بيت لحم .

هذه هى عقيدة المسيح كما يدين بها الاسرائيليون : على أننا اذا دققنا البحث وجدنا أن تلك العقيدة كانت منتشرة بين جميع الشعوب والأمم . فقد ظهرت فى خرافة تيفون Typhon وهوروس Horus عند قدماء المصريين ، كما نجدها أيضا فى مذرا Mithra إحدى القصص الفارسية ، ثم فى كتب الصيغيين القديمة ، وكذا فى عقائد الهنود ولاسيا ما يتعلق منها بتناسخ براهما . ولا تزال آثار تلك العقيدة باقية الى اليوم بين أهالى شبه جزيرة اسكنديناوة وبين الوطنيين من بلاد المكسيك . ويقول فولتير « يرى الهنود والصينيون أن المسيح سيخرج من المغرب على حين أن يرى الغربيون أنه سيخرج من المشرق » .

ويطلق علماء المسلمين كلمة إسريليات على جميع العقائد غير الاسلامية ، ولاسيا تلك العقائد والاساطير التى دسها اليهود والنصارى فى الدين الاسلامى منذ القرن الاول الهجرى .

أنظر لفظ Messie فى دائرة معارف لاروس ودائرة المعارف الفرنسية ،

وقد أفرد ابن خلدون في « مقدمته » فصلين لدراسة هذا الموضوع يعتبران من أهم فصول هذا الكتاب ^(١) . ويكاد ابن خلدون أن يكون المؤرخ الشرقي الوحيد الذي أدرك أهمية هذا النوع من التنبؤ في تاريخ الشرق ، كما كان أول من نعى عليه وشهرَّ ببطلانه . وأما نحن معشر الغربيين فقد استرعت عقيدة المهدي — والمهدي المنتظر بوجه خاص — أنظار المستشرقين منا ، لما كان لها من الأثر في سياسة الشرق حتى اليوم . ولا تزال بحوث مسيو دارمستيتير (M. Darmesteter) وسنوك هرجرنييه (Snouck Hurgronje) عن نظرية المهدي ذات أهمية تاريخية كبيرة ^(٢) . وقد بين لنا مسيو دي غويه (De Goeje) في كتابه Mémoire sur les Carmathes du Bahraïn, etc. مقدار ما كان لتلك التنبؤات من الأثر في مجرى الحوادث في القرن العاشر الهجري (وبخاصة ما كان يقوم منها على بعض قواعد التنجيم ^(٣)) ، على حين لم يُعن غيره من المؤرخين بكشف هذه الناحية من نواحي التاريخ الاسلامي . وليس يحضرني في هذا الموضوع سوى هذه المعلومات القليلة التي خلفها لنا كل من مسيو دي ساسي (De Sacy)

ولفظ Messiah في دائرة المعارف البريطانية ، ثم ما كتبه

Drummond, The Jewish Messiah, Kuenen, Religion of Israel, chap. xii. Edersheim, Life and Times of Jesus the Messiah, 2nd ed. vol. I. pp. 160 - 179, vol. II. p. 404 seq.

— المترجمان .

Notices et Extraits, Tom. xvii, p. 142 — 201, trad — (١)
uction (ibid . xx) p. 158 - 237 .

Le Mahdi depuis les origines de l' Islam jusqu. أنظر كتاب (٢)

à nous jours, Pasis, 1885 (المهدي منذ ظهور الإسلام حتى اليوم)

للأستاذ جيمس رادمستيتير (James Darmesteter) وكتاب Der Mahdi

للأستاذ سنوك هرجرنييه Snouck Hurgronje في Separata — tabdruck

Von der Revue coloniale Internationale, 1885

De Goeje, Mémoire sur les Carmathes du Bahraïn et les (٣)

Fatimides, p. 115 suiv .

وكترمير (Quatremère) وفأيل (Weil) ودوزي (Dozy) . وقد أفردت في كتابي الذي كتبه عن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة فصلاً خاصاً لتلك التنبؤات التي كان يؤمن بها الناس والتي تأصلت في نفوسهم ولا سيما في عهد بني أمية (١) . وقد مكنتني ما قام به العلماء من البحوث من الاحاطة بما كان لتلك التنبؤات من الأثر في سياسة الدولة الاسلامية في ذلك الحين . ويرجع كل ما ذكرته إلى تلك الطريقتين المختلفتين اللتين كانت تعالجان بهما الأمور المستقبلية . ولم تكن هذه التنبؤات سوى تكهنات لا يكاد يعرف واضعها ، كما كانت تتعلق بوفاة بعض الأشخاص من ذوى المكاة والشهرة أو ببعض الحوادث الهامة . وإلى القارىء بعض الأمثلة من تلك التنبؤات : كان المختار زعيم الشيعة يزعم أنه هو « ذلك الرجل من ثقيف الذي يفتح عليه بالمدار × فتح عظيم » . على أن تلك النبوءة قد صدقت في الحجاج بن يوسف من نفس قبيلة ثقيف . فقد انتصر على أحد الثائرين ، وهو عبد الرحمن بن الأشعث (٢) . كذلك أبي الحسين بن علي أن يذكي نار الثورة في بلاد الحجاز ، وذلك لما أخبره به أبوه من « أن بها كبشاً يستحل حرمتها » ، وقال : لا أريد أن أكون ذلك الكبش (٣) . وقد ذكر الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي حين مات زيد بن علي هذه النبوءة وهي أن شاة ستذبح بالعراق (٤) . وهاك نبوءة ثالثة وردت في بعض الأحاديث عن الرسول طالما كان يتحدث بها الناس « والله إنك الأذريق قيس المذبوح

٤٥١
١٥١
١١
٢٥١
٣

Opkomst der abbasiden, p. 132 suiv. (١)

× مكان بين واسط والبصرة — أنظر معجم البلدان لياقوت

(٢) الطبرى ٢ : ٧٤٨

(٣) شرحه ٣ : ٢٧٦

(٤) شرحه ٢ : ٨٤٦

فيها كما تذببح الشاة» (١). وقد تنبأ بعض المتنبيين للحوارث بن سريح أنه سيموت تحت زيتونة أو شجرة غيراء (٢). وقد تحققت تلك النبوءة وجاءت كفلق الصبح. ومهر الأصبغ بن عبد العزيز أحد أمراء بني أمية في هذا النوع من التكهن بالغيب وكشف الأمور المستقبلية (٣)، كما حدقت ابنته دحية نفس ذلك العلم. ولما رأى الأصبغ الشج في وجه أخيه قال: «الله أكبر! هذا أشج بن مروان الذي يملك».

ومما تجب ملاحظته أن هذه التنبؤات كانت متشابهة كما أن واضعها إما من اليهود أو المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام (٤).

وقد تنبأ أحد اليهود (رأس الجالوت) بموت الحسين (بن علي) بالقرب من كربلاء (٥)، كما تنبأ تبيع ابن امرأة كعب الأخبار - وكان أبوه يهودياً - بموت عمرو بن سعيد (٦).

وكان بجانب هذه التنبؤات المنفرقة كتب للتكهن والتنبؤ بالغيب. على أن هذه الكتب لم تكن معروفة عند العرب في بادئ الأمر، وإنما وصلت اليهم عن طريق اليهود والمسيحيين الذين كان يحتفظ بها أنبياءهم من زمن بعيد. ومن بين هذه الكتب ما كان يعزوه مؤلفه إلى بعض الأنبياء لتحوز شيئاً من ثقة الناس بها، كما كان منها ما يحتوي على طائفة من الألفاظ والأحاجي وما إلى ذلك من الكتب التي لم تكن إلا رموزاً غامضة وإشارات مبهمه.

(١) الطبري ٣ : ١٦٤

(٢) شرحه ٢ : ١٩٣٤

(٣) كان عالماً بخبر ما يكون. ابن قتيبة - كتاب المعارف ص ١٨٤

(Wiisetenfeld , Regeister geneal. Tabel)

(٤) الطبري ١ : ٢٤٠٣ و (٥) ٢٤١٠ (٢ وما يليه)

(٥) شرحه ٢ : ٢٨٧

(٦) شرحه ٢ : ٧٨٦

وقد وصلت تلك التكهينات إلى العرب على أيدي القسيسين والرهبان
والقبط واليهود وغيرهم ممن أخذوا على عاتقهم إذاعتها بين المسلمين .

وقد بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط على شاطئ نهر دجلة ، بعد
أن ظل مدة طويلة يتخير مكاناً ملائماً لبنائها ، حين رأى راهباً قد أخذ بيده
بعض التراب وألقى به إلى النهر في ذلك المكان . وقد قرأ ذلك الراهب في
كتبه أنه سيقام في ذلك المكان الذي تبول فيه دابته مسجد يعبد فيه الله
وتقام الشعائر حتى تقوم الساعة (١) . ونجد في هذه الكتب وما شاكلها
أوصاف الأشخاص دون أسمائها أو أسماء الأشخاص دون أوصافها (٢) .
وطالما رجع الخلفاء إلى تلك الكتب ليقفوا منها على مدة خلافتهم . من ذلك
ما أخبر أحد اليهود يزيد بن عبد الملك أنه سيظل في الخلافة أربعين سنة ؛
فقال رجل من اليهود : « كذب لعنه الله ! إنما رأى أنه يملك أربعين قصبة ،
والقصبة شهر فجعل الشهر سنة (٣) » .

وتسمى هذه المؤلفات بالكتب أو الكتب القديمة (٤) . وهناك كتاب
قديم يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري ، وهو كتاب دانيال ، ويشتمل
على بعض التنبؤات ذكر فيها عمر باسم الدردوق الأشج (٥) . وقد ذاعت
كتب دانيال أو التنبؤات الدانيالية (إذا صح هذا التعبير) بعد ذلك كثرة
عظيمة . ومن هذه الكتب نسخ عديدة بمكتبة المتحف البريطاني ومكتبات
فيينا وجوته (Gotha) والأسكوريال Escorial . على أنه ليس من بين تلك
الكتب ما يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري .

(١) الطبري ٢ : ١١٢٦

(٢) شرحه ٢ : ١١٣٨

(٣) شرحه ٢ : ١٤٦٤

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٤٧ . الطبري ٣ : ٢٥

(٥) ابن قتيبة ص ١٨٤ . دردوق كلمة من أصل أرمني .

وقد سارت كتب دانيال في الديوع والانتشار بين الناس جنباً لجنب مع كتب الجفر التي اشتق اسمها من كتاب للتنبؤات كُتِبَ على جلد بعير (جفر) . ويعزى ذلك الكتاب إلى آل البيت وبخاصة إلى علي ثم إلى حفيده جعفر بن محمد الصادق (١) .

وأما كتب الملاحم ، وهي أشعار تتضمن بعض التنبؤات عن الحوادث المستقبلية ، فيرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري . وقد اضطرب الأمر في خراسان اضطراباً شديداً بعد وفاة زيد بن علي (في خلافة هشام بن عبد الملك) . « ولما قتل زيد تحركت الشيعة بخراسان ... وظهر الدعاة ورؤيت المنامات وتدورست كتب الملاحم » (٢) . وكلمة ملحمة معناها في الأصل معركة أو موقعة (٣) (وبالعبيرية ملحمة) . وقد لاحظت في بعض العبارات التي وقعت عليها أنها تستعمل كناية عن حادثة خطيرة لا مناص من وقوعها ، (٤) كما شاع استعمالها أيضاً في الحوادث المستقبلية ثم في العقائد التي يُتنبأ فيها عن خبر ما سيكون . وكانت الطريقة الأكثر شيوعاً في كتب الملاحم هي الرمز للأشخاص بحرف واحد . من ذلك « ق » سيقتل « م » بمعاونة « ج » ؛ ثم يأتي « ش » فينتصر انتصاراً حاسماً وهكذا . وفي عهد آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد) كانت تجرى على الألسن تلك النبوءة : « ع » بن « ع » بن « ع » بن « ع »

(١) مقدمة ابن خلدون . ترجمة De Slane ص ٢١٤ وما يليها .

ومما نشك فيه كثيراً إطلاق اسم الحيوان على اسم جلده ؛ ولا يبعد أن تكون كلمة (جفر) من أصل أجنبي (قبلى أو يوناني . ويغلب على الظن أنها من أصل يوناني) .

(٢) اليعقوبى ج ٢ ص ٣٩٢

(٣) الطبرى ١ : ٢٦٥١ : (٤) ٣٠٤ : ٢١٣٢

(٤) ملحمة كتبت على . الطبرى ٢ : ٦٠٧ : (٨) ، وابن هشام (طبعة

وستنفلد) ص ٨١٦ (١٥) ، واليعقوبى ج ٢ ص ٢١٥ ، ٥٦١ ، Fragm. hist. arab.

«ع» سيقتل «م» بن «م» بن «م». وقد أول الناس هذا باسم الخليفة
الأموي مروان بن محمد بن مروان وعبد الله بن علي بن عبد الله العباسي (١).

— ٢ —

التنبؤ بمصير العالم

لم يبق أمامنا — بعد أن عرضنا في الفصل المتقدم لتلك التنبؤات المتعلقة
بأشخاص أو حوادث معينة — إلا أن نتكلم عن طائفة أخرى من التنبؤات
لم تكن أقل أثراً من سابقها ، وهي التنبؤ بمصير العالم ونهايته .
ترجع هذه التنبؤات إلى أصل يهودي أو مسيحي ، إلا أنها لم تلبث أن
صبغت بالصبغة العربية في القرن الأول الهجري . وقد شاع هذا النوع من
التنبؤ في الأمة الإسلامية عن طريق كتب التنبؤات أو عن طريق الأحاديث
التي وضعها اليهود والمسيحيون أو التي لا يخلو إسنادها من بعض اليهود
أو المسيحيين ممن دخلوا الإسلام . وترجع شهرة كل من وهب بن منبه
وتميم الداري وكعب الأخبار وتخليد التاريخ لأسمائهم إلى هذا النوع من
الرجم بالغيب . وقد روى لنا المقرئ المحدث المحدث عن كعب ، نستطيع
أن نقبل منها المصادر التي كانوا يستمدون منها هذه المعلومات ، كما تبين لنا
أيضاً احتقار بعض الناس لهذا النوع من التكهن وسخريتهم به . فقد سافر
كعب مع محمد بن أبي حذيفة X في سفينة واحدة ، فسأله ابن أبي حذيفة
ساخراً « هل هذا السفر مذكور عندكم في التوراة ؟ » : ولكن كعباً لم يعي
جواباً عن هذا السؤال وأجاب : « إني أجد عندنا في التوراة أن شاباً أشعر

De Sacy, Chrestomathie arabe (2 me éd.) tome II. p. 298 (١)
suiv. , Journ. asiat. , 1860, p. 134 , Dozy, Supplément, s. v.

الطبري ٢ : ٣ ، ١٩٠٣ ، المسعودي ج ٦ ص ١٠٨
X في الأصل محمد بن حذيفة . والصحيح محمد بن أبي حذيفة — المترجمان

يضرب حتى يموت كما يموت الحمار، وأخاف أن لا يكون أنت» (١).
وتنبؤ القرآن بمصير العالم مشهور؛ وأظهر ما يكون هذا في تنبؤه
بقرب الساعة (يوم الحساب). وقد عرف هذا النوع من التنبؤ عند
المسيحيين قبل ظهور الإسلام. على أنه لم يرد في القرآن شيء عن رجعة
المسيح أو ظهور المهدي وكذا المسيح (الذجال) ولا عن تلك الاضطرابات
والفتن التي تسبق قيام الساعة، وإنما ورد هذا في كتب السنة؛ ثم لم يلبث
هذا النوع من التنبؤ والرجم بالغيب x ان أصبح جزءاً من العقائد
الإسلامية ولا سيما في عهد بني أمية. ولم تقف هذه التنبؤات عند هذا
الحد؛ فقد شغلت الأذهان بقدر ما شغل التنبؤ بقيام الساعة أفكار الصحابة
في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام.

ويطلق العرب كلمة الهرج على تلك الفتن التي يطلق عليها اللاهوت الرباني
كلمة مشيخ (Kheblé-ham-Machiakh). وتدل هذه الكلمة عادة على
الضجة والاضطراب. وقد وردت في السنة بمعنى القتل، وهو نفس المعنى
الذي يدل عليه ذلك اللفظ في اللغة العبرية «هرج» (herég). فإذا جاء
(١) أنظر لفظ محمد بن أبي حذيفة في كتاب المقفى الكبير للمقرئ
مخطوط ليدن).

لم نستطع الرجوع إلى الأصل؛ ولذلك لم نجد بدا من ترجمة هذه العبارة
عن النص الفرنسي.

x لم يكن ما جاء به القرآن الكريم في هذا من قبيل التكهن أو الرجم
بالغيب كما ذهب إليه «فان فلوتن»، وإنما هو قول كتاب كريم لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه نزل به الروح الأمين (جبريل عليه السلام) على
قلب النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى (إنه لقول رسول كريم. وما هو
بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من
رب العالمين. ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا
منه الوتين). سورة الحاقة آية ٤٠ - ٤٦. المترجمان

لفظ الهرج في حديث من الأحاديث فعناه القتل كما هو عند الأثيوبيين (أو الحبش^(١)). ومن البديهي أن كلمة هرج مأخوذة عن العبرية دون الأثيوبية، إذ ليس في الأثيوبية هذا المصدر « ه . ر . ج » .

ويمكننا أن نقف على مقدار ما كان لتنبؤ بالهرج من الأثر من قول الزبير (حين أبي أهل البصرة أن ينضموا إليه ضد علي بن أبي طالب) : « إن هذه للفتنة التي كنا نحدث عنها »^(٢) : على أن هناك من الأدلة ما هو أوضح مما تقدم . فمن بين الأحاديث التي رواها البخاري وأبو داود وغيرها من المحدثين في كتاب الفتن حديث نوه فيه الرسول بأولئك الذين سيلتزمون الحيدة في تلك الحروب الداخلية التي سوف تضطرم نارها . من ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣) : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . من تشرف لها تستشرفه . فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذب به . وهاك حديثاً آخر من هذا النوع^(٤) : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » .

وقد ورد هذا الحديث بروايات مختلفة في كتاب الطبقات لابن سعد^(٥) . من ذلك قوله : « قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، فهرب منه وجوه

(١) صحيح البخاري (طبعة مصر سنة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ ص ١٥٩ .

(٢) ابن الاثير ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠ .

(٤) أبو داود (طبعة مصر سنة ١٢٨٠ هـ) ج ٢ ص ١٣٣ (س ٢٣) ،

والبخاري ج ٤ ص ١٦١ ، ج ٢ ص ١٩٩ .

× جمع شعفة وهي قمة الجبل .

(٥) كتاب الطبقات . مخطوطات جوتة (Gotha) رقم ١٩٤٨ ورقة ١٠٨

وما يليها . وقد ذكرت النص في الذيل الخامس .

أهل الكوفة . فقدموا علينا البصرة وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله (أحد أصحاب الرسول) . وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي . قال (خالد ابن سمير) فغشيتهم ناس من الناس وغشيتهم فيمن غشيه ، فاذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة ، إلى أن قال يوماً : « والله لأن أكون أعلم أنها فتنة لها اقتضاء أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر . فقال رجل من القوم : يا أبا محمد ! ما الذي تهرب وأشد أن تكون فتنة ؟ قال : أهرب الهرج . قال : وما الهرج ؟ قال الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثون ، القتل بين يدي الساعة لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة عليهم . وهو كذلك وأيم الله لئن كان هذا لوددت أني على رأس جبل لا أسمع لكم صوتاً ولا أرى لكم داعياً حتى يأتيني داعي أبي .
أما المسيح الدجال Antichrist الذي يسميه العرب الدجال (أنظر البخاري ج ٤ ص ٧٦) فهو من أصل آرامي .

(daggolai mechikhé Hexapl. Dau. X1v, 20 mechikhé daggolé Mat. .XX1v. 24)

ولم ينص القرآن على ذلك الدجال ولم يعينه . إلا أنه قد ورد في السنة اسم لرجل يهودي من أهل المدينة ، هو صاف بن صائد أو ابن الصيادي ، صرح النبي بأنه هو الدجال . ومن ثم نبذه المسلمون ، فلم يكلمه ولم يخالطه أحد^(١) . وقد سمي المتوكل الليثي^(٢) أحد الشعراء المعاصرين المختار بالدجال (١) . Sprenger, Das Leben und die Lehre des Muhammad , III . 92, n.31.

تاج العروس ج ٢ ص ٤٠٢ ، أبو داود ج ٢ ص ١٤٠ ، الترمذي ج ٢ ص ٩٣ وما يليها ، صحيح مسلم (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٠ هـ) ج ٢ ص ٣٧٧ وما يليها ، صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٥٦٥ ، ٢٥٦٦ ، الاغانى ج ١٩ ص ٢٥ . ويتبين مما ذكره الطبري (١ : ٢٥٦٥ - ٢٥٦٦) وصاحب الاغانى (ج ١٩ ص ٢٥) أنه كان شخصاً تاريخياً .

(٢) الطبري ٢ : ٦٨٦ ، أبو داود ج ٢ ص ١٤٠ .

في إحدى قصائده، وأخبر أحد اليهود من أهالي سورية عمر بن الخطاب بأن الدجال سيخرج من قبيلة بنيامين وأن العرب سيقتلونه على باب المد (١). ولما وصل المسلمون إلى مدينة نهاوند صاح الرهبان والقسس على الأسوار: «يامعشر العرب ! لا تعذروا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال». وقد دخل العرب المدينة بمعاونة صاف بن صائد الذي كان يقاتل في صفوف المسلمين وكانوا يسمونه الدجال (٢). ولما اختفى صاف في موقعة الحرّة (٦٣ هـ)، ذلك الاختفاء الذي لا يزال الناس يعتبرونه سرّاً غامضاً، تلمس العرب خلفاً له. ولما كان الدجال أعور العين اليمنى، كان لا عور من هذا النوع حظ كبير في ذلك المضمار (٣). وكان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع أعور العين اليمنى. وقد أراد يوماً أن يمزح في حضرة هشام بن عبد الملك مع أمير الكوفة، فقال هذا: «مولاي! لولا ما أخاف من غضبه عليك وعلى وعلى المسلمين لأجبتة. قال: وما تخاف من غضبه؟ قال: بلغني أن الدجال يخرج من غضبة يغضبها» (٤).

ولما كان ما ذكرته كافياً للتدليل على انتشار تلك العقيدة، لم أرد أن أثقل على القارئ بذكر جميع القصص والملح التي كانت شائعة عن الدجال في القرن الأول الهجري. على أنني لا أجد بداً من أن أضيف تلك النبوءة إلى ما تقدم. فقد قابل محمد بن اسحاق (١٥١ هـ) أنس بن مالك وعليه عمامة سوداء، ومن ورائه جمع من الصبية يصيحون: «هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلتقي الدجال» (٥).

(١) الطبري ١: ٢٤٠٣.

(٢) الطبري ١: ٢٥٦٥.

(٣) الاغانى ج ٨ ص ٣٥، زهر الآداب (بهاش العقد) ج ١ ص ٣٢٠

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٩. أنظر صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧٤ وما يليها

(٥) ابن خلكان (طبعة وستنفلد) رقم ٦٢٣ ص ٨

رجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال

من المحتمل جداً أن النبوءة برجعة عيسى بن مريم قد شاعت وانتشرت بين المسلمين في نفس الوقت الذي انتشر فيه التنبؤ بظهور الدجال (١) ، ولو أن هذا لم يرد إلا في السنة النبوية لحسب. ولو جاز لنا أن نعلم على القصص والملح التاريخية في التدليل على صحة هذه النظرية لاستطعنا أن نحكم بأن نفوس المسلمين في الصدر الأول للإسلام كانت أقل اعتقاداً برجعة المسيح منها بظهور الدجال .

ولئن صح هذا الاستنتاج كان ذلك راجعاً إلى ما امتازت به العقلية العربية التي استطاعت أن تصف من كان يطلق عليهم اسم « المسيح » بصفة المسيح المخلص وأن تسند اليهم ما يقوم به المسيح نفسه (من الهداية) . وإلى القارى تلك العبارة التي وجهها رسول من قبل أمير خراسان إلى زعيم اليمانيين من العرب : « أيها الأعور ، لعلك أنت ذلك الأعور الذي ستهلك على يديه مضر » . من هذا يتبين لنا أن الأمر كان يتعلق بنبوءة تؤول إلى هلاك قبيلة مضر على يد رجل أعور ، تلك النبوءة التي ليست إلا انصباً لقصة الدجال بالصبغة العربية ثم تطبيقها تطبيقاً دقيقاً على الشؤون السياسية العربية في ذلك الحين . لهذا كانوا يمثلون الدجال برجل أعور .

كذلك كان الحال فيما يخص برجعة المسيح عيسى بن مريم . فقد تنبأ الناس بأن « السفيناني » هو المسيح ، ذلك المخلص الذي كان ينتظره أشياخ بني أمية وأنصارهم . وليس بعيداً أن يكون خالد بن يزيد بن معاوية قد ابتدع

(١) أبو داود ج ٢ ص ١٣٨ وما يليها ، الترمذي ج ٢ ص ٣٦ .

نبوءة السفينائي هذه ، على ما جاء في كتاب الأغانى (١) ، ليحفظ التوازن بين بطون البيت الأموى ، وليلين من شكيمة الأسرة الحاكمة ، أسرة بنى مروان (من سلالة حرب ابن عم أبي سفينان) . وقد ظهر أحد أولاد سفينان من سلالة خالد هذا (وزعم أنه السفينائي المنتظر) وانضم اليه كثير من الأنصار والأشياع في آخر خلافة بنى أمية . وقد وقفنا على تلك المحاولات العقيمة التي قام بها كثير من « بنى سفينان » (٢) من حين إلى حين .

أما اليمانيون فقد عقدوا كل آمالهم على القحطاني (المنتظر) ، وهو أحد الأمراء من سلالة قحطان (٣) . وذكر المسعودى أن عبد الرحمن بن الأشعث أدعى أنه ذلك القحطاني المنتظر (٤) . وقد أطلقت بنت سهم في إحدى قصائدها على الأشعث هذا اسم « المنصور عبد الرحمن » (٥) . وهكذا كان المنصور هو المسيح المنتظر الذي كان ينتظره عرب الجنوب ليعيد الملك فيهم (٦) .

(١) ج ١ ص ٨٨

(٢) أبو المحاسن ج ١ ص ٢٤٦ ، الطبرى ٣ : ٥٣ (س ١٤) ، ٨٣٠ ،

Freitag Historiae Selecta . Snouck Hurgronje, II. p. 11
Holebi, p. 12 suiv.

(٣) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٦٧ (شرح)

(٤) كتاب التنبية والاشراف للمسعودى (طبعة دى غوية) ص ٣١٤ .
« خلع عبد المالك باصطخر فارس ، وخلعه الناس جميعا ، وسمى بنفسه ناصر المؤمنين . وذكر أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية ، وأنه يعيد الملك فيها . فقيل انما القحطاني على ثلاثة أحرف . فقال اسمى عبد ، وأما الرحمان (كذا) فليس من اسمى » .

(٥) كتاب الانساب للبلاذرى (طبعة Ahlwardt) ص ٣٣٤ .

D.H. Müller, Die Burgen und Schlösser Siid-Arabiens , I p. (٦)
75 suiv.

وقد ألف المؤرخ أبو مخنف كتابا في السنة عنوانه يا حميرا أو موت عبد الرحمن ابن الأشعث به الكثير من المعلومات عن هذا الموضوع (كتاب الفهرست طبعة Flügel ص ٩٣ .

و بينما كان اليمانيون ينتظرون التحطاني كان المضر يرون يعتقدون بالتميمي الذي لم تقف إلا على اسمه فقط وينتظرون ظهوره . وهناك أيضاً بعض النبوءات بكلي منتظر ، وهو زعيم يزعمون أنه سيخرج من بني كلب إحدى القبائل اليمانية .

وأما المسيح (المخلص) عند الشيعة فهو معروف مشهور . وكان يلقب بالمهدي ، ذلك اللقب الذي كان في بادئ الأمر أحد ألقاب الشرف ، فلم يلبث أن أصبح رمزاً لذلك المنقذ المنتظر من آل البيت « الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » .

ومن الجلي أن الاعتقاد بظهور المهدي وانتظاره لم يقتصر بادئ الأمر على آل البيت وحدهم ، بل بدأ ذلك الاعتقاد يذاع وينتشر بين المسلمين على حسب ازدياد نفوذ الشيعة وانتشاره (١) .

وقد انتشرت فكرة المهدي المنتظر لدى أهل السنة حتى تحت ذكر غيره من المهديين ممن كان يتنبأ بهم مثل السفياي والقحطاني وغيرها . ولا شك أن التنبؤ بهؤلاء وانتظارهم لم يتلاش تماماً من نفوس المسلمين ، وإنما صار هؤلاء بالنسبة إلى المهدي المنتظر كالدجال بالنسبة إلى عيسى بن مريم . لذلك كان من المعقول أن يظهر عليهم ذلك المهدي ويهزمهم هزيمة حاسمة وينتصر عليهم انتصاراً مبيناً .

عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الاموية

كان البون شاسعاً بين تلك السعادة التي كان ينشدها الناس على يد المهدي

(١) ذكر بعض المؤرخين أن الناس كانوا يلقبون كلا من موسى بن طلحة وعمر بن عبد العزيز بالمهدي . أنظر الذيل الخامس .

المنتظر وتلك الآلام التي كانوا يعانونها في ذلك الحين حيث الحروب الأهلية التي أذكى ناراها انتقام خلفاء بني أمية على أنفسهم ، والتي كانت تلهب نارها تلك الأحن والأحقاد القديمة بين مضر وقحطان ؛ تلك الحروب التي خربت بلاد الشام حيث اندلع لهيبها أول الأمر ، ثم تطاير شظاياها إلى غيرها من الولايات الإسلامية .

وقد ساد الاضطراب في كل أنحاء الدولة الأموية واستولى على العرب ثمانية الميل الى الحرب والكفاح ، فرغ الشيعة والخوارج رءوسهم . وظلت الحاميات السورية وحدها على ولائها للعرش الأموي ، على حين أن كان المرابطون من الجنود العربية يشايعون أعداء الحكومة ، حتى كادت تلك الفتن تأتي على ذلك التراث الذي خلفه النبي (صلى الله عليه وسلم) وتودى بذلك الإصلاح الذي قام به كل من أبي بكر وعمر . وهكذا كان ذلك العصر عصراً محزناً ملاً قلوب التقاة من المسلمين تشاؤماً بالمستقبل . وقد وصف لنا هذه الحالة السيئة الحارث بن عبد الله الجعدي الشاعر في هذه الابيات :

أبيت أرعى النجوم مرتفقاً^(١) إذا استقلت تجرى أوائلها ✓
من فتنة أصبحت مجللة^(٢) قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن بالشام كل شجاء^(٣) شاغلها
فالناس منهم في لون مظلمة دهاء ملتجة^(٤) غياطلها^(٥)
يمسى السفية الذي يعنف بال جهل سواء فيها وعاقلها

(١) المرتفق الواقف الثابت . والمراد منها السهر .

(٢) مجللة : شاملة . وما بعدها يفسرها .

(٣) شجاء : حزنه وطربه .

(٤) ، (٥) الملتجة من العيون الشديدة السواد . والغيطلة (بفتح الغين والطاء) الظلمة المتراكمة .

والناس في كربة يكاد لها تنبذ أولادها حواملها
يغدون منها في كل مبهمة عمياء تمنى (١) لهم غوائلها
لا ينظر الناس في عواقبها إلا التي لا يبين قائلها
كرفوة البكر (٢) أو كصيحة جد لي طرقت حولها قوابلها
بخاء فينا أزرى (٣) بوجهتها فيها خطوب حمر زلازلها (٤)
كذلك تصف لنا هذه الأبيات التي نظمها عباس بن الوليد حرج الدولة
الأموية وما وصل اليه الخلفاء الأمويون من يأس وقنوط :

إني أعيدكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتم لاحسرة تغنى ولا جزع (٦)
وهكذا نرى إلى أي حد تطور الرأي العام نحو الأمويين . ولقد صدق
أبو العباس حين قال لبني أمية : « إن البرية قد ملت سياستكم » .
ولا غرو فقد بدأ عامة الناس يدركون أنه ليس ثمة صلاح من وراء
ذلك النظام الفاسد الذي سنه الخلفاء الأمويون ، وأن بقاء ذلك النظام
لامعنى له سوى ضياع الاسلام .

هل كان الناس يعتقدون إزاء تلك الحالة السيئة بقرب ظهور المهدي
(المخلص) ؟ كل ذلك ممكن ؛ بل من المحتمل جداً أن هذا الأمل كان العزاء

(١) تمنى بمعنى تقدر .

(٢) البكر ولد الناقة .

(٣) بمعنى طاب

(٤) الطبرى ٢ : ١٨٥٧

(٥) لا تطعموا

(٦) شرحه ٢ : ١٧٨٨

الوحيد للتقاة من المسلمين (أهل السنة) . ومع ذلك فلا ندهش إذا رأينا نبوءة أخرى تشغل الأذهان في ذلك الحين ؛ فقد كان لزاماً هدم تلك الأطلال البالية لكي يقوم دهرج السعادة على أساس متين . لذلك كان من الضروري ظهور رجل يهدم كل قديم وينأتي عليه ليعبد السبيل لذلك المهدي المنتظر . وهكذا ظهرت بجانب تلك النبوءات القديمة نبوءة أخرى هي نبوءة الرجل ذي الأعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني أمية (أنظر الكامل للمبرد ص ٥٨٥ والطبري ٢ : ١٩٢٩ وما يليها) .

وقد يتساءل الانسان عن سبب وجود هذه الأعلام السوداء .

كان البياض شعار الأمويين إلى ذلك الحين ؛ فأخذ العباسيون السواد شعاراً لهم حداً على الشهداء من آل البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الأموية وقسوتها (١) . على أنه لا يبعد أن يكون الأمويون قد اتخذوا البياض شعاراً لهم بعد أن قامت الدولة العباسية ، وبعد أن اتخذ الخلفاء العباسيون السواد شعاراً لهم (٢) . وأما أن السواد كان شعاراً للحزن

(١) أنظر ما كتبه : Hamaker , Réflexions critiques pour servir de réponse aux éclaircissements de M. de Hammer, Leide , 1829, p. 8 suiv. De Sacy , Chrestomathie arabe, 2 é ed. I. 48 Suiv. II. 261 suiv. Weil , Geschichte der Khalifen, II. 216, n 3 , Opkomst der Abbasiden, p. 137 suiv. للوقوف على هذه الألوان التي اتخذت شعاراً لأسباب سياسية

(٢) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٤٤ (النسخة العربية) ٥١ (الترجمة) . وقد اقتبس مسيو فون كريمر عبارة عن الأغاني (ج ٦ ص ١٤١) مؤداها أن الخليفة الوليد كان يصلي في « ثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة » وأن الأمويين كان شعارهم البياض . وبالرغم من أن البياض هو رمز النظافة — على ما يظهر — فلدينا من النصوص التاريخية ما يدل على أن الأمويين لم يقتصروا على الثياب البيض . فقد كانت العمامة السوداء شعارهم الرسمي .

والحداد فقد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة إلى الملابس السوداء (الملابس الرسمية في عهد العباسيين) ، لا سيما وأن الروايات التاريخية تؤيد ذلك (١) .
أما الألوية السود فلم تكن يوماً ما إشارة للحداد . فقد اتخذ الحارث بن سريح اللواء الأسود شعاراً له حين ثار على بني أمية سنة ١١٦ هـ ، وكذا بهلول الخارجي سنة ١١٩ ، ثم أبو حمزة الخارجي أيضاً سنة ١٢٨ (٢) . على أن أحداً من هؤلاء لم يكن في حداد على أحد من آل البيت . ونستطيع أن نتبين السر الحقيقي في اتخاذ اللواء الأسود من قصيدة الكميت الشاعر التي وجهها إلى الحارث بن سريح في سنة ١١٧ هـ ، والتي نكتفي منها بهذا البيت :
وإلا فرفعوا الرايات سوداً على أهل الضلالة والتعدى
(الطبري ٢ : ١٥٧٤) ×

ومن هنا يتبين لنا أن هناك علاقة بين الألوية السود ومحاربة الضلالة (والمراد بها هنا الضلالة على حسب ما في القرآن) والعدوان (والمراد به الخروج على التانون الالهي) . وهذا يبين لنا معنى هذه المسألة التي أشار إليها هامكر (Hamaker) وهي أن الألوية المذكورة تمثل لواء الرسول الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار ذلك اللواء الذي اتفقت جميع المصادر التي اعتمدنا عليها أنه كان أسود (٣) .

الطبري ٢ : ٢٥٨ (س١٦) العقد الفريد ج ١ ص ٤٢ ، الأغاني ج ١٩ ص ٦٠ ،
الطبري ١ : ٢١٤٨ .

(١) دي ساسي . ج ١ ص ٥١ نقلًا عن الدينوري (طبعة Girgass)
ص ٣٤٠ ، الطبري ٢ : ١٩٧٢ ، ٣ : ٥٠٦ ، الأنساب للبلاذري Z. d. D.
M. G. XXXVIII ، 94

(٢) الطبري ٢ : ١٥٧٠ و ١٦٢٤ و ١٩٨١ ، ابن الأثير ج ٥ ص ٢٨٥

× الصحيح ٢ : ١٥٧٥ — المترجمان

(٣) Mouradja d' Ohsson, Tableau de l' Empire ottoman, I. (٣)
260 suiv. ، كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١١٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري

ولهذا كان الخوارج ينشرون الألوية السود في حروبهم مع الأمويين كما كان يفعل ابن سريج، فقد كانوا جميعاً يحاربون الضلالة والجور قبل كل شيء. وكان هذا اللواء الأسود يذكرونهم بعهد الرسول، ذلك العهد الذي كانوا يعتبرونه المثل الأعلى للكمال.

ومن ثم كان لزاماً على من يبشر بالمهدى الامام الحق، أو بعبارة أدق الامام الذي يزول على يديه سلطان بني أمية، أن يتخذ تلك الألوية السود شعاراً له. وفي سنة ١٢٨ هـ ادعى الحارث بن سريج أنه ذلك المهدى المنتظر (١). على أن دعوته هذه لم تصادف شيئاً من النجاح. فقد ظلت الحكومة، أو بالأحرى العرب اليمانية، صاحبة النصر والظفر. بيد أن ذلك الأمل الذي كان الحارث أول من بعثه في النفوس لم يخب بعد، كما كان العامل الوحيد الذي جذب إلى الدعوة العباسية جميع هؤلاء الذين كانوا يشاطرون الحارث ميوله وآراءه السياسية. وليس بعيداً أن يكون الحارث بن سريج قد اعتمد في دعوته هذه على هذا الحديث المشهور الذي رواه أبو داود « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرّات على مقدمته رجل يقال له منصور يوطىء أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وجب على كل نصره ». ولم يلبث هذا الحديث أن أصبح نبوءة من تلك النبوءات التي وردت في كتب التكهن (٢).

ص ١١٢، اليعقوبي (طبعة Houtsma) ج ٢ ص ١٥١، الدينوري (طبعة Giegan) ص ١٨٦ وكتاب الوفا (Cod. Leide) ورقة ١٤٤ وما يليها. هذا هو اللواء الاسود الذي كان يحمله هذين (Hothain) لعلي بن أبي طالب في موقعة صفين. الكامل للمبرد ص ٤٣٦، والعقد الفريد ج ٣ ص ١٢٣، ٢٨٧.

(١) الطبري ٢ : ١٩١٩

(٢) كتاب السنن لأبي داود ج ٢ ص ١٣٥ ومقدمة ابن خلدون. الجزء

الثاني. ترجمة ص ١٦٧، الدر المنظم (Cod. Leide, 1252) ورقة ١٣٢.

قيام الدولة العباسية

وفي الخامس عشر من شهر رمضان سنة ١٢٩هـ نشر أبو مسلم الخراساني ، الذي تولى أمر الدعوة العباسية بعد سليمان بن كثير ، اللواء الأسود على ربوع سفيندنج ، وهي قرية صغيرة من ضواحي مرو . وقد كتب على هذا اللواء تلك الآية من القرآن (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) — سورة الحج آية ٣٩ .

وقد ضم أبو مسلم إلى لقبه « صاحب الألوية السوداء » أمراً آخر ليس بأقل أهمية من ذلك ، وهو شرف الانتساب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

ولم تكن الحال في خراسان لتساعد على انتشار الثورة بمثل تلك السرعة . نعم ! كان الموالي من سكان القرى يقدون من كل جانب وراء الدعاة العباسيين ، كما ثار المسوودة في جميع أنحاء بلاد خراسان : في نسا وبلخ وهراة ومروروذ ، وفي الجملة في كل ناحية قامت فيها الدعوة لبني العباس . ولكن بعد الشقة بين هذه النواحي قد حال دون توحيد وجهة الثائرين . على أن هناك سبباً آخر ، وهو أن العرب — حتى من خرج منهم على الحكومة الأموية وشق عصا طاعتها — قد أبوا أن يشتركوا أول الأمر مع أولئك الموالي ممن لا نسب لهم . ولا غرو فقد كانوا يعتبرونهم أعداء الأعداء ؛ كما كان يقول عنهم نصر بن سيار إنهم أموات في نظر العرب احتقاراً وسخرية بهم . وترجع قوة المسوودة إلى حماسهم الشديد وإخلاصهم للدعوة لآل البيت إذ كانوا يعتبرونها رمز أمانهم السياسية . وكان صفوف جند أبي مسلم من الكتبية أو أهل الكف ، وهم الذين كانوا يأخذون أرزاقهم من القمح

بالكفة (الحفنة) . وهناك تفسير آخر لكلمة الكفية ؛ ذلك أنهم بايعوا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج إليها يبتغون الجنة مقابل هذا الكف (١) (ويبدو لي هذا التفسير الأخير خيراً من التفسير الأول) . كذلك أقسموا أن لا يطلبوا فدية أو رهينة بدون إذن من رؤسائهم . وقد ذهبوا في طاعة رؤسائهم إلى أبعد من ذلك . فكانوا لا يقتلون الأعداء الذين يظفرون بهم في ميدان القتال إلا باذنهم (٢) .

أما العرب فكانت تعوزهم العاطفة الوطنية . وقد حاولوا غير مرة أن يتحدوا ضد هذا العدو المشترك لولأن حال أبو مسلم بدسائسه دون ذلك . ولاغرو فقد كان كل لا يعنيه سوى مصلحته الخاصة أو بالأحرى مصلحة قبيلته . وأما الاخلاص للعرش الأموي فلم يعن به أحد ، حتى إن اليمانية من أهل مرو — إذا صح لنا أن نأخذ بما ذكره اليعقوبي — قد انضموا إلى الشيعة (٣) واعتنقوا مبادئهم . ولم يبق على ولائه لابيت الأموي في ذلك العصر الممتليء بالأثانية والخيابة والغدر إلا نصر بن سيار . وقد ألح بدون جدوى في طلب المدد من الخليفة . ولاغرو فقد كان مروان الثاني في حاجة شديدة إلى آخر جندي من جنوده . ولذلك رد عليه الخليفة بقوله : « احفظ ناحيتك بجهدك » ، فدهش نصر وقال : « أأيقاظ أمية أم نيام؟ » × .

(١) وقد سماه الطبري (٢ : ١٩٥٧) (٤) ٣٤ : ٨٤٨ (١٥) الكفلية .
والصحيح الكفية . وكذلك كتب المقرئ في مخطوطه المقفى الكبير (المكتبة الأهلية بباريس ورقة ١٨٠ ب) عبارة شائقة أتيت على ذكرها في الذيل السادس .

(٢) الطبري ٢ : ١٩٨٩

(٣) اليعقوبي (طبعة Houtsma) ج ٢ ص ٣٩٩ (س ١٦ وما يليه) ٤٠٨٤ ×
ذكر الطبري (٢ : ١٩٤١ — ١٩٤٩) والمسعودي (مروج الذهب طبعة القاهرة ج ٢ ص ١٤٤) أن قول نصر بن سيار : « أأيقاظ أمية أم نيام »

وقد عرف أبو مسلم ، بما أوتيته من الحذق والمهارة الحربية ، كيف يستفيد من ذلك الانقسام الذي ساد في هذه البلاد . فبذر بذور الشقاق بين جنود بني أمية ، كما استطاع أن يربط بجنده سبعة أشهر بظاهر مدينة مرو ، استمال خلالها اليمانيين وضمهم إلى صفوفه . وبذلك تمكن من الاستيلاء على خراسان دون أن يعرض جيشه الصغير للهزيمة . ولم يكد يتم له النفوذ في هذه البلاد حتى عمل على التخلص من شيوخ القبائل الذين كانوا ينازعونه السيادة فقتلهم عن آخرهم .

عندئذ عمت الثورة وانتهت بزوال الدولة الأموية . وإلى القارىء ما ذكره أبو حنيفة الدينورى ، عله يتبين منه حال الأمة العربية في ذلك الحين (١) قال : « وأنجفل الناس على أبي مسلم : من هراة وجوشنج ومرو والروذ والطاقان ومرو وآسا وأبيورد وطوس وسرخس وبلخ والصغانيان وطخارستان وختلان وكش ونسف ، فتوافوا جميعاً مسودى الثياب . وقد سوّدوا أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها كافر كوبات (٢) . وأقبلوا فرسانا وحمارة يسوقون حميرهم ويزجرونها هر مروان ، يسمونها لمروان بن محمد . وكانوا زهاء مائة ألف رجل » .

ولن نعرض هنا لوصف تلك الدولة الأموية في ساعات احتضارها ، ولا

كان قبل أن يصل إليه كتاب الخليفة الأموى يأمره فيه بان يحفظ ناحيته بجهده - المترجمان .

(١) الدينورى ص ٣٦٠

(٢) أنظر الاغانى (ج ٥ ص ١٢٣) في معنى كلمة كافر (incredule) : وقد قال أبو مسلم لمستهل بن الكميت : « أبوك الذى كفر بعد إسلامه » ، فقد استهل الكميت بعض قصائده بالاشادة بذكر الهاشميين ، ثم لم يلبث ان أفاض فى مدح بني أمية . فكلمة كافر كوبات إنما كان يطلقها المسلمون على أنصار بني أمية . أنظر « كافر كوبات » عند الترك فى Biblioth. Yeog. IV. 278

لتلك الانتصارات المتتابعة للجيش الخراسانية . وقد ندهش لتلك الهزائم التي أنزلتها تلك الجيوش بأمر القواد الأمويين ، لو لم نعلم أن مقاومة تلك الأمة المحتضرة لم تصدر عن وطنية صادقة أو قوة معنوية صحيحة أثارها اليأس في قلوبهم في ساعتهم الاخيرة ، ولا عن أية عاطفة قوامها الشعور بوجود نظام ثابت . فضلا عن أن الظفر الذي أحرزته الجيوش العباسية - ذلك الظفر الذي لم يكن إلا قضاء من الله باستئصال شأفة أولئك الأمويين وزوال دولتهم - قد أضعف ما كان لديهم من الاستماتة في الدفاع عن دولتهم (١) .

هذه هي حال بني أمية في ذلك الحين وما كان يستولى على نفوسهم من يأس وقنوط . وأما غيرهم من أهل الولايات الاسلامية الأخرى فكانوا على العكس من ذلك . فقد انبعث في نفوسهم الأمل بانبثاق فجر المساواة والعدل ، ولا سيما في تلك الولايات التي كان الولاة والعمال يستغلونها لأنفسهم ، مدفوعين بعوامل الشراهة والجشع مستعنين في ذلك بما تطرق إلى نظم الإدارة من خلل وفساد . وهكذا فتنت تلك الأمنية الجميلة هؤلاء الدهماء من الفرس الذين لم يعرفوا من الاسلام حتى ذلك الحين سوى دفع الجزية وجباية الضرائب على اختلاف أنواعها . وهكذا « انتقل دين المجوسية عن الدهاقين وأسلموا أيام أبي مسلم » (٢) .

على أن ذلك الأمل كان أشد ما يكون في نفوس الخرمية (وهم المنتظرون من دعاة مذهب توحيد الآراء في الفلسفة) . ولا غرو فقد تعقب الولاة الأمويون أصحاب هذه العقيدة دون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . ومن ثم كان يعتقد هؤلاء أن لا خلاص لهم إلا بزوال الدولة الأموية . لذلك

Fragmenta Hist. arab. p. 211

(١)

(٢) أنظر ما كتبه فون روزن (Von Rosen) عن أبي طاهر في

Memoires de la Société russe d'archéologie III, l. p. 146-162 (tiré à part p. 10 n. 1)

لاندهش إذا رأيناهم يبادرون إلى الانضمام إلى أبي مسلم والانضواء تحت لواء ذلك الرجل الشديد الذي لا تعرف ملاذ الحياة إلى نفسه سبيلا . فقد كان الشخص الوحيد الذي صادف عنده هؤلاء البائسون عطفاً على مذهبهم . وكان الكثيرون منهم يعتبرونه وحده الامام الحق (١) . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فزعموا أنه « أشيدر باهي » (Ochederbami) أو « أشيدرما » (Ochederma) أحد أعقاب زردشت الذي ينتظر المجوس ظهوره كما ينتظر المسلمون ظهور المهدي (٢) ، حتى إن تلك الطوائف لم تعتقد بموت أبي مسلم بل كانوا ينتظرون رجوعه ليملأ الأرض عدلاً ، على حين أن حول بعض أشياعه الامامة إلى ابنته فاطمة (٣) . وقد فر رجل يدعى أبا اسحاق الترك إلى بلاد ما وراء النهر بعد موت أبي مسلم ونصب نفسه داعياً له وزعم أن « مولاه » (أبا مسلم) اختفى بمدينة الري ، ثم زعم أنه نبي أرسله زردشت وأنه لا يزال حياً . ولا يزالون ينتظرون عودته إلى اليوم لينشردن زردشت ويرفع لواءه (٤)

- ٦ -

خاتمة

وبعد عام من فتح مدينة مرو (١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢) استهل أبو العباس عبد الله المهدي (٥) أول خلفاء بني العباس خلافته بخطبة ألقاها بجامع الكوفة .

(١) الشهرستاني ص ١١٤

(٢) شرحه

(٣) المسعودي (طبعة دي غوية) ج ٦ ص ١٨٦

(٤) الفهرست ص ٣٤٤

(٥) كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٣٨

وقد نوه في هذه الخطبة بتلك الآمال التي بعثها في النفوس اعتلاء تلك الأسرة الجديدة عرش الخلافة . وسنين في الفصل الأخير من هذا الكتاب إلى أي حد تحققت هذه الآمال وصححت تلك الأحلام .

ولا يفوتنا أن نذكر أولاً أن ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة قد ظل وهما من الأوهام ، حتى إن حاجة الشرقين اليوم إلى مهدي يملأ الأرض عدلاً لم تكن أقل منها في عهد بني أمية .

ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المختل حفزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره . وتذكرنا شراهة المنصور والرشيد والمأمون وجشعهم وجور أولاد علي بن عيسى وعبثهم بأموال المسلمين بزمن الحجاج وهشام ويوسف بن عمر الثقفي . ولدينا البراهين الكثيرة على فجيعته الناس في هذا العرش الجديد ومقدار انخداعهم به . من ذلك قول شريك الذي ثار ببخاري في خلافة أبي العباس السفاح (١) : « ما على هذا اتبعنا آل محمد : على أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق » . كذلك الاضطرابات المستمرة في الجزء الشرقي للدولة العباسية (كخروج المتنع) وثورات الخوارج المتوالية ، وخروج يوسف البرم الذي لم يكن غرضه سوى « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . أضف إلى ذلك خروج رافع بن الليث لسوء سياسة علي بن عيسى . كل ذلك يبين لنا أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور والعسف لم يزل على ما كان عليه في عهد بني أمية الأول . وهكذا لم يكن أبو العطاء الشاعر وحده الذي نعى على ذلك النظام إذ يقول :

يأليت جورَ بني مروانَ عاد لنا يأليت عدل بني العباس في النار (٢)

(١) الطبري ٣ : ٧٤

(٢) الأغانى ج ١٦ ص ٨٤

وأما أشياع العلويين الذين كانوا يطمعون في إسناد الخلافة إلى آل علي فقد خابت آمالهم خيبة كبيرة. ولا غرو فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا في عهد الأولين من خلفاء بني العباس .

وقد قال الحسن بن الحسن بن علي يوما لابن أخيه محمد بن عبد الله بن الحسن : « لم تبكى علي بنى أمية وأنت تريد ببني العباس ما تريد » ؟ فقال : « والله يا عم لقد كنا نتمنأ على بنى أمية ما نتمنأ . فما بنو العباس إلا أقل خوفا لله منهم ، وإن الحجة على بنى العباس لا أوجب منها عليهم . ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر (المنصور) » (١) .

على أن هذا لن يحملنا على الجور في الحكم على ذلك النظام الجديد . فإن الخلافة العباسية ، وإن كانت تعوزها تلك الصفات التي نعى عليهم محمد ابن عبد الله العلوي حرمانهم منها ، فقد أنجبت الكثيرين من الخلفاء الذين أناروا إعجاب التاريخ بما فطر وواعليه من النظام وحب العلم كالمَنصور والمأمون . وليس هذا كل ما كانت تمتاز به الدولة العباسية . فإن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة ، وإن لم يحقق ذلك المثل الأعلى للعادل والمساواة الذي كان ينشده الناس ، فليس معنى هذا أن الحال قد ظلت كما كانت عليه أيام بنى أمية . نعم ! كان لا يزال هناك الشيء الكثير من الظلم والجور . ولكن لم يكن قوامه ذلك التنافر الشديد بين طبقات الأمة المختلفة ، الذي كان عماد النظام الإداري القديم في عهد بنى أمية . فلم نعد نرى طبقة المحاربين ذات الامتيازات الكثيرة في ناحية ، ثم طبقة الزراع المضطهدين في ناحية أخرى . وبذلك أصبح الدين — دون الجنس — المرجع الوحيد في تحديد العلاقات بين الحكومة والرعية ثم بين أفراد الشعب ، بعد أن فقد الاختلاف في الجنس بين طبقات الأمة المختلفة من العرب وغيرهم من الشعوب المحكومة أهميته . وكانت الحكومة لاتدخر وسعا في القضاء على الجيوش

العربية أو إقصائها عن البلاد إذا ما أبت النزول عن امتيازاتها القديمة التي كانت لها في عهد بني أمية . (١) وقد ساعد امتزاج العناصر المتباينة على ظهور نظم جديدة (كما كان الحال في العراق مثلاً) . فقد حل محل النظام الذي سنّه عمر بن الخطاب ، ذلك النظام الذي يقضى باعفاء العرب من دفع الجزية باعتبارهم حماة الاسلام ، نظام جديد لا يفرق بين العرب والفرس في خدمة الحكومة ويفرض للجميع على السواء مرتبات معينة ، على الرغم من بقاء ذلك النظام القديم وعدم الغائه صراحة .

ومنذ ذلك الحين أصبح الخراسانيون من الأيرانيين أو النصف إيرانيين أشد الناس ولاءً لذلك العرش الجديد . كذلك رفع الموالي المضطهدون الذين كانوا السبب في ستوط الدولة الأموية رءوسهم وأسندت اليهم المناصب الهامة في قصر الخليفة وفي الجيش والمالية ، كما أسندت اليهم إمارة الولايات الاسلامية . حتى حسد هم العرب وقد أصبحوا أقل شأناً منهم (٢) . أما الحروب التي كانت تستعر نارها بين القبائل والتي كانت إحدى الأدواء المتأصلة في نفوس العرب ، فقد خبت جذوتها منذ ذلك الوقت وأخذت تنكش شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في البلاد العربية الاصلية (مثل سورية وشبه جزيرة العرب) . وهكذا لم يصادف اندماج الجنس الحاكم بالأجناس المحكومة في سبيله أية عقبة ، ذلك الاندماج الذي بدأ منذ خلافة بني أمية ولم يحل دون

(١) اليعقوبي كتاب البلدان (طبعة دي غرية) ص ٢٨٥ (س ٦ وما يليه)

(٢) الاغانى ج ١٨ ص ١٤٨ ، ج ١٢ ص ١٧٦ . قصيدة هجائية ترجمها

فون كريم Von Kremer في كتابه . Streifziige, p. 31 suiv. وقد قرأ

الاستاذ فون كريم لفظ « تَبَانِينَ » في البيت الأول خطأ وصحتها تَبَانِينَ

(جمع تَبَانٍ) اللباس الخاص بالموالي . أنظر الاغانى ج ١٥ ص ٢١ والجوالي

(طبعة سخاو Sachau) ص ٦٧ .

إتمامه سوى أولئك العرب الخالص لما كانوا يستمتعون به من حقوق
وامتيازات خاصة .

وقد ساعد قيام تلك الحكومة الجديدة على ظهور تلك النهضة الفكرية
التي تناولت جميع العالم الأسلامي ، والتي لم تلبث أن فاضت على الانسانية
كافة دون أن تقتصر على الدولة الاسلامية في الشرق .



تذييل

— ١ —

الشئون المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار

(أنظر ص ٢١) (ص ٥٠ من الترجمة)

من الصعب جداً أن يقف المؤرخ على رأى صحيح فيما يتعلق بالضرائب بخراسان في عهد العرب . وقد ذكرنا قبل أن الجزية أو خراج الجزية (وهي الضريبة التي كان يدفعها الكفار) كانت جزءاً من تلك الضريبة التي كان يدفعها أهل خراسان للعرب ليكفّوا عن قتالهم . من ذلك ما فعله مهويّه مرزبان مرو . فقد أبرم مع علي بن أبي طالب معاهدة تعهد فيها بأن يدفع له الدهاقين والأسوار والدهسلار (ثلاث طبقات من أصحاب الضياع) الجزية (البلاذري - فتوح البلدان ص ٤٠٨ وما يليها) . كذلك لم يكف العرب عن قتال أهل هراة إلا بعد أن تعهد لهم أميرها بأن يدفع اليهم الجزية « وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم » .

على أنه كان هناك في عهد نصر بن سيار (٧٢٠ - ٧٣٠ م) خراج آخر غير الجزية وغير ذلك المقدار الذي نص عليه في معاهدة الصلح . يتبين ذلك من الخطبة التي ألقاها نصر بن سيار يوم الجمعة بالمسجد بعد أن عاد من غزواته بنواحي بلخ وبلاد ماوراء النهر والتي ننقلها بنصها عن الطبري (٢ : ١٦٨٨) :
« ألا إن بهرامسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أتقالهم على المسلمين . ألا إن إشبداد بن جريجور كان مانح النصارى . ألا إن عقيبة اليهودى كان مانح اليهود يفعل ذلك . ألا إنى مانح المسلمين أمنحهم وأدفع

عنهم وأجمل أتعابهم على المشركين . ألا إنه لا يقبل منى إلا توفى الخراج على ما كتب ورفع . وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم . فأيا رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك الى منصور بن عمر ، يحوله عن المسلم الى المشرك » .

ولم يكدهم على ذلك أسبوع واحد حتى وفد على نصر بن سيار ثلاثون ألف مسلم ممن كانوا يدفعون الجزية وثمانون ألف رجل من الكفار ممن أعفوا منها ، فضرب نصر الجزية على الكفار وأعفى منها المسلمين . ثم كتب نصر قائمة للخراج وفق هذا النظام الجديد ، « ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح » . وقد بلغ خراج مرو في عهد الأمويين مائة ألف درهم سوى ما كانت تغله عليهم ضريبة الأرض .

ويتضح لنا من تلك العبارة أنه كان بمرو ضريبة عقارية (الخراج) بجانب ضريبة الرءوس (الجزية) ، وهي جزء من تلك الضريبة التي نص عليها في عهد الصلح . ولا غرو فقد فرق نصر (بكلمة أو) بين المسلمين الذين ضربت عليهم الجزية وغيرهم ممن فرض عليهم الخراج .

ويمكن تفسير هذا إذا اعتبرنا أن الجزية (ضريبة الرءوس) التي كان يدفعها الكفار قد تحولت إلى خراج (ضريبة عقارية) على إثر تحول هؤلاء إلى الاسلام . على أن هناك أمراً آخر من الغرابة بمكان ، وهو إعفاء ثمانين ألف من الكفار من الجزية التي كانت الحكومة لا تألو جهداً في جبايتها منهم . ويمكن تعليل هذا بأن الكثيرين من غير المسلمين قد استطاعوا - بمعاونة أشياعهم في الدين - أن يتحولوا عن جزية الرءوس إلى ضريبة أخرى عقارية (خراج) ، هذه الضريبة التي كانت - بلا ريب - أخف احتمالاً من الجزية . على أن هناك فرضاً آخر لتعليل ذلك ، وهو أن الأرض التي تركها بعض الموالي (المسلمون من غير العرب) فراراً من ظلم بني أمية

قد مُنحت إلى غيرهم ممن آثروا البقاء على أن يدفعوا الخراج عنها .
ويفسر لنا اعتناق الكثيرين للإسلام تقصن خراج مرو الذي بلغ
٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم على إثر الصلح الذي أبرمه حاتم بن نغان (على ما رواه
البلاذري ص ٤٠٥ والطبري ١ : ٢٨٨٨) أو ١٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم ٢٠٠٠٠٠٠٠٠
جريب من القمح والشعير أو ١٠٢٠٠٠٠٠٠٠ مثقالا من الفضة على ما رواه
غيرها من المؤرخين) .

— ٢ —

الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية

(أنظر ص ٣٥) (ص ٧٠ من الترجمة)

يقول الشهرستاني (ص ١٠٣ سن ١٤ وما يليه) : « والذين اعتزلوا إلى جانب
فلم يكونوا مع علي رضي الله عنه في حروبه ولا مع خصومه وقالوا لا ندخل
في غمار الفتنة من الصحابة : عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن
مسلمة الأنصاري وأسامة بن يزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وقال قيس بن أبي حازم كنت مع علي في جميع أحواله وحروبه
حتى قال يوم صفين : اتفروا إلى بنية الأحزاب اتفروا إلى من يقول كذب
الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله فعرفت إيش كان يعتقد في
الجماعة فاعتزلت عنه » .

يقول حمزة الأصفهاني (طبعة Gottwaldt) ص ٢٤٧ وما يليها : « وصورهم
(يريد صور الأمويون العلويين) عند أعتام عرب الشام بصورة الخوارج
على أئمة العدل وقرروا عندهم أنهم شقوا العصا وأخرجوا أيديهم من الجماعة
وحاولوا انتزاع الإمامة من إمام وليعهد إمام (لعلها ولي عهد) طامعين في أن
يغضبوه على حق موروث جعله من تقدمه أولى به منهم حتى مال عليهم

أولئك الأعمام باللعن والافتراء وقالوا لهم تبا لكم من معشر مفارقين للسنة والجماعة عاصين لخليفة الله ثم غبروا قريبا من مائة سنة يحذرون الناس ناحيتهم يبعضونهم إلى النفوس ويتهونون عن ملابسهم والاختلاط بهم حتى أتاح الله لهم منير القلعة أبا مسلم صاحب الدولة فطهر منهم البلاد ونجى منهم العباد .
ويتبين لنا من مقارنة هذه العبارة بالتي قبلها أن رأى حمزة في الأميين وعواقفه المعتدلة نحوهم واعتباره إياهم ممثلين لجماعة المسلمين ، إنما يرجع إلى عاطفة وطنية طبيعية ، وأن الكثيرين من المسلمين في القرن الأول الهجري كانوا يشاطرون قيس بن أبي حازم رأيه في هؤلاء الامويين . أنظر ما ذكره صاحب الأغاني (ج ٦ ص ١٤١) في أول الدليل الثالث ، ثم الدليل الخامس (فيما يتعلق بموسى بن طلحة) .

— ٣ —

أسباب ثورة أهل إفريقية

الطبري ١ : ٢٨١٥

(أنظر ص ١١ ، ٣٧) (ص ٣٢ — ٣٣ ، ٧٢ — ٧٣ من الترجمة)

كان أهل إفريقية أكثر الولايات الإسلامية طاعة وخضوعا لبني أمية حتى خلافة هشام (بن عبد الملك) ، حيث اندس بينهم بعض الدعاة (١) الذين وفدوا عليهم من العراق ودفعوهم إلى الثورة ، فقطعوا أواصر الصلة التي كانت تربطهم بدار الخلافة ، ولا يزالون على ذلك إلى اليوم × .

(١) يحتمل أن يكون هؤلاء من الخوارج . أنظر أبا المحاسن (طبعة Juynboll

ج ١ ص ٣١٩ ، ٣٢٦)

× ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٩٤ أي قبل إعلان الجمهورية التركية وزوال الخلافة سنة ١٩٢٣ .

والى القارىء سبب هذا الانفصال :

طالما كان يرد هؤلاء البربر على الداعين الى الفتنة من دعاة العباسيين بقولهم : « إنا لانخالف الأئمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم . فقالوا لهم إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا لهم لانقبل ذلك حتى نبورهم (?) . نخرج ميسرة فى بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام فطلبوا الأذن فصعب عليهم . فأتوا الأبرش فقالوا أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فاذا أصاب نفلهم دوننا وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا لأننا لاناخذ منه شيئا ، إن كان لنا فهم منه فى حل ، وإن لم يكن لنا لم نرده . وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وأخر جنده ، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد فى الجهاد ومثلكم كفى اخوانه ، فوفيناكم بأنفسنا وكفيناكم .

« ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض لأمر المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة فى جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمر المؤمنين ، فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك .

« ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا هذا ليس فى كتاب ولا سنة ، ونحن مسلمون . فأحببنا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا . قال : (الأبرش) تفعل . فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم كتبوا أسماءهم فى رقاع ورفعوها الى الوزراء وقالوا هذه أسماءنا وأنسابنا ، فان سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه .

ثم كان وجههم الى إفريقية ، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية ، وبلغ هشاما الخبر وسأل عن النفر ، فرفعت إليه أسماءهم ، فاذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا . »

Cf. Dozy , Histoire des Musulmans d' Espagne, I. 34 suiv.



الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية

(أنظر ص ٣٧) (ص ٧٢، ٧٣ من الترجمة)

والى القارىء طرفاً من هذه الخطبة التى خطبها فى مسجد المدينة ،
أبو حمزة الخارجى من بلاد اليمن علّه يتبين منها ميول هؤلاء المنشقين
ووجهة نظرهم .

(الطبرى ٢ : ٢٠٠٩ ، والأغانى ج ٢٠ ص ١٠٤ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٠)
« أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا
بطراً ، ولا عبثاً ولا لهواً ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا نأثر
قديم نيل منا . ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عظمت ، وعنف القائل
بالحق ، وقتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً
يدعو الى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعى الله . (ومن لا يجب داعى
الله فليس بمعجز فى الأرض) . (القرآن الكريم سورة ٢٦ آية ٣١) .

« فأقبلنا معه قبائل شتى ، نفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم
يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون مستضعفون فى الأرض . فأنا والله وآيدنا
بنصره ، وأصبحنا والله بنعمته إخواناً .

« ثم لقينا رجالكم بقديد ، فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القرآن ،
ودعونا الى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان . فشتان لعمر الله ما بين
النبي والرشد . ثم أقبلوا يهرعون يزفون ، قد ضرب الشيطان فيهم بجراحه ،
وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظننه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب
بكل مهند ذى رونق . فدارت رحانا واستدارت رحام بضرب يرتاب

منه المبطلون

«يا أهل المدينة! من زعم أن الله تعالى كلف نفساً فوق طاقتها أو سأل عما لم يؤتها، فهو لله عدو ولنا حرب. يا أهل المدينة! أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوى على حبه للضعيف؛ نجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد، فأخذ جميعها لنفسه مكابراً محاربا لربه. ما تقولون فيمن عاونه على فعله؟»

«يا أيها أهل المدينة! بلغني أنكم تنتقصون أصحابي: قتلتم هم شباب أحداث وأعراب حفاة. ويلكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحداثاً شباباً؛ شباباً والله مكتهلون في شبابهم، غضية عن الثمر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم. قد باعوا الله عز وجل أنفوساً تموت بأنفس لا تموت. فقد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم؟»

«ولنأت أيضاً بما نقله صاحب الأغاني (ج ٢٠ ص ١٠٦) عن الخلفاء الراشدين ثم الأمويين:

«إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب وُبئ له فيه ما يأتي ويذر، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم وقد أدى الذي عليه، لم يدعكم من أمركم في شبهة. ثم قام من بعده أبو بكر، فأخذ بسنته وقاتل أهل الردة، وشمر في أمر الله حتى قبضه الله إليه، والأمة عنه راضون، رحمة الله عليه ومغفرته! ثم ولي بعده عمر، فأخذ بسنة صاحبيه وجند الأجناد ومصر الأمصار وجبي النبي فقسمه بين أهله، وشمر عن ساقه وحسر عن ذراعه وضرب في الحمر ثمانين. وقام في شهر رمضان، وغزا العدو في بلادهم، وفتح المدائن والحصون، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته! ثم ولي من بعده عثمان بن عفان، فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه، ثم

أحدث أحداً ، أبطل آخرتها أولها ، واضطرب جبل الدين بعدها ، فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسر كل رجل منهم سريرة أبقاها الله عنه ، حتى مضوا على ذلك .

« ثم ولي علي بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً ومضى . ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف طليق . فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجاً ودغلاً ، وعمل بما يشبهه حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل ! ثم ولي بعده ابنه يزيد الحمور ويزيد الصقور ويزيد القهود ويزيد الصيود ويزيد القروذ ، نخالف القرآن واتبع الكهان ونادم القرد وعمل بما يشبهه ، حتى مضى على ذلك ، لعنه الله وفعل به وفعل ! ثم ولي مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وابن لعينه ، فالعنوه وألعنوا آباءه . » ثم تداولها بنو مروان بعده أهل بيت اللعنة ، طردوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وقوم من اللقطاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين باحسان . فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، واتخذوا عباد الله عبيداً ، وبورث ذلك الأكبر منهم الأصغر . فياها أمة ما أضعفها وأضعفها ، والحمد لله رب العالمين !

« ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى ، قد نبذوه وراء ظهورهم ، لعنهم الله فالعنوه كما يستحقون . وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ، فبلغ ولم يكذب ، وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله ، ولم يذكره بخير ولا شر . ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ولم يؤانس رشده ، وقد قال الله عز وجل (فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) (القرآن الكريم - سورة ٢ آية ٥) ، فأمر أمة محمد في أحكامها ودمائها أعظم من ذلك

كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً يشرب الحرام ويأكل الحرام
ويلبس الحرام ، يلبس بردين قد حيكتا له وقومنا على أهلها بألف دينار
وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن
ضربت فيها الأبخار وحلقت فيها الأشعار ، واستحل ما لم يحل بعد صالح
ولا لني مرسل .

« ثم يجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامر الشيطان ،
ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصاً بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ،
وخالطت روحه ولحمه ودمه ، وغلبت سورتها على عقله ، مزق حلينته ثم التفت
إليهما فقال : أتأذن لي أن أطير ؟ نعم ! فطار إلى النار إلى لعنة الله حيث
لا يدرك الله » .

المهديون من غير آل البيت

(أنظر ص ٥٩ ، ٦٢) (ص ١١٦ ، ١٢١ من الترجمة)

روى ابن سعد حديثاً جاء فيه أن موسى بن طلحة هو المهدي المنتظر .
وقد أشرنا إليه عند كلامنا على المهرج . وإلى القارىء نص هذا الحديث
تقلاً عن ابن سعد (الطبقات ، God. Goth. 1748 f. 1082 suiv.) :
(عن) « خالد بن سمير قال : قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، فهرب منه
وجوه أهل الكوفة . فقدموا علينا هؤلاء البصرة وفيهم موسى بن طلحة
ابن عبيد الله ، وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي . قال فغشيه ناس من
الناس ، وغشيته فيمن غشيه ، فاذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل
الحزن والكآبة إلى أن قال يوماً : والله لأن أكون أعلم أنها فتنة لها انقضاء
أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر . فقال رجل من القوم :

يا أبا محمد ! ما الذي ترهب وأشد أن تكون فتنة ؟ قال : أُرهب الهرج .
قال وما الهرج ؟ قال : الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدثون : القتل بين يدي الساعة لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة
عليهم . وهو كذلك وأيم الله ، إن كان هذا لوددت أني على رأس جبل
لا أسمع لكم صوتا ولا أرى لكم داعياً حتى يأتيني داعي أبي . قال : ثم
سكت ، ثم قال : يرحم الله عبد الله بن عمر أو أبا عبد الرحمن ، إمام سماه وإمام
كناه . إني لأحسب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عهد إليه
لم يفتن ولم يتغير . والله ما استقر به قریش في فتنها الأولى . فقلت في نفسي
إن هذا ليزري على أبيه في مقتله قالوا وتحول موسى بن طلحة إلى الكوفة
ونزلها وهلك بها »

وقد ذكر ابن حجر (ج ٣ ص ٩٩٠ ، ٩٩٦) أن موسى بن طلحة هو
المهدى . كذلك ورد حديث الهرج في « الفائق » للزمخشري .
وقد جاء في تلك الأحاديث التي نقلها عن ابن سعد أن عمر بن عبدالعزيز
هو ذلك الرجل الذي سيملاً الأرض عدلاً .

(عن) « جويرة بن أسماء عن نافع قال عمر بن الخطاب : ليت من ذو الشين
من ولدي الذي يملأها عدلاً ؟ . (عن) نافع عن ابن عمر قال : كنت أسمع
ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة
يملأ الأرض عدلاً ؟ قال ابن عمر : إنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضى
حتى يلى هذه الأمة رجل من ولد عمر يسير فيها بسيرة عمر بوجهه شامة .
قال فكنا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة . قال حتى
جاء الله بعمر بن عبد العزيز وأمه أم عامر بنت عامر أم عمر بن الخطاب . قال
يزيد ضربته دابة من دواب أبيه فشجته . قال : فجعل أبوه يمسح الدم ويقول
سعدت إن كنت أشجع بني أمية . وأخبرنا عميد الله بن عبد المجيد الحنفي
قال ياعبد الجبار بن أبي معن قال : سمعت سعيد بن المسيب وسأله رجل فقال :

يا أبا محمد ! من المهدي ؟ فقال له سعيد أدخلت دار مروان ؟ قال : لا . قال
فأذن عمر بن عبد العزيز للناس فانطلق الرجل حتى دخل دار مروان فرأى
الأمير والناس مجتمعون . ثم رجع إلى سعيد بن المسيب وقال : يا أبا محمد !
دخلت دار مروان فلم أر أحداً أقول هذا المهدي . فقال سعيد بن المسيب وأنا
أسمع : هل رأيت الأشجج عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير ؟ قال نعم ! قال
فهو المهدي . (عن) مسامة بن عبد العزيز قال : سمعتُ العرزمي يقول : سمعتُ
محمد بن علي يقول النبي ما زال منا والمهدي من بني عبد شمس ولا نعلمه إلا
عمر بن عبد العزيز . قال وهذا في خلافة عمر بن عبد العزيز . أخبرنا مسلم بن
ابراهيم قال : حدثني أبو بكر بن الفضل بن المؤتمر العكي قال : حدثني أبو
يعقوب مولى لهند بنت أسماء قال : قلت لمحمد بن علي إن الناس يزعمون أن
فيكم مهدياً ، فقال إن ذلك كذلك ولكنه من بيت عبد شمس . قال كأنه
عنى عمر بن عبد العزيز .

أنظر الطبري (٢ : ١٣٦٢ س ١٢ وما يليه واليعقوبي طبعة Houtsma
ج ٢ ص ٣٦٩ س ٢) .

سليمان بن كثير والكفائية

كتاب المتقى الكبير للمقرزي مخطوط ، المكتبة الأهلية بباريس ،
ورقة ٨٠ ب .

وكان سليمان بن كثير الخزاعي من النقباء . فلما قدم أبو جعفر أخو أبي
العباس على أبي مسلم قال له : إنا كنا نحب تمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعمته ،
فاذا شتم قلبناها عليه . وكان محمد بن سليمان بن كثير خدasha فكره تسليم
أبيه الأمر إلى أبي مسلم . فلما ظهر أبو مسلم وغلب على الأمر قتل محمد ثم

أتى سليمان الكفّية وهم الذين بايعوا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج إليها، ويدخلون الجنة. ويقال إنهم أعطوا كنفاً من الخنطة فسموا الكفّية. وقال لهم: حفرنا نهراً بأيدينا بئاء غيرنا فأجرى فيه الماء، يعني أبا مسلم. فباع قوله أبا مسلم، فاستوحش منه وشهد عليه أبو تراب الداعية ومحمد بن علوان المروزي وغيرهما في وجهه بأنه أخذ عنقود عنب وقال اللهم سود وجه أبي مسلم كما سودت هذا العنقود واسق دمه. وشهدوا أن ابنه كان خداشياً وأنه بال على كتاب الأمام. فقال أبو مسلم لبعضهم: خذ به وألحقه بنحوارزم. وكذلك كان يقول لمن أراد قتله، فقتل سليمان ابن كثير.

ولم ترد هذه المعلومات الشائقة المفصلة وتلك النبذ الجزئية الصغيرة في كتب الكشّيرين من مؤرخي العرب. وقد انفرد المقرئى بذكر بعض شذرات منها في كتابه « النزاع والتناصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم » (طبعه Voss ص ٥٢). ومما يؤسف له أن المقرئى لم يشر إلى أى مصدر من المصادر التى نقل عنها تلك المعلومات. وليس بعيداً أن يكون المؤرخون المعاصرون للدولة العباسية قد حذفوا من كتبهم كل ما عساه أن يغض من شأن هذه الدولة، من تلك النبذ والخبار التى لم يعد يخشى المؤرخون المعاصرون للمقرئى فى ذكرها جانب العباسيين.

﴿ انتهى ﴾



فهرس الكتاب

١ - الفهرس العربي

الراوندية (٩٨) قتله خدasha داعي الخرمية	١
الاسرائيليات ١٠٧ - ١٣٥	ابراهيم بن عبد الله بن مطيع (١١٨)
آسيا الصغرى ٤٤	ابراهيم بن محمد (بن علي العباسي) ٩٧
الاشراقية - أنظر اللاءدرية	أبيورد ١٢٩
أشرس - والى بلاد ما وراء النهر ٥١ ،	الأترك ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٠ ،
٦٢ ، ٥٥ ، ٥٣ ، ٥٢	٧٢ ، ٦١
ابن الأشعث بن عبد الرحمن ٤٢ ، ٤٣ ،	أتومفا ١٣ (اعتناق أهلها الاسلام)
(خروجه على بني أمية) ، ٨١ ، ٥٧ ،	ابن الأثير ٣٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٦ ،
١٢٠ ، ١٠٩	أجتاي (المغولي) ٩
الأصبغ - عبد العزيز ١١١	الأحزاب ١٨
إصهبند ٤٧	أدرنة ١٠٠
اصطخر ٢٥ ، ١٢٠	إرتس - نهر ١٣
الأغاني - كتاب ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٧١ ،	أرنولد - الاستاذ المرحوم السير ٨ ،
٧٣ ، ٨١ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،	١٠ ، ١٣ ، ٨٦ ،
١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،	أزبك خان - زعيم القبيلة الذهبية ١٠
١٣٩ ، ١٤٢	الاستخراج (أو التكشيف) ٣٢
إفريقيه ١٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ (أسباب ثورتهم)	ابن اسحق ١١٨
الأفلاطونية ٧٥	أسد بن عبد الله - والى خراسان ٣٨ ،
الأكاسرة - أنظر آل ساسان	٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٨٧ ، ٩٧ (قتله)

الامام — الأمامية ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٨	بخارا خوده ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٨٧
(عصمة الأئمة) ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٠	البخارى ١١٦ ، ١١٧
(الامام الثاني عشر) ١٠٣ ، ١٣٨ ، ١٤٧	بخارى ٩ ، ١٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤
انتشار الاسلام ٦ ، ٨ ، ١٢ ، ١٦	٥٥ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٨٦ ، ١٣٢ (ثورة شريك)
انتشار الاسلام في أوروبا ١٠ — ١٤	بدر ٨٤
انتشار المسيحية والاسلام ٦ ، ١٤ ، ١٤	بذغيس ٤٦
الانجيل ١٢	أبو براء ١٧
أنس بن مالك ١١٨	براون ١٠٢
الانساب للبلاذرى ٥٤ ، ٥٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥	البربر ٧٢
الأنساب لاسمعاني ٩٥	بركة خان المغولى ٩
آنندا (حفيد كوبيلاى المغولى) ٩	بشرويه (بلاد الفرس) ١٠٠
إندوسكيث ٤٤	البصره ٥٦ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٩٣ ، ١١٦ ،
أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ١١٧ ، ١٤٤	
٨ ، ٧	بغداد ٨ ، ٩٦ ، ١٠٠
أوب — نهر ١١٣	البكتريان ٤٤
الأوس ٦	بكر — قبيلة ١٨
إيطاليا ١١	بكير بن ماهان ١٠٥
إيلياء ٧ ، ٢٠ ، ٣٥	البلاذرى ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،
	٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٢٧ ،
	٧٠ ، ٧١ ، ٨٠ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ،

ب

البابية ٩٧ ، ١٠٠ — ١٠١ (تاريخهم) ١٠٢	١٣٨
بازان — عامل كسرى على اليمن ٦ ، ٧	بلخ ٤٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٦
الباطنية ١٠٢ ، ١٠٣	بلال مؤذن الرسول ٨٣
البحرى (كتاب شرح المنهج) ٩٠	بلال بن عبد الله بن عمر ١٤٥

الترمذى ١١٧، ١١٩	البلدان لليعقوبى ١٣٤
تغشادة - أمير بخارى ٤٨، ٤٩، ٥٤	البلغار ١١
٨٧، ٥٥	بنيامين (بطريق القبط) ٢٠
تكودار احمد - خان المغول ببلاد	أبو البهاء ١٠١
الفرس ١٠، ٩	البهائية ١٠٠
تميم الدارى ١١٤	بهلول الخارجى ١٢٥
التنبؤ بالأشخاص والحوادث المعينة	البوذية - البوذيين ٨، ٩، ٨٢، ٨٣، ٩٧
١٠٧ - ١١٤ (مصير العالم) ١١٩-١١٤	بيت المال ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥
التنبؤ برجعة عيسى ١١٩	٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٩، ٥٠، ٥٣
التنبؤ والاشراف للمعمودى ١٢٠، ١٣٠	٥٩، ٥٨، ٥٥، ٥٤
ثيودوسيس ٨٢	بئر معونه ١٧
التوراة ٧٥، ٨٢، ١٠٧	البيزنطية - الدوله ٧، ١٠
التوقف ٧٩	

ث

ثابت قطنه - ثورته فى خراسان ٦٠-٦١

ج

جذيمة ١٥
الجراح - والى بلاد ما وراء النهر ٥١
جرجان ٢٣
جزيرة العرب - أنظر بلاد العرب
الجزية - أنظر الخراج
جعفر الصادق ١١٣
بلاد الجزيرة ٢٩، ٧٢، ٧٤، ٩٣

ت

تأنجوت - ولاية ٩
التأويل ٨٨
التبت ٨٢
تبلسك ١٢
تبيع - ابن امرأة كعب الأخبار ١١١
التتار - أو المغول - انتشار الاسلام
بينهم ٨ - ١٤، ٨٦
تجيك ٤٤، ٤٥
التركستان ١٢، ٤٤، ٤٥، ٨٢
ترمذ ٦٣

الخره - موقعة ١١٨	جنگيزخان ٨
حروراء ٧١ ، ٧٤ ، ٩٣	الجنيد - والى خراسان ٦٢
حزب - أحزاب ٦٨ (حزب أهل	أبو جهل ٨٣
جهم بن صفوان - أحد رؤس المرجئة السنة) .	
١٠٤ (الحزب الخراساني)	٦٥ (رأيه في الأيمان) ، ١٠٨
حزب بنى أمية ٦٩ ، ٧٠	٢ جوزجان ٤٦
حزب الخوارج ٦٨	جو شنخ ١٢٩
حزب الشيعة ٦٨	جولدزبهر ٣٧ ، ٣٨
الحسين بن الحسن بن علي ١٣٣	جيفويه ٤٦
الحسن بن علي ٨٠	
الحسين بن علي ٨٠ ، ١١١	ح
ابن عبدالحكم ٢٧	الحارث بن سريج ٦٠-٦٧ (ثورته في
١١١ ، ١٠٤ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٧٢ ، ١١١	خراسان) ، ٧٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١١١
الرضاع ٨٥	١٢٦ ، ١٢٥
حمزة الاصفهاني ١٣٨ ، ٥٤	الحارث بن عبيدالله الجعدي الشاعر ١٢٢
أبو حمزة الخارجي ١٢٥ ، ١٤٠	حبابه - مغنية يزيد بن عبدالمك ١٤٤
الحميمة ٩٣	الحبش - الاحباش ١١٦
ابن حنبل - الامام ٩٠	الحجاج بن يوسف الثقفي ٢٥ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٤
ابن الحنفية - محمد ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩١	٤٣ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٠٩
(انكاره ما نسب اليه من احاطته	١٣٢ ، ١١٢
بعلوم ما وراء الطبيعة)	الحجاز ٧١ ، ٨٤ ، ١٠٩
أبو حنيفة - الامام ٩٨	ابن حجر العسقلاني ٨٦ - ، ١٤٥
أبو حنيفة الدينوري ١٢٩	الحديبية - صلح ١٨ ، ٨٥ ، ٩٥ (شجرة
الحيثيون ٤٤	الحديبية) .

ابن خرداذبة ٤٢	الحيرة ٩٨
الخرمية ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ (اشتقاق)	خ
الاسم) ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٠	خالد بن عبد الله القسري - والى العراق ٣٢
خزاعة - قبيلة ١٨	خالد بن الوليد ٦ ، ١٥ ، ١٦
الخزر ٤٦	خالد بن يزيد بن معاذ ١١٩
الخزرج ٦	اُختل ٤٦
الخطط للمقريزي ٦٥ ، ٧٠	ختلان ٤٦
الخليفة ٣١ ، ٧٤ ، ٧٩	خداش (داعي الخرمية) ٩٨ - ٩٩
ابن خلدون ١٠٩ ، ١٢٤	١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥
الخلفاء الراشدون ٧ (معاملتهم لأهل	الخراج ١٥ ، ٢٠ ، ٢٦ - ٣٤ ، ٣٥
الذمة) ٦٨ ، ١٢٢	٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩
ابن خلكان ٩١ ، ١١٨	٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٧٣ (تطور النزاع
الخوارج ١٤ (حزبهم) ١٩ ، ٧١	بين الأمويين والموالي) ١٣٠ ، ١٣٦
(قضاء عبد الملك على ثورتهم) ٧٢ ،	١٣٧ - ١٣٨ (مرو)
٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٢	الخراج - كتاب أبي يوسف ٢٩ ، ٣٢
(في آخر الدولة	(نظام الأمويين في جبايته) ٣٤ ، ١٠٥
الأموية) ،	خراسان ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٤ -
خوارزم ١٤٧	٥٦ (الحالة في) ، ٥٨ ، ٦٠ - ٦٧ (ثورة
خوذةستان ٣٠	الحارث بن سريج) ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ -
د	٩٤ (وصف ابن الفقيه الجغرافي لاهله)
	٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٨
دار الاستخراج - انظر الاستخراج	١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ -
دار الندوة ١٦	١٣٨ (الشؤون المالية واصلاحات نصر
أبو داود (كتاب السنن) ١١٦ ، ١١٧	ابن سيار) .

١٢٦ ، ١١٩	
الدجال ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ -	
١٢١ (ظهوره)	أبو ذر الغفاري ٢٢
دجله ١١٢	أهل الذمة ٣٧
دحية بنت الأصمغ بن عبد العزيز	
الأموي ١١١	
الدردير - صاحب كتاب الشرح	رأس الجالوت اليهودي ١١١
الكبير ٩٠	رافع بن الليث ١٣٢ (خروجه على
الدعاية الاسلامية للمرحوم السير	العباسيين) ،
توماس أرنولد ٨	الراوندية ٨١ ، ٩٦ ، ٩٧ - ٩٨
الدعوة - الدعاة ٧٩ ، ٩٢ (الدعوة	عقيدتهم وعبادتهم أبا جعفر) ١٠٢ ، ٩٩
الهاشمية في العراق) ٩٣ ، ٩٤ (اضطهاد	رُتبيل - أمير سجستان ٤٦ ، ٢٥
ولاية خراسان للدعاة) ٩٤ - ٩٥ (أثر	الردة ٥ ، ٨٤ ، ٨٧ - ٩٠
الدعاة العباسيين) ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،	الرجعة ٧٩
١٠٣ - ١٠٥ (انتقال الدعوة العباسية	بنو الرجيع - سرية ١٧
إلى خراسان) ١٢٧ ، ١٣٩	رستاق - رساتيق ٣٠ ، ٢٥
دمشق ٢١ ، ٢٣ ، ٧١ ، ٩٣	ابن رسته ٧٠ ، ٨٠
دينار - أمير نهاوند ٢٦	الرشيد ١٣٢
الدينوري ٩٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩	رضوى - جبل ٨١
دهقان - دهاقين ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨	الرسول - انظر محمد صلى الله عليه وسلم
٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٢	روب ٢٦
٦٣ ، ١٣٠ ، ١٣٦	الروسيا ١١٩ ، ١٣
الديوان ٣٨	الروم ، الرومان - بلاد ١٤ ، ١٩ ، ٢٥
ديوان التزددق ٧١ ، ٨١	٢١ ، ٨٦

سعد بن أبي وقاص ١٣٨.٦	رومة ٢٢
سعد بن عثمان ٢٣	الري ١٣١
سعيد بن المسيب ١٤٥، ١٤٦	
السفد ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٦١	
السفاح ١٣١، ١٣٢، ١٤٦	
أبو سفيان ٨٤ - ٨٦ (حديثه مع هرقل) ٩٣، ١٢٠	
سفيدنج ٩٥، ١٢٧	
سلامة - مغنية يزيد بن عبد الملك ١٤٤ بنو سليم ١٧	
سليمان بن عبد الملك ٤٣، ٧١	
سليمان بن كشير ٩٥، ١٠٣، ١٠٤	
١٠٥، ١٤٦	
السمعاني (صاحب كتاب الأنساب) ٩٥	
سمرقند ٢٣، ٢٤ (شكواها من معاملة العرب) ٤٦، ٥٢، ٥٤، ٦١، ٦٦، ٨٦	
سمنجان ٤٦	
سميه أم عمار بن ياسر ٨٣	
السنن لأبي داود ١٢٦	
بنت سهم ١٢٠	
السواد ١٩، ٢١، ٢٦، ٣٩، ٤٤	
٥٠، ٧٥، ١٢٤ - ١٢٧، ١٢٩	
سورية ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٥	
٣٩، ٦٢، ٦٨، ٧١، ٩٣، ١٠٠	
	الزبير بن العوام ٦، ٧١، ١١٦
	زردشت ١٥، ٧٥، ١٣٠
	الزحشري (الفائق) ١٤٥
	زنار - زنابير ٣٤
	زهر الآداب ١١٨
	زياد بن غنم - والي الجزيرة في عهد عمر
	ابن الخطاب ٢٩
	زيد بن علي ١١٣
	س
	آل ساسان ٤٧، ٥٠، ٦٣
	ابن سبأ - السبئية ٧٩ - ٨٠ (عقيدتهم)
	٨١ (الفرق بين عقيدة السبئية والكيسانية) ٨١، ١٠٢
	السبل ٤٦
	سجستان ٤٦
	سرخس ٤٧، ١٢٩
	سرية - سرايا ١٦
	سرية بني الرجيع ١٧
	ابن سعد صاحب الطبقات ٢٨، ٩١
	١١٦، ١٤٤

صحيح البخارى ١٢٠، ١١٦، ٨٦
صحيح مسلم ١١٨، ١١٧
أبو صخر الهذلى الشاعر ٧٠
صفين ١٣٨، ١٢٦
صليب - صلبان ٦٥، ٨، ٧
أبو الصيداء - والى بلاد ما وراء النهر
١١٨، ١١٧، ٦١، ٦٠، ٥٣، ٥٢
الصين - الصينيون ١٠٨، ٨٢، ٤٦، ٤٨

ض

الضحاك بن عبد الرحمن - والى بلاد
الجزيرة فى عهد عبد الملك ٢٩
الضريبة - الضرائب ٤٣، ٤٢، ٢١
٤٩، ٥٠، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٦
١٣٧، ١٣٦، ١٣٠
الضريبة العقارية ١٣٧، ٢٠

ط

الطالقان ٤٦، ١٢٩
طالوت - نهر ٧٧
الطائف ٦
طبرستان ٧١، ٢٣
الطبرى ٢٣، ٢٢، ١٩، ١٧، ١٥، ٧
٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١

١٣٨، ١٣٤، ١٢٢، ١١٨
صيريا ١٣، ١٤
سيحون - نهر ٦٢، ٥٢
سيمون المجوسى ٧٥

ش

الشافعى - الامام ٩٠
الشام : بلاد - أنظر سورية
شبيب بن على - أحد أنصار على ٩٥
شريك (ثورته ببخارى) ١٣٢
شمس الدين السرخسى (صاحب كتاب
المبسوط) ٨٩
الشهرستانى ١٣٨، ١٣١، ٩٠، ٨١، ٨٠
الشورى - أهل ٩٥
شيوخه - كبرى فارس ٧
الشيعة ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٤ - ٧٩
(عقائدهم) ٧٩ - ٨٩ (طوائفهم الغالية)
٩٠ - ٩٥ (الشيعة الهاشمية) ١٠٠، ١٥٠
١٢٢، ١٢٨

ص

الصابئة ٩٦
صاف بن صائد - أنظر أبا الصيداء
صبح الاعشى للقلشندى ٩

عبد الرحمن بن عوف ٦	٤١، ٣٩، ٣٨، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٢
عبد الله بن الزبير ٧١	٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٤
عبد الله بن سعد بن مروح ٢٦	٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٥، ٥٣
عبد الله بن العباس ٩٣، ١١٤	٨٠، ٧٨، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩
عبد الله بن عمر ١٣٨، ١٤٥	١٠٢، ٩٨، ٩٧، ٩٥، ٩٤، ٩١، ٨٦
عبد الله بن يحيى الخارجي ببلاد اليمن ٧٣	١٣٥، ١٣٤، ١٣٢، ١١١، ١٠٥، ١٠٤
عبد الملك بن مروان ٢٩، ٣٢، ٤١	١٤٦، ١٤٥، ١٣٦، ١٣٢، ١٢٨، ١٢٦
٧٠ (في نفاذ الحزب الأموي) ٧١، ١٢٣، ٩٣	الطبقات الكبير لابن سعد ٩١، ١١٦ طخارستان ٢٣، ٤٦، ٦٢، ١٢٩
عبيد الله بن زياد والى العراق ٣١	طلحة بن عبيد الله ٧١، ١١٧
عثمان بن عفان ٦، ٢٥ (مقارنة عهده بعهد عمر) ٢٧ (خراج مصر في عهده)	طهران ١٠١ طوس ٤٧، ١٢٩
١٤٢، ٧٩، ٧١، ٧٠، ٦٨، ٦٤ ٧١ (العثمانية البصرية) ٧١	ع
العراق ١٨، ٢٤، ٣٩ (الضرائب الاستثنائية) ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٧٢، ٧٤، ٩٣، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٢، ١٣٤، ١٣٩	ابن عابدين (صاحب حاشية رد المختار على الدر المختار) ٩٠ عاصم بن عبد الله - والى خراسان ٦٢ عامر بن الطفيل ١٧ العباس بن عبد المطلب عم النبي ٩٢، ٩٧، ٩٣
العرب - بلاد ٦، ٩، ١٤ (موقفهم حيال الرسول) ١٦ - ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٦، ٧٤، ٨٨، ٩٣، ١٢٢ -	العباسيون ٨ (خلافتهم) ٦٩، ٩٥ (تنظيم دعوتهم) ١٢٧ - ١٣١ (قيام دولتهم) ١٣٣، ١٤٠ عباس بن الوليد الشاعر ١٤٣

- ١٣٥ (علاقته بموالي) ، ١٣٦ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ،
١٣٨ ، ١٣٧
عدي بن أرطاة ٢٨
العزى ٨٣
العشر ٢٨
العطاء ١٧ ، ١٩ (شرح اللفظ) ، ٣٨ ،
٤٠ ، ٣٩
العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٢ ، ٣٧ ،
٣٨ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٦ ،
عكاه ١٠٠ ، ١٠١
علاج - أعلاج ٣٦ ، ٩٣
العلويون ٣٩ ، ١٣٨
علي بن أبي طالب ١٦ ، ٣٩ ، ٦٤ ، ٦٨ ،
٧٠ (تكنيته أباتراب) ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
علي بن عيسى ١٣٢
عمار بن بن ياسر ٨٣
عمدة القاري (شرح البخاري للعيني) ٨٦
عمر بن الخطاب ٧ (أمانه لأهل ايلياء)
١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ (عهده لأهل
ايلياء) ، ٢٥ ، ٢٦ (نظام الضرائب) ، ٢٧ ،
٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
غزة ٨٤
غزوة - غزوات ١٦
غزوة بني حليان ١٧
غزوة الخندق ١٧ ، ١٨
غطفان ١٨
غنيمة - غنأم ٤٩
غوزك - أمير السغد ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣

الغيبة ٧٩، ١٠٠ (الغيبة الصغرى) الفي ٤٠٤، ٤١٤، ٤٢٢

ق

ف

القادسية ٢٥	فارس - بلاد ٧، ١٤، ١٥، ١٨، ٢٨
قانسوه - ولاية ٩	٣٠، ٤٤، ٤٥، ٦٢، ٧٥ - (عقائد) ٧٦
القبط ٢٠، ٢٧، ١١٢	الفرس القديمة (، ٨٢، ٨٨، ٩٧،
القبيلة الذهبية ٩	١٠٠ - ١٠١، ١٠٣، ١٢٠
ابن قتيبة ١١١، ١١٢	الفارسية ٨٢
قتيبة بن مسلم ٢٣، ٥٤، ٩٣	فالتيان ٨٢
القرغيز - في آسيا الوسطى ١٢ (محولهم إلى الاسلام).	فتح الباري (شرح البخاري) لابن حجر العسقلاني ٨٦
القرم ١١	فتوح البلدان للبلاذري ٢٣، ٣٨،
بنو قريظة ١٨	١٢٥، ١٣٦
قريش ١٦٤، ١٨، ٨٣ - ٨٤ (اضطهاد	الفرزدق ٧١
المستضعفين من المسلمين) ١٠٦،	الفرس ٣١، ٧٥، ٨٢ (ديانتهم)،
قزان ١٣	١٠٢، ١٣٠
القضاء ٢٠	فرغانة ٤٦
قطري بن الفجاءه الخارجي ٧١ (وفاته بطبرستان) ٧٧،	الغرياب ٤٦
قحطان - قحطاني ٩٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢	ابن الفقيه ٧١، ٩٢، ٩٣
قحطبة - أحد النقباء ١٠٤	فلاديمير - ملك روسيا ١١
القسطنطينية ١٠٠	الفلجا - نهر ١١
قلاوون - سلطان الماليك في مصر ٩، ١٠،	فلسطين ٩٣
القلقشندي ٩	الفهرست - لابن النديم ١٢٠، ١٣١،
	فون كريم ٢٧، ٢٩، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٤،

- قوهستان ٤٧
قيس بن أبي حازم ١٣٨ ، ١٣٩
- الكوفة ١٢ ، ٤٠ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥
٧٧ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ،
١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٤
- الكيسانية ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ (عقيدتهم) ٨١
(الفرق بين عقيدتي السبئية والكيسانية) ،
٩٦ (مذهبهم) ١٠٢
- كابل ٤٧
كاترين الثانية — ملكة روسيا ١٢
الكامل للمبرد ٧٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦
ابن أبي كبشة — أبو الرسول من
الرضاع ٨٥
كتاب البابا يوحنا الثاني إلى أزبك
خان ١١ .
- كتاب الرسول إلى كسرى ٦
كثير عزة ٨١ ، ٩١
كربلاء ١١١
الكردي — الأكراد ٢٨
كش ١٢٩
كعب الأحبار ١١٤
كرغز — والى بلاد فارس ٩
الكفّية — وأهل الكف ١٢٧-١٢٨ ،
١٤٦ ، ١٤٧
- المأمون العباسي ١٣٢ ، ١٣٣
المانوية (الثنوية) ٧٥ ، ٨٢ ، ٩٦
ماوراء النهر ٢٣ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ١٢٦ ، ١٣١
- المبرد — صاحب الكامل ١٢٤ ، ١٢٦
المثلة ٣٤
المجوسية ٨٢ ، ١٣٦
أبو المحاسن ١٢٠ ، ١٣٩
محمد رسول الله ٦٥ ، ٦٥ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ،
١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٧
- ك
ل
م

١٢٩ ، ١٢٧ ، ٤٧ ، ٤٦	مروروذ	٩٢ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨٠
١٠١	مزدك - المزدكية	٩٥ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٥
١٢٨ ، ١٢٠ ، ٢٥ ، ٢٢	المسعودي	١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥
١٢٧ ، ٦٧ ، ٥٤	أبو مسلم الخراساني	١١٤ ، ١١٥
١٢٩ ، ١٢٨	(تفريقه بين جنود الأمويين)	محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس
١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩	(عقيدة الفرس)	الزكية) ١٣٣
١٤٧ ، ١٤٦	(فيه)	محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ٩٣ ،
١١٧ ، ١١٥	المسيح الدجال	٩٨ ، ١٠٥
١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٥	المسيحية - المسيحيون	محمد بن مسلمة ١٣٨
١٣٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١١ ، ٦٥ ، ١٤ ، ١١	مصر	المختار بن أبي عبيد ٤٠ ، ٤١ ، ٧٥ ،
٢٧ ، ٢٦ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٨ ، ٧	(خراجها في عهد عمرو بن العاص)	٨١ ، ٨٤ .
٢٨	(في نظر الخلفاء الأمويين)	المرجئة ٦٤ (عقائدهم) ، ٦٥ (في
١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٩ ، ٩٤ ، ٦٢	المضرية	خراسان) ٦٦ ، ٧٣ ، ٩٥
٥٨ - ٥٧	مطرف بن المغيرة بن شعبة	أبو مخنف - المؤرخ ١٢٠
	(ثورته في بلاد العراق)	المدينة المنورة ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ١٧ ،
١١١ ، ٨٠	المعارف لابن قتيبة	١٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٧ ،
١٩	المعاون (شرح اللفظ)	١٤١ ، ١٤٢
٢٧	معاوية بن أبي سفيان	مرو ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٢٧ ،
٦٤ ، ٥٤ ، ٤٢ ، ٣٠	واليه على مصر)	١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٨
١٤٣ ، ٧٣ ، ٧١ ، ٧٠		مروان بن الحكم الأموي ٤٠ ، ٧١ ،
١٠٩ ، ٨٣	معجم البلدان لياقوت	٩٣ ، ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٦
	المغول - أنظر التتار	مروان بن محمد الأموي ١١٣ ، ١١٤ ،
٣٠	المقاسمة - نظام	١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤١
		المروانية ٧١

المهرجان ٤٨ ، ٣٠	المقتدر العباسي ١١
المهلب بن أبي صفرة ٢٤	المقدسي ٩٢
الموالي ٣٥ — ٣٨ (حالتهم الاجتماعية)	مقدمة ابن خلدون ١٠٩ ، ١١٣ ،
٣٧ — ٤٤ (حالتهم السياسية) ٥١ ، ٥٥	١٢٦ ، ١٢٤
٥٦ — ٦٠ (حالتهم في عهد عمر بن	المقرئزي ٢٧ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ١٠٥ ،
عبد العزيز) ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٦	١٢٨ ، ١١٤
١٠٩ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٢ — ١٣٥	المقفي الكبير للمقرئزي ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٢٨
(علاقتهم بالعرب)	المقنع ١٣٢ (خروجه على العباسيين)
موسى بن خازم ٢٤	المقوقس ٢٠ ، ٧
موسى بن طلحة بن عبيدالله ١١٧ ،	مكة المكرمة ١٥ ، ١٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١
١٢١ (تلقب به بالمهدي) ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥	٨٣ ، ٩٤
المولوية ١٢ ، ١٣	ابن ملجم ٧٩
ميديا ١٩ ، ٣٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦	ملحمة — ملاحم ١١٢ ، ١١٣
ميرزا محمد علي الشيرازي (مؤسس	المنذر بن عمرو ١٧
البايية) ١٠٠	المنصور العباسي ٩٦ ، ٩٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
	١٤٦
ن	منصور بن عمر بن أبي الخرقاء (عامل
	الخراج في عهد نصر بن سيار) ١٣٧
نجد ١٧	منى ٨٣
الترشخي صاحب كتاب وصف بخاري	المهدي المنتظر ٦١ ، ٨٢ (شرح اللفظ)
٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥	١٠٩ ، ١١٤ ، ١٢١ (تعريف الاسم)
٤٦ نرك طرخان	١٢١ — ١٢٦ (عقيدة المهدي وأثرها
١٢٧ ، ١٢٩	في سقوط الأمويين) ١٢٣ ، ١٢٦ ،
١٢٩	١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٤ — ١٤٦ (المهديون
النصاري — أنظر المسيحيين	من غير آل البيت) .

نصر بن سيار - والى خراسان ٤٨	٤٨
٤٩ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨	٤٩ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨
١٣٦ ، ١٣٨ (اصلاحاته)	١٣٦ ، ١٣٨ (اصلاحاته)
التصيرية ٩٧	التصيرية ٩٧
بنو النضير ١٦	بنو النضير ١٦
تقيب - تقباء ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥	تقيب - تقباء ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
نلدكه ٤٥	نلدكه ٤٥
نهاوند - موقعة ١١٨	نهاوند - موقعة ١١٨
النيروز ٣٠	النيروز ٣٠
ه	ه
الهاشمية (أنصار أبي هاشم بن محمد بن	الهاشمية (أنصار أبي هاشم بن محمد بن
الحنفية) ٨١ ، ٨٢ (عقيدتهم) ٩٠ ، ٩١	الحنفية) ٨١ ، ٨٢ (عقيدتهم) ٩٠ ، ٩١
٩٢ (العراق مهد دعوتهم)	٩٢ (العراق مهد دعوتهم)
هذيل - ديوان ٧	هذيل - ديوان ٧
هراة ٤٥ ، ٤٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٦	هراة ٤٥ ، ٤٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٦
الهرج ١١٥ (إطلاق اللفظ) ١١٦ ، ١١٧	الهرج ١١٥ (إطلاق اللفظ) ١١٦ ، ١١٧
١٤٥	١٤٥
هرقل ٧ ، ٨٤ - ٨٦ (حديثه مع	هرقل ٧ ، ٨٤ - ٨٦ (حديثه مع
أبي سفيان)	أبي سفيان)
الهرمزاني ٨٨	الهرمزاني ٨٨
ابن هشام ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١١٣	ابن هشام ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١١٣
هشام بن عبد الملك ٥١ ، ٦٠ ، ٦٢	هشام بن عبد الملك ٥١ ، ٦٠ ، ٦٢
١١٨ ، ١١٣ ، ١٧٧	١١٨ ، ١١٣ ، ١٧٧
الهند - الهنود ٨٢ ، ١٠٨	الهند - الهنود ٨٢ ، ١٠٨
هند بنت أسماء ١٤٦	هند بنت أسماء ١٤٦
و	و
واسط ١١٢	واسط ١١٢
الوثنية - الوثنيون ١٢ ، ١٣ ، ٨٢	الوثنية - الوثنيون ١٢ ، ١٣ ، ٨٢
وردان - والى مصر في عهد معاوية ٢٧	وردان - والى مصر في عهد معاوية ٢٧
ورقة بن نوفل ٨٣	ورقة بن نوفل ٨٣
وصف بخاري للرشخي ٤٨	وصف بخاري للرشخي ٤٨
الوليد بن عبد الملك ٤١ ، ٤٣ ، ٥٤	الوليد بن عبد الملك ٤١ ، ٤٣ ، ٥٤
١٢٤ ، ٧١	١٢٤ ، ٧١
وهب بن منبه ١١٤	وهب بن منبه ١١٤
ي	ي
ياسر - أبو عمار ٨٣	ياسر - أبو عمار ٨٣
ياقوت الحموي ١٠٩	ياقوت الحموي ١٠٩
يثرب ١٦	يثرب ١٦
اليرموك ٢٥	اليرموك ٢٥
يزيد بن عبد الملك ٦٩ ، ١١٢ ، ١٤٥	يزيد بن عبد الملك ٦٩ ، ١١٢ ، ١٤٥
يزيد بن معاوية ٧٩ (إباحة الحرم	يزيد بن معاوية ٧٩ (إباحة الحرم
المكي) ٧٠ ، ١٤٣	المكي) ٧٠ ، ١٤٣
يزيد بن المهلب ٢٤ (ثروته) ٢٥ ،	يزيد بن المهلب ٢٤ (ثروته) ٢٥ ،
٤٢ ، ٦٠ ، ٦٥	٤٢ ، ٦٠ ، ٦٥
اليعقوبي ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣	اليعقوبي ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣
٣٩ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٩١ ، ١١٣	٣٩ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٩١ ، ١١٣
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤٦	١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤٦

١١٨ ، ١١٧ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ١١١	اليمين — الجمانية ٦ ، ٧ ، ٢٨ ، ٦٢ ، ٦٣
١٤٠ ، ١٣٦ ، ١٢١	٦٣ ، ٦٨ ، ٧٣ (خروج عبد الله بن يحيى) ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١
١٣٢	١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩
٧٧ ، ٣٢	اليهود — اليهودية ٨ ، ٩ ، ١٦ ، ١٨ — (تآمرهم على قتل الرسول) ، ٦٥ ، ٧٥ ، ١٢٥
٢٣ ، ٢٩ ، ٢٨	٧٧ ، ٨٨ ، ٩٥ (مجلس الحواريين) ، اليونان — بلاد ١١



٢ — الفهرس الأفرنجي

A

Das Arabische Papier (Karabacek): 28, 34.

Arnold (Sir Thomas) (The Preaching of Islam): 8, 10, 11, 12, 86.

B

The Babis of Persia (Journal of the Royal Asiatic Society): 101.

Biblioth. (Yeog): 129.

Breschneider: 63.

Browne: 99, 100, 101.

Die Burgen und Schlösser Sid Arabiens (D.H. Müller): 120

C

Casel (Encycl.): 76.

Chretomathie Arabe (De Sacy): 14, 124.

Chresomathie Persane (Schefer): 48 58.

Crania Ethica (Quatrefages et Hamy): 45.

Culturgeshichte des Orients (Von Kremer): 19, 27, 29, 37, 38, 42, 58.

D

Darmesteter (ames): 109.

Description de Bokhara (Nerhaki): 23 45

Dozy: 28, 37, 111, 114, 140.

Drummond: 109.

E

Edersheim (Life and Times of Jesus the Messiah): 10

Encycl. (Cassel): 76.

Encycl. (Larousse): 76.

Encyclopaedia Britannica: 45.

Ethnographie de la Perse (Khanikoff): 45.

Exposition de la Religion de Druses (De Sacy): 99.

F

Fragmenta historicorum arabicorum, 29, 43, 72, 92, 93, 105, 113, 130.

G

Geschichte der Perser und Araber (Nöldeke): 45, 102.

Geschichte d. herchenden Ideen (Von Kremer): 22, 39, 41.

Geschichte des Khalifen (Weil): 22, 57, 98, 124.

Gobineau: 97, 96, 101.

De Goeje: 109.

Goldziher: 37, 70, 71.

H

Haarbrücker: 80

Hamaker: 124, 125.

Herbelot (Bibliotheca Orientali): 98.

Histoire des Musulmans d'Espagne (Dozy): 28, 37, 140.

I

Der Islam in Morgen und Abendland (Müller): 58, 98, 99

Islamische Studien (Goldziher) 37.

J

The Jewish Messiah (Drummond): 109.

Journal asiatique : 45, 62, 81, 105, 114.

Journal of the Royal Asiatic Society (The Babis of Persia) : 101.

K

Karabaceck (Das Arabische Papier) : 28, 34.

Khanikoff (Ethnographie de la Perse) : 45.

Kuenen : 109.

L

Larousse (Encycl.) : 76.

Legatum Warnerianum : 3.

Life and Times of Jesus the Messiah (Edersheim) : 109.

M

Der Mahdi (Snouk Hurgronje) : 78, 109.

Le Mahdi depuis les origines de l'Islam jusqu'à nos jours (James Darmesteter) : 109.

Mémoires de la Société Russe d'archéologie : 130.

Mémoires sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides (De Goeje) : p. 109.

Mouradja d'Ohsson : 125.

Müller : 58, 98, 99 120.

N

Nerchakhi (Description de Bokhara) : 23, 45.

The New History of the Bab (Browne) : 101.

Nicholson (Literary History of the Arabs) : 89.

Nöldeke (Geschichte der Perser und Araber) : 45.

O

Opkomst der Abbasiden in Khorasan : 1, 38, 40, 61, 103, 110, 124.

P

The Preaching of Islam (Sir Thomas Arnold) : 8, 10, 11, 12, 86.

La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers Khalifes (Van Berchem) : 19.

Q

Quatremère : 62, 105, 110.

Quatrefages et Hamy (Crania Ethica) : 45.

R

Réflexions critiques pour servir de réponse aux éclaircissements de M. Hammer (Hamaker) : 124.

Register geneal. Tabel (Wüstenfeld) : 111.

Religion et Philosophie dans l'Asie Centrale (De Gobineau) : 101.

Religion of Israel (Kuenen) : 109

S

De Sacy : 99, 114, 124

Schefer : (Chrestomathie Persane) : 24, 48

Selecta Historiae Halebi : 97, 120.

Snouck Hurgronje (der Mahdi) : 78, 106.

Specht : 45, 53.

Sprenger (Das leben und lehre des Muhammad): 95, 116.

Streifzuge auf dem gebiete des Islams (Von Kremer): 26, 36, 37, 43, 44, 124.

T

Tableau de l'Empire ottoman (Mouradja d'Ohsson): 125.

Theophilos: 97.

Trois ans en Asie (De Goblneau): 97.

U

Ueber die länderverwaltung unter dem Khalifate (Von Hammer): 27, 28.

V

V. Giet (l'Art Arabe): 70.

Van Berchem (La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers khalifes): 19, 40, 48.

Van Gelder (Mokhtar): 37, 80.

Von des Revue Coloniale Internationale: 109.

Von Hammer (Ueber die länderverwaltung unter dem Khalifate): 27, 28.

Von Kremer: 22, 26, 36, 38, 39, 41, 58, 134.

W

Weil (Geschichte der Khalifen): 22, 57, 80, 98, 110, 124.

Wellhausen: 70.

Wüstenfeld: 111.

Y

A Year Amongst the Persians (Browne): 99.

Yeog. (Biblioth.): 129.

Z

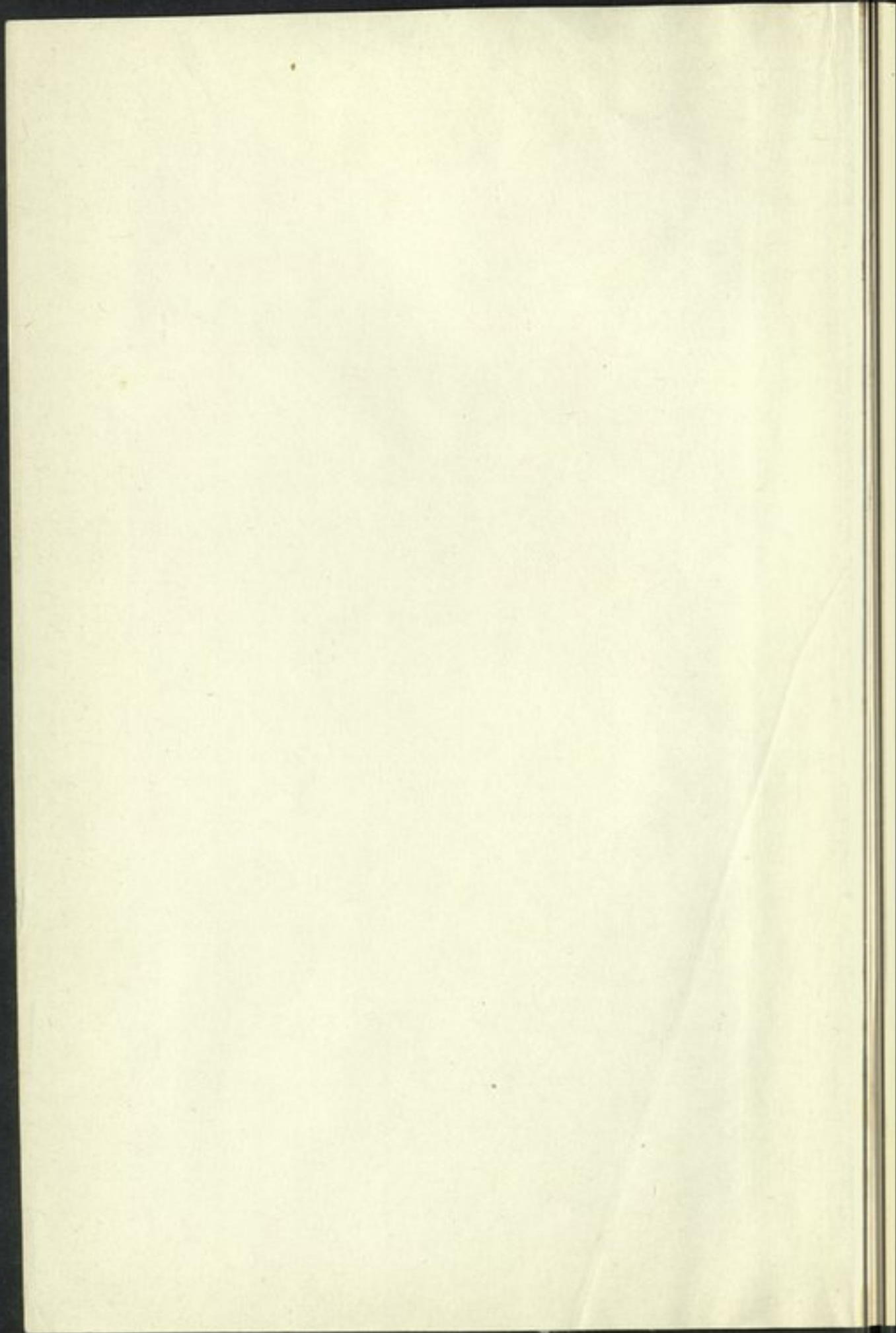
Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft: 64, 66, 97.

الخطأ والصواب

صواب	خطأ	صفحة	سطر
عسانا	حسانا	٢	١
فيها	لها	٣	١
نار فيه في خراسان	نار في خراسان	٤	١
الجدوى	الجدى	٣	٢
Culturgeschichte	Culturgesehichte	(١)	١٩
Nerchakhi	Nerhakhi	(٣)	٢٣
نغزو	نغزوا	١٩	٣٠
لم يكن إلا استعراضاً	لم يكن استعراضاً	٤	٣٥
Encyclopaedia	Encylopaedia	(١)	٤٥
البلاذرى	البلاذرى	٦	٧٠
بكرامة	لكرامتهم	١٢	٨٧
مردوا	مروا	٢٠	٨٧
إذ	إذا	٧	٩٩
حسب زعمهم	حسب زعمهم في نظرهم	٢٢	١٠٢
المصريين	المصريين	١٥	١٠٨
Carmathes	Carmalhes	(٣)	١٠٩
وتقام به الشعائر	وتقام الشعائر	٧	١١٢
زيد	يزيد	١٢	١٣٨
خوزستان	خوزستان	١٩	١٥٢



www.lisanarb.com



956.01
V871rA
c.1